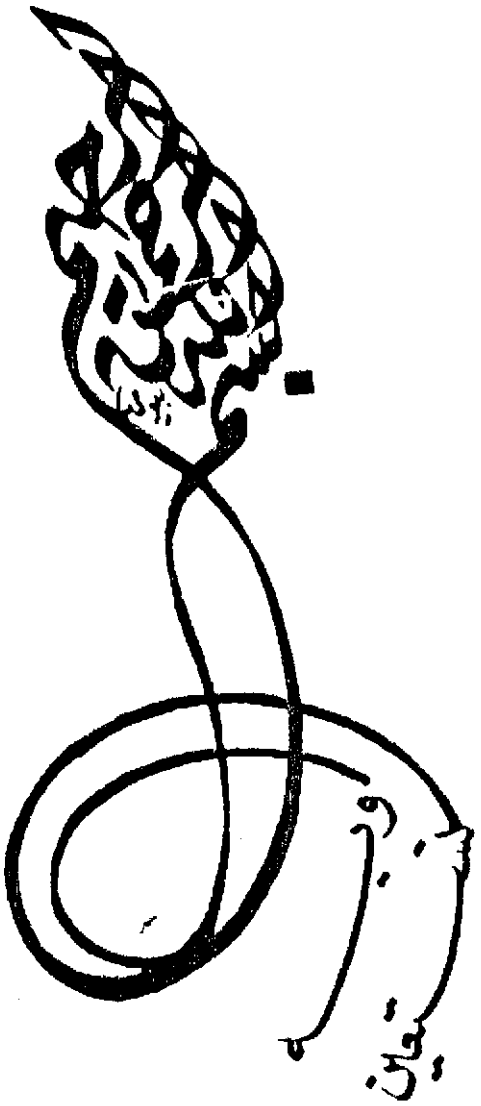

ملخص الرسالـــــة

عنوان البحث : أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر ودور التربيـــة في حلها .

الاســـــــم : انصاف أكرم مندورة .

القصد من هذه الدراسة توضيح أن المشاكل التي يعاني منها العالـــم الاسلامي انما تعود الى ثقافته المعاصرة ، ذلك أن كل واقع اجتماعي فـــي جذوره انما هو قيمة ثقافية خرجت الى حيز الوجود في واقع الانسان وسلوكـــه . فالهدف الأساسي الذى تصبو اليه الدراسة هو : توضيح عمق أزمـــة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر لأن التعرف على الداء يسهل معرفـــة العلاج المناسب ومعرفة الاسهامات التي يمكن أن تقدمها التربية الاسلامية لاعادة الالتزام بالثقافة الاسلامية . وتحقيقا لهذا الهدف فقد اتبع في هذا البحـــث المنهج العلمي الاسلامي المستند على دراسة دلالات النصوص الواردة فـــي الكتاب والسنة كما اعتمد على المنهج التاريخي في تتبع أسباب بُعد المسلمين عـن ثقافتهم الحقة ، والمنهج الوصفي في وصف الأزمة الثقافية وفي وصف دور التربية الاسلامية في حلها .

هذا وقد قامت الباحثة بما يلي :

أولا : عرض أهم المفاهيم السائدة لمصطلح " ثقافة " ونقدها في ضوء الفكـــر الاسلامي من أجل الوصول الى مفهوم للثقافة يمتاز بالأصالة . . ثم عـــن طريق دراسة دلالات النصوص الواردة في الكتاب الكريم والسنة الشريفـــة استخلصت الباحثة الأسباب التـي تؤدى الى الالتزام بثقافة الاســـلام في كل عصر ، ولتوضيح اثر هذه العوامل عرضت مواقف من المجتمـــع الاسلامي الأول . . وقد نوقشت هذه القضايا في الفصل الثاني . .

ثانيا : تتبع تاريخي لأسباب ابتعاد المسلمين عن دينهم . ثم تحليل بعض الظواهر الاجتماعية لتوضيح صور أزمة الثقافة في أسلوب حياة المجتمع وفي سلوك أفراده وفي تعاملهم مع مايحيط بهم من أفكار وأشياء وهذا ماعولج في الفصل الثالث.

ثالثا : استعرضت الباحثة في الفصل الرابع أهم الخطوط التي يكون في اتباعها تحقيق التربية الاسلامية الشاملة والتي تعمل على اعادة المسلمين للالتزام بالاسلام وثقافته .

هذا وقد تضمنت الخاتمة ملخصا موجزا لأهم ماتوصلت اليه الباحثة ومن النتائج التي توصلت اليها :

١ - من الخطأ اقتباس مفهوم الثقافة من أى فكر وتطبيقه في المجتمع الاسلامي لأن المفهوم يعكس عقائد واتجاهات واضعيه .

٢ - أن تطبيق المجتمع الاسلامي الأول لمبادىء الاسلام في واقعهم يرجع لعدة عوامل أساسية تهدى اى منهج يريد اصلاح المجتمع الاسلامي المعاصر .

٣ - التزام الفرد والجماعة في صورة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يحافظ على اطار الثقافةالاسلامية ، وفي المقابل فان زوال الالتزام معناه الوقوع في أزمة الثقافة .

٤ - يعود بعد المسلمين عن دينهم الحنيف الى مجموعتين من العوامل : عوامل داخلية وعوامل خارجية .

٥ - يتطلب حل أزمة الثقافة احداث تغيير في الانسان المسلم وفي الاطار الذى يحيطه وذلك باتباع منهاج تربوى شامل يستمد أسسه ومبادئه وأهدافه من الاسلام.

٦ - أنه حتى تصبح التربية الاسلامية هي الأصل في المجتمع فانه لابد من التركيز على مجموعتين من المؤسسات : مراكز التربية والتعليم ووسائل الاعلام . وهذا القول لا يعفي المؤسسات الاجتماعية الأخرى من مسؤولياتها ،فهي مطالبة بدعم حركة التغيير والاصلاح .

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعه أم القـــــرى
كلية التربية بمكه المكرمه
الدراسات العليا

نموذج رقم (٨)*

اجازه اطروحه علميه فى صيغتها النهائيه
بعد اجراء التعديلات المطلوبه

الاسم (رباعى) : انصاف أكرم مدهرة
الدرجه العلميه : ماجستير
عنوان الاطروحه : " أزمة الثقافة فى المجتمع الإسلامى المعاصر "

القسم: التربيه
التخصص تربيه اسلاميه

الحمد لله رب العالمين والصلاه والسلام على اشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعـــد ،،

فبناء على توصيه اللجنه المكونه لمناقشه الاطروحه المذكوره عاليه والتى تمـــت مناقشتها بتاريخ ٢٨/ ٨ / ١٤٠٦هـ بقبول الاطروحه بعد اجراء التعديلات المطلوبه ، وحيث قد تم عمل اللازم .

فان اللجنه توصى باجازه الاطروحه فى صيغتها النهائيه المرفقه كمتطلـــب تكميلى للدرجه العلميه المذكوره اعلاه والله الموفق .

اعضاء اللجنـــــه

المشرف	مناقش من القســم	مناقش من خارج القسم
الاسم: د . بشير حاج آدم	د . عبدالرحمن صالح عبدالله	د . أحمد محمد جمال
التوقيع :		

يعتمد ،، رئيس قسم التربيـــــــــــــــة

د. هاشم بكر حريـــــــرى

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي

أزمة الثقافة في المجتمع المسلم المعاصر
ودور التربية الإسلامية في حلها

إعداد الطالبة
إنصاف أكرم نذورة

إشراف الدكتور
بشير صلاح النوح

٢٠٢٦٨١ ر

بحث مقدم
لقسم التربية في كلية التربية بجامعة أم القرى
كمتطلب تكميلي لنيل درجة الماجستير
في تخصص التربية الإسلامية
عام ١٤٠٥/١٤٠٦ هـ

١٣٦٧

جامعة أم القرى
مكة المكرمة

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
عمادة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية بمكة المكرمة
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

شكر وتقديـــر

الى كل من له حق عليّ .. ومدني بعونه وارشاده فيما ينفعنـــي في دنياى وآخرتي أتقدم بخالص الشكر والتقدير العميق وأخص بذلـــك الاستاذ المشرف على البحث الدكتور / بشير حاج التوم ، على ماتفضـــل به من اشراف وتوجيه وارشاد وايضاح لمعالم الطريق التي أنارت لي السبيـل في اعداد هذا البحث بسهولة ويسر .. فجزاه الله عني وعن طلبة العلم خير الجزاء . وأسأل الله تعالى أن يعيننا لصالح الأعمال وأفضلها انه علـــى مايشاء قدير . وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم ، فيما يعود بالنفـــع والخير على الأمة الاسلامية والله من وراء القصد .

الطالبة

انصـاف سندورة

قائمة المحتويات

الموضوع	الصفحة
الفصل الأول " المدخل الى الدراسة "	
- المقدمة	٢
- مشكلة البحث	٤
- حدود البحث	٦
- تساؤلات البحث	٧
- أهمية البحث	٨
- منهج البحث	٩
- الدراسات السابقة	١٢
- فصول الدراسة	١٦
الفصل الثاني : "مفهوم الثقافة الاسلامية وتطبيقه في صدر الاسلام .	
- أصل الكلمة في اللغة	١٩
- المفهوم الاجتماعي للثقافة	٢٢
- مفهوم الثقافة عند بعض المربين المسلمين	٢٧
- أولا : كتاب في اجتماعيات التربية	٢٧
ثانيا : في أصول التربية الاصول الثقافية	٣٢
- نقد المفاهيم السابقة	٣٤
- المفهوم الاسلامي للثقافة	٤٣

الموضـــــوع	الصفحـــة
- تطبيق المفهوم الاسلامي للثقافة في مجتمع صدر الاسلام	٥٢
- عوامل تماسك المجتمع الاسلامي الأول والتزامه بثقافته .	٥٤
أولا : وحدة العقيدة ووحدة القاعدة الفكرية .	٥٥
ثانيا : القيم الخلقية الاسلامية	٥٧
ثالثا : توفر البيئة الملائمة لتكوين قيم ثقافية من عالم الأفكار والأشياء	٦٩
- نماذج من مواقف طبقت فيها الثقافة الاسلامية	٧٧
الفصل الثالث : "وصف أزمة الثقافة والأسباب التي أدت اليها" .	
- التعريف بأزمة الثقافة	٨٦
- بداية تتابع البعد عن مفهوم الثقافة الاسلامية	٩٣
- أسباب أزمة الثقافة :-	٩٩
- العوامل الداخلية وتشمل :-	
أولا : البعد عن المنهج القرآني والركون الى الدنيا وشهواتها	١٠٠
ثانيا : تحريف المفاهيم الاسلامية	١٠٤
ثالثا : الركود العلمي وغياب المنطق العقلي وتوقف الاجتهاد	١٠٩

الموضـــــوع	الصفحـــة
رابعا : اهمال الجانب الاجتماعي	١١٣
العوامل الخارجيةوتشمل :ـ	
أولا : استعمار الأرض	١١٦
ثانيا : الغزو الفكرى " استعمار العقول"	١١٨
ـ وصف أزمة الثقافـة	١٣١
أولا : عدم انضباط اسلوب الحياة وفـق المنهج الاسلامي .	١٣٣
ثانيا : عدم سلامة الممارسة الفردية أو السلوك الاجتماعي وفق اخلاق الاسلام .	١٥٥
ثالثا : التخلف العلمي والتقني	١٧٣
الفصل الرابـع :ـ " دور التربية الاسلامية في حل أزمة الثقافـة " .	
ـ الحل الأمثل لمشكلة الثقافة في العالم الاسلامي	١٨٠
ـ أسس التربية الاسلاميـة	١٨٤
ـ اهداف التربية الاسلامية	١٨٨
ـ الحل التربوى لأزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر	١٩٣

الموضـــــوع	الصفحـــة
أولا : اعادة النظر في مناهج العلوم الاسلامية ، واقامتها على أساس آخر غير ماهو قائم في معظم الدول الاسلامية .	١٩٧
ثانيا : ضرورة اعادة صياغة العلوم من خلال التصور الاسلامي .	٢٠١
ثالثا : تجديد التفكير وأساليب الفهم .	٢٠٦
رابعا : الاهتمام باعداد المعلم المسلم	٢١٢
خامسا : الاهتمام والتوسع في التعليم الفني	٢١٣
سادسا : الاستفادة من وسائل الاعلام وتحويلها الى اجهزة بنـــاء للمجتمع الاسلامي .	٢١٥
الخاتمـــة	٢٢٥
المصادر والمراجع .	٢٣٣

الفصل الأول

المدخل إلى الدراسة

بسم الله الرحمن الرحيم

" المقدمـــة "

****

بزغ نور الاسلام في الجزيرة العربية ، في مجتمع جاهلـــي لـــه أفكاره ونظمه وعاداته وتقاليده ، أى أن له ثقافته وشخصيته المميـزة .. وفي هذا الوسط استطاع الاسلام أن ينشىء مجتمعا جديدا يختلف عـــن المجتمع الجاهلي في أساسه العقدى وفي نظرته الى الحياة والكـــون والانسان ، وفي أسلوب حياته ، ثم امتد أثر هذا الدين الى مناطـــق مترامية الأطراف فوحدها في اطار من القيم والمبادىء التي توجه السلـــوك وتضبطه - رغم الاختلافات الكبيرة التي كانت بينها - في ظرف وجيز لـــم يشهد مثله التاريخ - .

والناظر في التاريخ الاسلامي يجد أن رسول الله صلى الله عليـــه وسلم - ومنذ فترة مبكرة اى بعد وصول المهاجرين الى المدينة المنورة - قد حدد طريق المحافظة على ذاتية الأمة الاسلامية وأصالتها والتي تمنـــع من الذوبان في الآخرين ، وذلك عندما غضب لرؤية صحائف مـــن توراة يهود بين يدى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، فقال له : " والذى نفسي بيده ، لو بدا لكم موسى فأتبعتموه وتركتموني لضللتم عن سواء السبيل ولـــو كان حيا وأدرك نبوتي لأتبعني " (١) ولقد فهم سلف هذه الأمة ووعـــى هذه المقولة الصادقة من رسول الله صلى الله عليه وسلم . فتمسكوا بكتـاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم والتزموا بهما ، فكانت تلك الحضارة الشامخـة المتميزة والتي برز فيها الكثير من العلماء الذين كان لهم دور الريادة فـــي ميادين مختلفة ، وكان ذلك المجتمع المتحد المتجانس ، فكل أفراده ينطلقون

---

(١) رواه الدارمي في سننه : حـ ١ ، ص ١١٥ - ١١٦ .

من مقومات واحده ، حددت اطار ذلك المجتمع ، وهي مقومات عقدية وفكرية ومن ثم سلوكية ، فالمقومات العقدية شرحت حقيقة الكون والحياة والانسان ، وملأت بذلك مساحة الفراغ الفكرى والنفسي ، ووحدة الاعتقاد هذه أثمرت وحدة السلوك المنسجم معها ومن ثم أثمرت وحدة الأمة الاسلامية ، ووحدة ثقافتها .

" ويتجلى ذلك كله في موقف عمر بن الخطاب عندما خطب المسلمين غداة توليه الخلافة فقال قولته المشهورة : " يا أيها الناس من رأى فيّ اعوجاجا فليقومه " . وكان الرد على هذه المقولة مانطق به أحد اولئك البدو البسطاء : " والله لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا " .

هذا الحوار الفريد كان يطبع بطريقة رائعة أسلوب الحياة في المجتمع الذى اتحد فيه شكل السلوك لدى الخليفة والبدوى البسيط والواقع أن عمر في قولته تلك كان متجها صوب المجتمع الاسلامي وأن الذى اجابه انما هو ذلك المجتمع على لسان البدوى " (١)

وتفتقر المجتمعات الاسلامية اليوم الى الالتزام بذلك الاطار الاسلامي في الفكر والسلوك ، - والذى يوازن بين السلوك الفردى وأسلوب الحياة في المجتمع لتنبثق جميعها من عقيدة وشريعة الاسلام ، والذى يطبع المجتمع بطابع واحد فلا تناقض بين المبدأ والواقع ولا تنافر

---

(١) مالك بن بني : مشكلة الثقافة ، ص ٥٠ .

بين حاكم ومحكوم وبين طبيب ومداوى اذ يوجه سلوكهم وفكرهم اطار واحد من القيم والمبادىء الاسلامية - وعلى ذلك فان مايعانيه المجتمع الاسلامي من مظاهر الأمراض وصور التخلف لاتخرج عن كونها أعراضا لمشكلة الثقافة ، وهذا يتطلب معالجة هذه المشكلة عن طريق منهج تربوى يعيد ثقافة الاسلام . . . ذلك أن كل واقع اجتماعي هو في أصله قيمة ثقافية خرجت الى حيز التنفيذ ، وبعودة المجتمعات الاسلامية الى الالتزام بذلك الاطار . . ستعود الى سابق مجدها وقوتها . . وشخصيتها المميزة التي استطاعت أن تعطي الكثير للحضارة الانسانية في شتى المجالات .

مشكلة البحث :

لقد كان لدراسة مادة " الثقافة الاسلامية " في المرحلة الجامعية وخلال سنواتها الأربع الأثر الكبير في نفسي ، فالاسلام نظام حياة كامل وشامل لم يترك الفرد أو المجتمع ولم يترك جانبا من جوانب الحياة الا وحدد له اطاره الذى يميزه . ولقد دفعتني هذه الدراسة النظرية لمبادىء الاسلام ونظمه لمحاولة التعرف عليها في عالم الواقع وفيما يسمى اليوم بالمجتمع الاسلامي بشكل عام .

ولكن الأحداث المتتابعة التي يعيشها المجتمع الاسلامي والتى يدمي لها قلب أى مؤمن ، وكذلك الدراسات التي تتعلق بواقع المجتمع الاسلامي المعاصر والتي تناولتها أقلام كثير من المفكرين المسلمين ، اثبتت الانفصال الواضح بين المبدأ والواقع . اننا - الا من عصم الله - لانعيش الثقافة الاسلامية بقيمها الخلقية الشاملة وآدابها الاجتماعية ، ومعظم مجتمعاتنا لاتتمثلها في أسلوب حياتها وأنظمتها ، اننا نفتقد

بيئة العمل والعلم المصطبغة بقيم الاسلام وأخلاقه والتي سعى الاسلام الى تكوينها من أجل مجتمع حضارى يقوم بتبليغ رسالته للعالم كله ، ولقد أدى هذا البعد عن الثقافة الاسلامية الى اختفاء الأصالة وظهور التبعية في الأفكار والأقوال والسلوك لثقافات مختلفة . فهل يعني هذا الواقع مثالية المبادئ والقيم الاسلامية وعدم القدرة على تطبيقها ؟؟ ان الاجابة على هذا السؤال تأتي من خلال دراسة حياة المجتمع الاسلامي الأول التي تثبت بما لايقبل الشك أن الاسلام بمبادئه وقيمه كان جزءا من الحياة العملية ، وشكل طريقة الحياة ووجهة النظر وأساس العمل والسلوك ؛ كانت الثقافة كاللغة تدور بين الناس في معاملاتهم اليومية ويحملونها أينما ذهبوا . والتمثل الكامل لثقافة الاسلام في المجتمع الأول انما كان عن طريق تربيتهم على منهج القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم .

وعندما سهل الله لي اكمال دراستي العليا في قسم التربية الاسلامية ، وجاءت الفرصة للرجوع لكثير من الكتب التربوية ، وقفت عند موضوع الثقافة وصلتها بالتربية لعلي أجد فيها مايوضح دور التربية في اعادة الالتزام بثقافة الاسلام ، ولكن اتضح أنها تناقش الموضوع من زاوية بعيدة عن الفكر الاسلامي ، فهي مفاهيم وأفكار غربية أو شرقية لاصلة لها بالاسلام وواقع المجتمع الاسلامي .

ولقد كان ادراكي للمشكلة كما توضحها الأحداث التي تعاني منها المجتمعات الاسلامية ، وكما تتضح من خلال كتب كثير من المفكرين المسلمين أمثال : " مالك بن نبي ، وأبو الحسن الندوى ، وأبو الأعلى المودودى ، وسيد قطب ، ومحمد الغزالي ... وغيرهم " من ناحية ولعدم وجود المفاهيم الاسلامية السليمة التي تتناول هذا الموضوع في كثير من الكتب التربوية المنتشرة بيننا من ناحية أخرى .. دافعا لي لاختيار موضوع :

" أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر ودور التربيـــــة الاسلامية في حلها " . ليكون مجالا للبحث والدراسة .

أهداف البحث : يسعى البحث الى تحقيق الهدفين التاليين :

أولا : دراسة أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر وسيتم تحديد الأزمة على ضوء مقياس نظرى سيتحدد من خـــلال وضع مفهوم للثقافة الاسلامية من جانب ؛ وعلى ضوء مقياس تطبيقي من المجتمع الاسلامي الأول الذى طبق هـــذا المفهوم من جانب آخر .

ثانيا : دراســـة دور التربية الاسلامية في اعادة تمثـــل ثقافة الاسلام والالتزام بها في المجتمع المعاصر .

حدود البحث :

سيتناول البحث :

١ - مفهوم الثقافة : وهي تعني الاطار الذى يؤدى الى قـــوة التماسك في المجتمع والذى يمثل الصلات الاجتماعية بيـــن أفراده ، والتي ينتج عنها كل العلوم والفنون والصناعـــات باختلافها .

وهذا الاطار يتكون من مجموعة من الصفات الخلقية والقـــيم الاجتماعية المستمدة من عقيدة الاسلام وشريعته ، والتي يجب أن يولد الانسان ليجد نفسه محاطا بها يستنشقها كما يستنشـــق الهواء ؛ لتربط بين سلوكه واسلوب الحياة في المجتمع الذى ولـــد فيـــه .

وعلى ذلك فحدود مفهوم الثقافة هو " الاطار الذى يؤدى الى تماسك المجتمع " ، وعند دراسة أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر ، سيتم دراستها من حيث أنها تَفَكُّكُ هذا الاطار والبعد عنه ، ولن يتم عرض للمشاكل التي يعاني منها " الاقتصاد أو السياسة او التربية .... الخ " الا عند عرض نماذج لتوضيح أهمية ذلك الاطار ، فان وجوده سيجعل كل مافي الحياة ينبثق من عقيدة الله وشريعته ، وان عدم وجوده سيؤثر في سلوك الأفراد واسلوب الحياة ، اذ سيكون هناك فراغ يؤدى الى اتجاه المجتمع وأفراده الى أطر من ثقافات أخرى مما يوسع هوة الأزمة الثقافية .

٢ - المجتمع الاسلامي الأول : ونقصد به مجتمع صدر الاسلام ،أى على عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم ، وسيتم أخذ نماذج فقط من أجل دراستها وتحليلها توضح الالتزام بثقافة الاسلام مما أدى الى تماسك ذلك المجتمع وانطلاقه في شتى مجالات الحياة من مقومات واحدة . .

تساؤلات البحث :

يتلخص موضوع البحث في التساؤلات الآتية :

س ١ - ماهي أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر ؟

س ٢ - ماهي الأسباب التي أدت الى حدوث تلك الأزمة ؟

س ٣ - ماهو دور التربية الاسلامية في اعادة الالتزام بثقافة الاسلام ؟

أهمية البحث :

أرجو من الله تعالى أن يحقق هذا البحث - من خلال مناقشة فصوله - مايلي :

١ - أن يلفت أنظار المسلمين المخلصين الى ضرورة العمل على اعادة الالتزام بالثقافة الاسلامية ليعود للمجتمع الاسلامي دوره القيادى الذى فقده .

٢ - أن يستفيد منه العاملون على اصلاح المناهج والمخططون لها ، بالاهتمام بالاطار الاسلامي الثابت عند وضع المناهج ، والاهتمام بالأهداف التي تسعى التربية الاسلامية الى تحقيقها ليتكون المجتمع المتماسك الفعال الذى أراده الله .

٣ - أن يستفيد منه كل مسئول يهمه تقدم المجتمع الاسلامي ورقيه .. ففي أيديهم تحقيق ذلك ..

اما اسهامي في تحقيق هذه الأهمية فسيكون - بالاضافة الى مناقشة الفصول التي يتألف منها البحث - على جانبين :

الأول : نقد المفاهيم السائدة في بعض كتب التربية عن الثقافة وخصائصها ، ولفت الأنظار لما فيها من بعد عن الفكر الاسلامي ، ثم وضع مفهوم اسلامي للثقافة فلا بد أن

" تكون مصطلحاتنا الحضارية معبرة تعبيـــرا دقيقا عن حقائقها وطبيعتها ووحدتهـــا الداخلية ومنظومتها المتميزة . . لأن في ذلك الصفاء ووضوح الرؤية واستقامة المنهج . . كما أن فوضى الاصطلاحات من جهة أخـــرى دليل عدم الأصالة ، وبرهـــان عـــدم وجدان الذات ، وفقدان للخصوصيـــة الحضارية " (١)

الثاني : وضع تصور لدور التربية الاسلامية في عصرنا الحالي لحل أزمـــة الثقافة واعادة تماسك المجتمع .

مناهج البحث :

سيتم في هذا البحث ان شاء الله استخدام المناهج التالية :

١ - الاسلوب الموضوعي العلمي : ويعتمد على المصادر الرئيسيـــة الاسلامية وهي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة .

" فلقد بسطت جميع أسس هذه التربية وأهدافها وأساليبها ودقائقها ودونت متناثرة في آيـــات القرآن العظيم وكتب السنة وأصبح مـــن الميسور استنباطها من هذين المرجعيـــن الأساسيين ثم تجميعها والتأليف بينها على نسق مستوحى من طبيعة الاسلام ومن الاسلوب التربوى لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وهذا هـــو الاسلوب الموضوعي العلمي " (٢)

---

(١) محسن عبدالحميد : المذهبية الاسلامية والتغيير الحضارى ، ص : ١١١ - ١١٢ .

(٢) عبدالرحمن النحلاوى : التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة : ص ٢٥

حيث يتم أخذ آيات من القرآن وأحاديث من أهم كتب الصحاح وتفسيرها استنادا الى كتب التفسير والاستنباط والاستنتاج منها بما يدعم بعض الأفكار ، واستخدامها كأدلة نقلية . وسأستفيد من هذا المنهج عند مناقشة المفاهيم المختلفة للثقافة ، حيث يتم مناقشتها في ضوء ماجاء في القرآن والسنة . . وفي وضع مفهوم اسلامي للثقافة . كما سأستفيد منه عند عرض نماذج المجتمع الاسلامي الأول الذى طبق هذا المفهوم الاسلامي عن طريق عرض بعض الآيات والأحاديث التي توضح الاطار الثقافي الاسلامي ، وكيف أن ذلك المجتمع قد طبق مضمون هذه الآيات والأحاديث في اسلوب حياته وسلوك أفراده . وبذلك يكون لدى مقياس نظرى ثابت مستمد من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ومقياس تطبيقي واقعي اقيس بهما أزمة الثقافة في المجتمع المعاصر .

٢ - المنهج التاريخي :

" ان استخدام المنهج التاريخي في التربية يتناول دراسة أحداث ووقائع معينة في الماضي وذلك بقصد التوصل الى نتائج معينة لاتقف عند حد الوصف أو تقرير ماتم في الماضي فحسب وانما سيكون لها استنادا الى الخبرات والممارسات الماضية قيمتها أوفائدتها في مجال العمل التربوى في حاضره أوفي مستقبله " (١)

---

(١) جابر عبد الحميد جابر ، وأحمد خيرى كاظم : مناهج البحث في التربية وعلم النفس ، ص : ١٠٩ .

فموضوع هذا البحث يتطلب البحث في جذور مشكلة الثقافة ؛ وهي جذور تاريخية ، كما يتطلب التعرف على مواقف من المجتمع الاسلامي الأول الدالة على التزامه بثقافته ، وهذا يستدعي استخدام هذا المنهج بالرجوع الى بعض المصادر التاريخية وأخذ النصوص والاستنتاج منها وعرض النتائج أخيرا .

٣ - المنهج الوصفي :

" وهو المنهج الذى يهدف الى وصف ظواهر أو أحداث أو أشياء معينة ، وجمع الحقائق والمعلومات والملاحظات عنها ، ووصف الظروف الخاصة بها وتقرير حالتها كما توجد عليه في الواقع ، وفي كثير من الحالات لا تقف البحوث الوصفية عند حد الوصف والتشخيص الوصفي بل تهتم ايضا بما ينبغي ان تكون عليه الأشياء والظواهر التي يتناولها الباحث وذلك في ضوء قيم ومعايير معينة واقتراح الخطوات أو الأساليب التي يمكن أن تتبع للوصول بها الى الصورة التي ينبغي أن تكون عليه في ضوء هذه المعايير أو القيم " . (١)

وسأستفيد من هذا المنهج من ناحيتين :

الأولى : عند وصف الأزمة الحالية وتحليلها ومعرفة اسبابها وآثارها .

والثانية : عند وصف دور التربية الاسلامية لحل هذه الأزمة ، وسيتم وصف الأزمة بالرجوع الى كتب المسلمين أو المقالات الاجتماعية التي تتحدث عن واقع المجتمع المعاصر .

---

(١) نفس المرجع : ص ٤٠ .

جامعة أم القرى بمكة المكرمة
١٣٩٧
عمارة شؤون المكتبات
المكتبة المركزية
قسم المخطوطات
UMM AL-QURA UNIVERSITY MAKKAH

الدراسات السابقة :

من خلال اطلاع الباحثة على مكتبة الجامعة فرع الرسائل ؛ وعلى قائمة الرسائل المقدمة الى الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ، لم يمر عليها بحث يتعلق بهذا الموضوع ، ومن المؤلفات التي تتناول موضوع الثقافة :

١ - كتاب مشكلة الثقافة لمالك بن نبي :

يتكون هذا الكتاب من مقدمة وأربعة فصول تحتوى على مايلي :

أ - المقدمة : وضح المؤلف فيها أن مفهوم الثقافة في نظره مفهوم شامل ، فهي ليست عبارة عن الأفكار فقط ، بل تشتمل أيضا أسلوب الحياة والسلوك الاجتماعي .

ب - الفصل الاول : تحت عنوان : " تحليل نفسي للثقافة " كشف المؤلف عن ذرات عناصر الثقافة وأعطانا فكرة عن طريقة تحللها في ذاتية الفرد ليتم عن طريق ذلك تحديد طابعه الثقافي . وهو يرى أن مشكلة الثقافة تحدث بسبب اختلال العلاقة المتبادلة بين عناصر الثقافة وانعدام الفاعلية فيها .

حـ - الفصل الثاني : عرض المؤلف تحت عنوان " تركيب نفسي للثقافة " شروط تركيب عناصر الثقافة ، واشار الى ضرورة تحويل العناصر التي كشف عنها التحليل الى منهج تربوى يمكن تطبيقه .

د ـ الفصل الثالث : " تعايش الثقافات " ناقش فيه فكـــــرة استحداث تركيب بين ثقافتين أو أكثـــر ، وهو يرى أن المزاوجة بين الثقافات يجـــب أن لاتتم على أساس ديني ، لأن ذلـــك يؤدى الى التلفيق كما حدث عندمـــا زاوج الامبراطور اكبر بين الاسلام والهندوسية .

هـ ـ الفصل الرابع : " الثقافة في اتجاه العالمية " يرى المؤلف أن الثقافة الاسلامية يمكنها أن تقوم بدور المرشد للعالم الذى طغت عليه ثقافة الامبراطوريـــة (الاستعمار) حيث أنها قامت بهـــذا الدور فيما مضى .

ويختلف موضوع الكتاب عن هذا البحث في النواحي التالية :

١ ـ لم يصف المؤلف مشكلة الثقافة في العالم الاسلامي المعاصر ، بـــل جاء باشارات بسيطة متناثرة ، وفي هذا البحث فصل لوصف طبيعـــة الأزمـــة .

٢ ـ لم يذكر المؤلف أسباب مشكلة الثقافة بالتفصيل ، وفي هـــذا البحث ستهتم الباحثة بمعرفة الأسباب حتى يمكن وصف الدواء .

٣ ـ رغم اشارة المؤلف لضرورة وضع منهج تربوى يمكن عن طريقه تحقيق ثقافـــة ايجابية ومن خلال منهج " اخلاقي ، وجمالي ومنطق عملي وصناعي " الا أنه لم يفصل طريقة تحقيقه وعلى عاتق من تقع المسئولية . وسنحاول من خلال هذا البحث تحديد الجهات التي يقع على عاتقها مسئوليـــة البدء في اعادة ثقافة الاسلام .

٢ - كتاب " لمحات في الثقافة الاسلامية " لعمر عودة الخطيب :

يتكون هذا الكتاب من ستة فصول ، أفرد المؤلف الفصل الأول لمناقشة مفهوم الثقافة في حياة الأمة واعتبرها الصورة الحية للأمة ، كما ناقش مفهوم الثقافة بالنسبة لعلماء الاجتماع ، ويرى أن الثقافة والحضارة تدلان على مفهوم واحد .

وتحدث في الفصل الثاني عن ركائز الثقافة الاسلامية وخصائصها وذكر أنها موضع ثقة وأنها بلغت الكمال في تصورها للحياة والانسان ، وبنت في هذه الأمة روح التميز ، وكانت ايجابية في روحها ، أخلاقية في دعوتها ، فريدة في رعايتها للوحدة الانسانية .

ثم ناقش في الفصلين الثالث والرابع مايواجه الثقافة الاسلامية من قوى معادية في الماضي والحاضر . ويرى أن هذا يتطلب المجابهة المستمرة والتأكيد على الأصالة الاسلامية .

أما في الفصل الخامس وتحت عنوان : " الثقافة الاسلامية وآفاق الحياة " فقد أوضح المؤلف كيف أن الثقافة الاسلامية لم تدع جانبا من جوانب حياة الفرد والجماعة والأمة والانسانية كلها الا وتناولته بالمعالجة الكاملة .

وأهم جوانب الاختلاف بين موضوع البحث والكتاب مايأتي :

١ - تحدث المؤلف عن الثقافة الاسلامية وخصائصها دون ربطها بالتربية .
٢ - رغم اشارة المؤلف لبعد المجتمعات الاسلامية المعاصرة عن ثقافة الاسلام . الا أنه لم يوضح طريق العودة الى ثقافة الاسلام - ولم يذكر الأسباب التي أدت الى ذلك . وفي هذا البحث توضيح لدور التربية الاسلامية وأسباب الأزمة الثقافية .

ومن المؤلفات التي تتحدث عن الثقافة والتربية ولكن من وجهة نظر مخالفة لما هي عليه في هذا البحث .

٣ - كتاب : " الثقافة والتربية " لحسن الفقي :

اذ يتناول المؤلف مفهوم الثقافة من وجهة نظر غير اسلامية ، ويرى ضرورة احداث تغيير لشخصية الفرد المصرى بحيث يؤدى الى تكوين مجتمع اشتراكي ويتكون هذا الكتاب من ثلاثة أبواب . يتناول الباب الأول موضوع الثقافة ومفهومها ومحتواها وخصائصها ، بينما يتناول الباب الثاني موضوع التغيرات الثقافية في المجتمع المصرى وضرورة تطبيق الاشتراكية فيه ، أما الباب الثالث فيتكلم عن دور التربية في اعداد الشخصية الجديدة والتي تتفق مع المبادئ التي يريد تطبيقها .

وبذلك نجد ان المؤلف يريد تطبيق مفاهيم غير اسلامية على مجتمع اسلامي ، وهناك العديد من الكتب التي تنحو نفس الاتجاه ، ومنها على سبيل المثال :

" الاصول الثقافية للتربية" لمحمد الهادى عفيفي ؛ و" عن الثقافة " لعبد المنعم الصاوى . . .

ويمتاز هذا البحث عنها ، بأنه ينطلق من منطلقات اسلامية تهدف الى عودة المجتمع الاسلامي الى سابق مجده وتمسكه بالاسلام .

فصول الدراسة :

يقع البحث في أربعة فصول رئيسية :

الفصل الأول : " المدخل الى الدراسة "

وسيتضمن : المقدمة ؛ مشكلة البحث وحدوده ؛ تساؤلات البحث وأهميته ؛ منهج الدراسة ؛ الدراسات السابقة ؛ خطة الدراسة .

الفصل الثاني : " مفهوم الثقافة الاسلامية وتطبيقه في مجتمع صدر الاسلام"

وسأتعرض فيه لمناقشة مفهوم الثقافة في اللغة ومفهومها الاجتماعي ، ثم أهم المفاهيم السائدة في كثير من الكتب التربوية للمربين المسلمين المعاصرين لأصل من خلال مناقشتها في ضوء الفكر الاسلامي الى مفهوم اسلامي للثقافة ، ثم سأتعرض للعوامل التي أدت الى الالتزام بالثقافة الاسلامية في المجتمع الاسلامي الأول ، ومواقف توضح هذا الالتزام والتطبيق للمفهوم الاسلامي للثقافة .

الفصل الثالث : " وصف مشكلة الثقافة وأسبابها في المجتمع الاسلامي المعاصر " :

وسأتناول في هذا الفصل أزمة الثقافة في المجتمع المعاصر من ناحية :

- التعريف بها .

- دراسة أسباب أزمة الثقافة وهي أسباب داخلية وخارجية .
- وصف طبيعة الأزمة في المجتمع الاسلامي المعاصر.

الفصل الرابع : " دور التربية الاسلامية في حل أزمة الثقافة "

وسيتضمن هذا الفصل دراسة :
- أسس التربية الاسلامية وأهدافها لان في تحقيقها مايؤدى الى احداث التغيير الذى نريده في الفرد والمجتمع .
- وضع تصور لأهم الخطوط التي يجب أن تبدأ بها التربية الاسلامية في حل أزمة الثقافة .

الخاتمة :

وفيها استعراض لأهم النتائج التي سأخرج بها من هذه الدراسة .

وأسأل الله العزيز القدير التوفيق في كل مانأتي ونفعل انه سميع مجيب .

الفصل الثاني

مفهوم الثقافة الإسلامية وتطبيقه في مجتمع صدر الإسلام

ان الثقافة من الكلمات ذات المدلول الواسع العميق ، فهي تشتمل على معان كثيرة ، وأبعاد كبرى ، ومستويات تتعلق بالفكر والسلوك والفرد والمجتمع والعلاقة القائمة بينهما ، والناظر الى ماجاء في الكتب التي تناولت موضوع الثقافة يجد بعض الاختلافات في مدلولها ، وسأتعرض لأهم هذه الآراء ، لأصل من خلال مناقشتها في ضوء التصور الاسلامي الى مفهوم اسلامي للثقافة يصلح للتطبيق في المجتمع الاسلامي ، ويكون بمثابة المعيار النظرى الذى أطبق عليه أوضاع المجتمع الاسلامي المعاصر لنرى بعده أو قربه عن هذا المفهوم .

أصل الكلمة في اللغة :

كلمة الثقافة في اللغة العربية مشتقة من الفعل " ثَقِفَ " وهي تعني في أكثر استعمالاتها : الحذق والفطنة ، وسرعة أخذ العلم وفهمه ، وتقويم المعوج من الأشياء وهذا ماتؤكده لنا المعاجم العربية القديم منها والحديث ، ومن أمثلة المعاجم القديمة معجم لسان العرب حيث جاء في معنى الكلمة :

> " ثَقِفَ الشيء ... حذقه ، ورجل ثقف : حاذقٌ فَهِمٌ ، ويقال : ثَقِفَ الشيء هو سرعة التعلم ، وثقفته اذا ظَفِرْتَ به قال تعالى : ﴿ فاما تثقفنّهم في الحرب .. " وثَقُفَ الرجل ثقافةً : أى صار حاذقا خفيفا ففي حديث الهجرة : " وهو غلام لَقِنٌ ثَقِفٌ : أى ذو فطنة وذكاء . والمراد أنه ثابت المعرفة لما يحتاج اليه ". (١)

---

(١) ابن منظور : لسان العرب . المجلد ٩ ، ص ١٩ .

وقد جاء في معنى كلمة الثقافة في المعجم الوسيط وهو أحد المعاجم الحديثة :

" ثَقِفَ : صار حاذقاً فهو ثَقِفٌ.
وثَقَّفَ الشيء : أقام المعوج منه وسواه
و (الانسان) : أدبه وهذبه وعلمه
و (الثقافة) : العلوم والمعارف والفنون التي يطلب الحذق فيها "(١)

ولقد اختلف الكتاب العرب المحدثون في المصطلح المرادف لكلمة " ثقافة " والذى استخدمه علماء المسلمين الأوائل للدلالة على استعمالات الكلمة الحالية فمنهم من يرى ان كلمة " العمران " في مقدمة ابن خلدون تحمل ذات المعنى (٢) . غير أن ابن خلدون قصد بالعمران الاجتماع بصورة عامة حيث يقول :

" ان الاجتماع الانساني ضرورى ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم : الانسان مدني بالطبع اى لابد له من الاجتماع الذى هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران " (٣)

---

(١) ابراهيم أنيس وآخرون ، المعجم الوسيط : حـ ١ ، ص ٩٨ .
(٢) سعيد اسماعيل علي : اصول التربية الاسلامية ، ص ٢٢١ .
ومحمد الهادى عفيفي : في اصول التربية ـ الأصول الثقافية للتربية ، ص ١٢١ .
(٣) ابن خلدون : المقدمة ، ص ٣٤ .

ومنهم من يرى ان كلمة " الملكة " في مقدمة ابن خلدون ايضا جاءت مرادفة للثقافة (١) . ومنهم من يرى أن كلمة " الأدب " وماتحمله من معنى خلقي واجتماعي وعقلي استخدمت في لغة العرب كمراد ف للثقافة (٢) .

وعلى ذلك فان تعدد المترادفات هذه يدل على أن مفهوم كلمة " الثقافة " أي : الواقع الذى تعيشه أى جماعة من حيث نمط أفكارها . . واسلوب حياتها ، مفهوم معروف لدى علماء المسلمين الأوائل ، وان لم يستخدموا مصطلح " ثقافة " ليدل على هذا المفهوم الا حديثا لذلك " فالكلمة لم تكسب بعد في التربية قوة التحديد التي ينبغي أن تتوفر لكل علم على مفهوم ، فهي جديدة " (٣) ، لذلك كان لابد من توضيح دلالتها وتحديدها ، وهذا ماسيتم في الصفحات التالية .

" أما كلمة " ثقافة " (Culture) في اللغات الأوروبية الكبرى ـ الانجليزية والفرنسية والألمانية ـ فهي مشتقة من الأصل اللاتيني (Cultuvare) وهي تعني زراعة الأرض أو حرثها ، ثم اتسع هذا المعنى وأصبح يدل على تعهد نبات أو حيوان أو محصول بالرعاية حتى ينمو ويزكو ، ثم اتسع اكثر فأكثر ، فدل على التنمية بالتعليم والدرس والتنوير وتهذيب الذوق بالتدريب العقلي والجمالي ويدخل في ذلك ايضا تهذيب السلوك" (٤)

---

(١) عمر عودة الخطيب : لمحات في الثقافة الاسلامية ، ص ٢٥ .
(٢) ابراهيم خورشيد : مفهوم الثقافة ، مجلة الفيصل ، ص ٢٧ .
(٣) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص ٢٤ .
(٤) ابراهيم خورشيد : مرجع سابق ، ص ٢٦ .

ثم أخذ معنى هذه الكلمة يتطور في هذه اللغات

" وكان أول ما طرأ عليه من تغير هو تحوله من الدلالة على الانماء الفردى الى أحوال المجموعات الانسانية من الأمم والشعوب ، وغدت هذه الكلمة تطلق على مجموع عناصر الحياة وأشكالها ومظاهرها في مجتمع من المجتمعات " (١)

المفهوم الاجتماعي للثقافة :

اهتم علماء الاجتماع والأجناس بتوضيح المدلول الفكرى لكلمة " ثقافة " وتفسيرها الى عناصر من أجل الدراسة ، وجاءت هذه التفسيرات مختلفة باختلاف الاتجاهات الفكرية واختلاف زاوية الرؤية ، الا أنه يمكن تصنيف هذه الآراء في مدرستين هما : (٢)

أولا : المدرسة الغربية : ويمثل اتجاهها الفكرى علماء الولايات المتحدة وهي ترى أن الثقافة ثمرة الفكر ، أى ثمرة الانسان .

" ويتبنى المجتمع هذه الفلسفة بشأن الانسان الفرد ، وتتغلغل جذور هذا الاساس الفلسفي الى التراث الأغريقي اللاتيني للانسانيات أو العلوم الانسانية " (٣)

---

(١) عمر عودة الخطيب : المرجع السابق ، ص ٢٩ - ٣٠ .
(٢) ورد هذا التصنيف في كتاب مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص ٢٩ .
(٣) محمد فتحي عثمان : القيم الحضارية في رسالة الاسلام ، ص ٣٥

ثانيا : المدرسة الماركسية : ويمثل اتجاهها الفكرى علماء الاتحاد السوفيتي ، وهي ترى أن الثقافة في جوهرها ثمرة المجتمع ، وثمرة عوامل الانتاج والاقتصاد .

وعرضي لأفكار المدرستين فيما يتعلق بمفهوم الثقافة سيتم من اجل مقارنتها بالتصور الاسلامي ، والمقارنة في هذا المجال تظهر قوة مفهومنا الاسلامي للثقافة وأصالته فهو نابع من عقيدتنا الاسلامية ومن واقع المجتمع الاسلامي كما يريده الاسلام . كما أن هذه المقارنة تزيد ادراكنا لمدى التعارض بين مفاهيم المدرستين " الغربية والماركسية " ، وبين المفهوم الاسلامي .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فان عرض هذه الآراء يساعد على التعرف على مدى تأثر المربين المسلمين بهذه الآراء واقتباسهم منها كما هي " رغم اصطدامها بالتصور الاسلامي ، دون محاولة اكتشاف ابعادها ومضامينها الفكرية وبالتالي نقدها .

ويمكن أن نتعرف على المدرسة الغربية من خلال دراسة بعض آراء أهم علمائها عن الثقافة وهم " رالف لنتون " و " وليام أوجبرن " . ويرى " رالف لنتون " أن الثقافة كل تتداخل أجزاؤه تداخلا وثيقا ولكن من الممكن أن نتعرف فيه على شكل بنائي معين ، أى نتعرف فيه على عناصر مختلفة ، هي التي تكون الكل وهذه العناصر هي :

١ - عموميات الثقافة : وتشتمل على الأفكار والعادات وانماط السلوك واللغة كما تضم ايضا الارتباطات والقيم التي توجد في معظم الحالات دون مستوى الوعي . . وتختلف العموميات من ثقافة الى ثقافة

وهي عامة بين أفراد الثقافة الواحدة . (١)

٢ - خصوصيات الثقافة : وهي العناصر الثقافية التي تحظى باعتراف المجتمع ولكن لا يشترك فيها المجموع الكلي للسكان ، وتنشأ مع توزيع العمل وظهور الجماعات المهنية والحرفية المختلفة . (٢)

٣ - العناصر البديلة : ويعرفها لنتون بأنها : " تمثل ردود فعل مختلفة للأوضاع نفسها أو وسائل فنية مختلفة لتحقيق الغايات نفسها " (٣) . وهي ناتجة عن الأفكار الجديدة ، وعن التنظيم الصناعي وعن النظريات المستحدثة والمخترعات والمكتشفات في الميادين المختلفة (٤) فهو يرى أن الاكتشاف والاختراع هما أساس أى نمو أو تغيير في الثقافة اذ يقول : " أنه لا يمكن اضافة عناصر جيدة للمحتوى الاجمالي لثقافة الانسان الا عن طريق هاتين العمليتين " (٥) ، ويدخل رالف لنتون الدين ضمن الابتكارات فيذكر : "اما الابتكارات الاجتماعية والدينية فلا يزال الناس يستقبلونها بشيء من الفتور " (٦)

ان هذه الآراء التي أوردها رالف لنتون في كتابه انما تعكس النظرة الغربية للدين ، فهو أمر فردى باطني ليس له قوة مؤثرة في المجتمع كما انها تصور طبيعة المجتمع الأمريكي الذى تطور بشكل كبير نتيجة لمجموعة الاختراعات والاكتشافات .

---

(١) رالف لنتون : دراسة الانسان ، ترجمة عبد الملك ناشف ، ص ٣٦١
(٢) نفس المرجع : ص ٣٦١ .
(٣) نفس المرجع : ص ٣٦٢ .
(٤) نفس المرجع : ص ٣٦٩ .
(٥) نفس المرجع : ص ٤٠١ .
(٦) نفس المرجع : ص ٤٢٤ .

ويقسم " اوجبرن " الثقافة من ناحية محتواها الى مجالين هما :

أولا : الثقافة المادية : وهي النتاج المادى للانسان أى الأدوات والأسلحة والممتلكات الشخصية .

ثانيا : الثقافة اللامادية وتشمل العبادات والتقاليد والأفكار واللغة والتعليم . (١)

" ويرى أوجبرن ان تغير الثقافة يبدأ من المجال المادى ثم يمتد أثره الى الجانب الاجتماعي واللامادى " فالقوة المغيرة عنده كامنة في الأشياء لأنها تقبل التغير بأسرع ماتتقبله الأفكار " (٢)

أما المدرسة الماركسية حيث يطبع تفكير ماركس كل القيم فيقرر أحدهم وهو : " بودستيك " في كتابه " المرجز في المادية الديالكتيكية " بأن :

" انتاج الخيرات المادية هو الشيء الأولى وأما آراء الناس وأفكارهم ونظرياتهم فهي شيء ثانوى أى أنتجتها ظروف حياة المجتمع المادى ، فكيفما يكون كيان الناس الاجتماعي كذلك يكون وعيهم الاجتماعي " (٣)

---

(١) حسن الفقي : أورده في كتابه الثقافة والتربية ، ص ١٧ .
(٢) مالك بن نبي : أورده في كتابه مشكلة الثقافة ، ص ٣١ .
(٣) محمد سعيد رمضان البوطي : أورده في كتابه نقض أوهام المادية الجدلية ، ص ٤٩ .

ونستنتج من مجمل كلامه أن كل ماقد ظهر في تاريخ البشرية من أفكار وعلوم وقيم وأخلاق وفنون وآداب ، انما هي آثار الصراع من أجل المادة والعيش .

وهناك رأى ذكره " ف . كونستانتيوف" في كتابه " دورالأفكار التقدمية في تطوير المجتمعات " حيث يقول :

> " ان حياة المجتمع المادية هي واقع موضوعي ومستقل عن ارادة الناس ، أما حياة المجتمع العقلية أى مجموع الأفكار الاجتماعية والنظريات والأديان ونظريات علم الجمال والمذاهب الفلسفية فهي كلها انعكاس هذا الواقع الموضوعي " (١)

ورغم الاختلاف الفكرى بين علماء المدرستين " الغربية والماركسية " الا أننا نجد من خلال ماتم عرضه من أفكار ، أنهم اتفقوا على اعلاء الجانب المادى واهمال الناحية الروحية والعقدية ، في تفسير الثقافة وتحديد معناها .

وقبل تقويم آراء هاتين المدرستين في ضوء التصور الاسلامي سأتعرض لآراء بعض المربين المسلمين عن الثقافة ومفهومها وخصائصها .. لأبين مدى تأثر هذه الآراء بالمدرستين الغربية والماركسية ، ثم أنقد بعد ذلك كل هذه الآراء

---

(١) مالك بن نبي : أورده في كتابه " مشكلة الثقافة " ، ص ٣٢ .

مفهوم الثقافة عند بعض المربين المسلمين :

مع أن هناك العديد من الكتب التربوية التي تسير في ركاب الفكر الدخيل (١) الا أننا سنكتفي بدراسة كتابين من كتب التربية التي تتحدث عن الثقافة ، وهما :

١ - "في اجتماعيات التربية" لمنير المرسي سرحان .
٢ - "في أصول التربية الأصول الثقافية" للتربية لمحمد الهادى عفيفي .

وسأتناول كل كتاب على حدة لتوضيح النواحي التي يظهر فيها التأثر بأفكار المدرستين السابق ذكرهما .

أولا : كتاب " في اجتماعيات التربية " :

في تحديد مفهوم الثقافة يرى المؤلف أن الثقافة من صنع الانسان بما فيها من قيم ودين فهي تدور حول الانسان فيقول :

> " الثقافة هي طريقة الحياة في المجتمع بجوانبها المادية كالالات والانشاءات والأزياء وغيرها ، والمعنوية كاللغة والأدب والفن والدين وغيره . وهي من صنع الانسان في سعيه للتكيف مع البيئة الطبيعية والاجتماعية . . " (٢)

---

(١) من هذه الكتب مثلا :
أ - حسن الفقي : الثقافة والتربية ، الاسكندرية ، منشأة المعارف ، ١٩٧٠م
ب - محمد لبيب النجيحي : الأسس الاجتماعية للتربية ، ط ٧ ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨م
حـ - محمد منير مرسي : أصول التربية الثقافية والفلسفية ، القاهرة : عالم الكتب ، ١٩٧٩م.

(٢) منير مرسي سرحان : في اجتماعيات التربية ، ص ١٣٢ .

ويأخذ المؤلف بتقسيم رالف لنتون للثقافة (١) دون محاولة تطبيقه على واقع المجتمع الاسلامي المعاصر . ويؤكد المؤلف في مكان آخر أن الثقافة من صنع الانسان ويربطها بالنشاط الاقتصادى وينفي عنها الجانب الروحي فيقول :

" ان ذلك يعني أن الثقافة أمر متصل بالانسان وليست خارجة عن قوانين المادة والطاقة وانما هي نتاج النشاط الانساني ، وانطلاقا من علاقة الانسان بالطبيعة وبالمحيط الذى يعيش فيه ، تنبثق موضوعات النشاط الاقتصادى وتدور حول محور المنفعة والاستفادة كماتتحدد وسائل الانتاج والاستهلاك والاستثمار والتوزيع ، وينبثق من هذا النشاط الاقتصادى كثير من العلاقات التي تنظمه والقيم والمعايير التي تحكمه ." (٢)

أما فيما يتعلق بالتغيرات التي تحدث في الثقافة فيرى المؤلف أن التغير المادى يكون أكثر شدة وأسرع تأثيرا في المجتمع من المتغيرات غير المادية وهو يرجع ذلك لفعالية وظيفتها فيقول :

" وكلما كانت المتغيرات متصلة بأساليب كسب العيش وما يتصل بها من اختراعات واكتشافات ، كان التغير الثقافي شديدا ايضا ويسهل استقرارها نتيجة سرعة تقبلها من أفراد المجتمع نظرا لفعالية وظيفتها وظهور أثرها سريعا " (٣)

---

(١) نفس المرجع : ص ١٣٦.
(٢) نفس المرجع : ص ١٣٤.
(٣) نفس المرجع : ص ١٤٦.

وعند عرض رأيه في الثقافة الديناميكية والجامدة يأتي ببعض المفاهيم التي لاتتفق مع الفكر الاسلامي فهو يرى أن من مميزات الثقافة المتغيرة ، التغير الدائم في القوانين والأخذ بالنظام الديمقراطي كأسلوب حياة يسير عليه المجتمع فيقول :

" ان القوانين دائمة التغير ، والعادات والتقاليد مرنة متغيرة بتغير الظروف . . كذلك نجدها تأخذ بالنظام الديمقراطي كأسلوب حياة يرقى بالمجتمع وينهض بأوضاعه الاقتصادية والسياسية والاجتماعية ، ويمكن افراده من التحرك الاجتماعي " (١)

ومن صفات الثقافة الجامدة - في رأيه - أنها تتقيد بقيم اخلاقية ثابتة وتحترم القانون وتقوم بطقوس دينية اذ يقول :

" أما الثقافة الجامدة ، فهي التي تبدو في حالة استقرار ، ولايظهر فيها اتجاه للتطور أو حاجة للاصلاح ، فحياة الأفراد والجماعات الجامدة . . . وهي ثقافة العادات والتقاليد الخلقية والطقوس الدينية وقواعد السلوك واحترام القانون " . (٢)

لقد ربط المؤلف بين الجمود الذى تصاب به الثقافة وبين القيم الخلقية الثابتة ولم يحدد مايقصده بالطقوس الدينية وهل هي " العبادات " وبذلك يظهر مدى بعده عن القصور الاسلامي الصحيح لدور الاخلاق والعبادات في تماسك المجتمع ونهضة ثقافته .

---

(١) نفس المرجع : ص ١٥٤ .
(٢) نفس المرجع : ص ١٥٤ .

ويذكر في موقع آخر أن للقيم الدينية دورا كبيرا في جمـــــــود الثقافة اذ يقـول :

" وتلعب القيم الدينية في الثقافـــــــة المستقرة دورا رئيسيا في حياة الأفراد، فهي تمثل القوى الضابطة لنمط الحياة في جوانبها الاقتصادية والاجتماعية .. وتتمثل الثقافات الجامدة أو المستقـــــرة في ثقافة بعض المجتمعات الدينية وفـــي المجتمعات البدائية " . (١)

ومن الذيول التي تجرها فكرة المؤلف عن الدين وثبات الأخـــلاق وأثرها في جمود الثقافة ، أن جعل من مظاهر التغير الثقافي الايجابـــي تحرر تفكير الانسان من الايمان بالغيبيات فيقول :

" ان تطور مفهوم العلم قد أحدث تغييـــرا في طرق التفكير لدى الأفراد ، وأوجـــد اتجاها عقليا حرر به الانسان نفسه من سلطان التفكير التقليدى والغيبي الـــذى كثيرا ما أعاق تقدمه ، وأخضعه للاستقرار والجمود " . (٢)

ومما يؤكد بعد المؤلف عن الأصالة الفكرية الاسلامية وتخبطـــــه في اتجاهات متناقضة وازدواج افكاره ماذكره عن طريقة تطور المجتمـــــع اذ يقول أن :

---

(١) نفس المرجع : ص ١٥٦ .
(٢) نفس المرجع : ص ١٦٢ .

" الأفكار المتطورة عن الانسان وحقه في الحرية والعلم والرفاهية قد حفزت الشعوب على الأخذ بالديمقراطية كأسلوب للحياة الكريمة وعلى ايجاد الايديولوجية السليمة التي تتناسق فيها النظريات والأفكار والنظم مع المصالح والأغراض الاجتماعية التي تخدمها فهاهي الايديولوجية الاشتراكية في جمهورية مصر العربية قد غيرت الأوضاع السياسية ... كما غيرت الأوضاع الاقتصادية المتصلة بالانتاج والاستهلاك ... " (١)

وتظهر الازدواجية الفكرية في آراء المؤلف والتبعية لكل ماهو غربي أو أجنبي عندما يجمع بين اتجاهين متعارضين في مجتمع واحد وهما " الديمقراطية - والاشتراكية " اذ يجعل الديمقراطية أساس اسلوب الحياة الكريمة في المجتمع ... ويرى أن من واجب الشعوب البحث عن ايدلوجية سليمة تنظم حياته وهو يحددها بالايدلوجية الاشتراكية التي تغير نظام الحياة (الاقتصادى والاجتماعي والعلاقات بين الأفراد) .

كما أنها توضح الازدواجية التي تعيشها بعض المجتمعات الاسلامية اذ يطبق فيها اتجاهات متعارضة مع بعضها البعض ، وايديولوجيات لاتتفق مع العقيدة الاسلامية والقيم التي يجب أن تنتشر فيها . ان هذا التناقض في الآراء والتطبيق ؛ يوضح مدى التأثر بأفكار منبثقة عن قيم مختلفة ومتضاربة ، وهي قيم وأفكار المدرستين الغربية والماركسية .

---

(١) نفس المرجع : ص ١٦٤ .

ثانيا : كتاب " في أصول التربية الأصول الثقافية ":

يظهر من آراء مؤلف هذا الكتاب فيما يتعلق بالثقافة تأثـــــره بالمدرسة الماركسية ، وبذلك جاء مفهومه عن الثقافة بعيدا عن المفهـــوم الاسلامي ، حيث يرى أن العوامل الاقتصادية هي الأساس الاول الذى يحدد مفهوم الثقافة ومنها ينتج كل مضمون الثقافة فيقول :

" فسيطرة الانسان على الطبيعة ودرجـــة هذه السيطرة واستغلاله لها وافادتـــه منها تحدد نوع العلاقات المختلفـــة اى التي تحدد علاقة الناس بعضهم ببعض.. وتحدد بذلك أفكارهم واتجاهاتهـــــم وقيمهم " . (١)

ويؤكد في موضع آخر عن مدى تأثره بالنظرية الماركسية القاضيـــة بالتفسير المادى للتاريخ ، فيقول المؤلف :

" فالأساس الاقتصادى يحدد مســـــار التطور الاجتماعي والسياسي ومايرتبـــط به من قيم واتجاهات في مجتمعنا ". (٢)

وأن :

" الدساتير والقوانين والتنظيمات السياسية ليست مجرد أنظمة للحكم والادارة ، اذ أنها تعبر في نفس الوقت عن الظـــروف الاقتصادية للجماعة وتأخذ طابعا خاصـــا يتفق مع تقاليد هذه الجماعة وتطورهـــــا التاريخي " (٣)

---

(١) محمد الهادى عفيفي : في أصول التربية الاصول الثقافية ، ص ١٢٨ .
(٢) نفس المرجع : ص ١٣١ .
(٣) نفس المرجع : ص ١٤١ .

ويرى أن التنوع الذى يوجد بين الثقافات المختلفة في القديم والحديث ، والتنوع الثقافي في المجتمع الواحد ، انما يرجع الى العوامل المادية فيقول :

" ان التنوع الكبير الذى يوجد بين الثقافات وفي السلوك الانساني في المجتمعات ، وداخل المجتمع الواحد ، يرجع الى العوامل المادية ، فهي تحدد الانتقال من نظام اجتماعي ما وثقافته الى نظام اجتماعي آخر وثقافته . . . بل وفي داخل المجتمع الواحد توجد ثقافات فرعية حسب وضع كل طبقة ومكانتها وعلاقتها بوسائل الانتاج ". (١)

وهو يعتقد أن التغير الذى يحدث في الثقافة والتطور انما يكون ايضا بفعل العامل الاقتصادى والصراع الطبقي الناتج عنه حسب ادعائه فيقول :

" فالعامل الاقتصادى بما يرتبط به من أفكار ومفاهيم ومصالح ، يعتبر على جانب كبير من الأهمية في نظرة الأفراد الى عناصرها والى ظروف حياتهم وعلاقة بعضهم ببعض ، فاحتكار جماعة من الناس لوسائل الانتاج يصحبه تناقض في المفاهيم والاتجاهات والأفكار والنظم والاجتماعية ، وقد يولد هذا التناقض صداما مستمرا بين هذه الجماعة وغيرها من الجماعات . . . وهذا كله لابد وان يؤدى الى تغيرات واسعة في الاتجاهات الثقافية وماتعبر عنه من مفاهيم وأنظمة . " (٢)

---

(١) نفس المرجع : ص ١٤٨.

(٢) نفس المرجع : ص ١٥٢.

وهكذا نجد أن المؤلف أغفل أثر العقيدة والقيم الروحية الثابتة في تشكيل الثقافة .

ومن خلال هذا العرض لآراء متضمنة في كتابين من الكتب التربوية فيما يتعلق بمفهوم الثقافة يتضح أنهما لاينطلقان من منطلقات اسلامية فهي أفكار وآراء تحمل في صميمها تناقضا وتعارضا مع الفكر الاسلامي . ان هذه الآراء والأفكار تقود الى تحطيم القيم الثابتة التي يؤمن بها المسلم ،وتحطيم الأصالة الثقافية والفكرية . وبالتالي البعد عن الوصول الى مفهوم اسلامي للثقافة نابع من العقيدة الاسلامية وصالح للتطبيق في المجتمع الاسلامي . وسيكون ردى على هذه الآراء متضمنا الرد على آراء المدرستين الغربية والماركسية .

نقد المفاهيم السابقة :

من عرض آراء المدرستين الغربية والماركسية نجد التالي :

أولا : أن مفهوم الثقافة في المدرستين انما يعكس عقائد واتجاهات واضعيه ، وهذه العقائد لاتتفق مع العقيدة الاسلامية ، فالثقافة ترتبط :

> " ارتباطا وثيقا بالاعتقاد ، بل انها تنبني على الأساس العقدى وتنتج عنه ، سواء كان هذا الأساس دينا أو فلسفة أو ايديولوجية " . (١)

---

(١) محمد فتحي عثمان : مرجع سابق : ص ٣٥ .

ومن هنا كان من الخطأ اقتباس مفهوم الثقافة من أى فكـــــــر وتطبيقه في المجتمع الاسلامي أو أخذه على أنه أمر مفروغ من صحته . وأهم نقاط الخلاف الرئيسية - في تحديد مفهوم الثقافة في المدرستين - والتي لا تتفق مع الفكر الاسلامي عند صياغته لمفهوم الثقافة مايلي :

١ - اقصاء العقيدة والدين عن التأثير وتكوين ثقافة المجتمع ، فهـــي في تصورهم من صنع الانسان ، سواء أكان فردا كما في فلسفـــة المدرسة الغربية ، أو جماعة عن طريق وسائل انتاجها كما فـــي المدرسة الماركسية .

٢ - اعتبار الدين عنصرا من عناصر الثقافة وظاهرة اجتماعية ، وهـــذا يعني في تصورهم أن الأديان ومن ضمنها الاسلام ذات منشـــأ أرضي ومصدر انساني ، وهي لذلك تتعرض للابتكارات بما يتفـــق ومنفعة الفرد والمجتمع . (١)

٣ - ربط الجمود والتخلف الثقافي بثبات القيم الخلقية ووجود اطارات عامة وثابتة من القوانين والقواعد السلوكية ، بينما في المقابـــل ربط التغير الايجابي والتطور بالتحرر من القيم والتصورات الفكريـــة الثابتـــة .

٤ - عدم وجود معيار ثابت يمكن الحكم به على التغير الثقافي ، فهـــم يرون أن أى تغير مادى لابد أن يتبعه تغير غير مادى - في الأفكـار والنظم والمعتقدات والتقاليد - والا حدث تخلف ثقافي ، ولكـــن لا يوجد معها معيار ثابت يميز بين ما هو صالح وغير صالح ، كما لا يوجد حد معين للتغير الاجتماعي والتطور الثقافي .

---

(١) هذا رأى رالف لنتون كما ورد في هذا الفصل .

واذا كانت النظرة التي تحكم المدرسة الغربية - بشأن فكرتهم عن اقصاء الدين في تكوين الثقافة - انما هي انعكاس لدور الدين المسيحي والكنيسة في المجتمع الغربي ... فهذا لا يمكن تطبيقه على الدين الاسلامي وعلى المجتمع الذى كونه والحضارة التي كانت ثمرة من ثماره ، فالثقافة في الاسلام بما تحتويه من قيم أخلاقية ونظم اجتماعية انما هي ربانية المنشأ ولكنها وضعت لكي تلائم الفطرة البشرية ، كما ان للانسان بما أودع الله فيه من عقل وارادة وحكمة التحرك والعمل والانتفاع بما في الكون من خيرات والانتفاع من التجارب البشرية بما يحقق له معنى الاستخلاف في الأرض حسب سنة الله ومنهجه ، فالله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم في وصف الأمة الاسلامية : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ (١)

يقول سيد قطب رحمه الله عند تفسير هذه الآية الكريمة مانصه :

" وهذا التعبير " أخرجت " يدل دلالة واضحة على حقيقة نشأة هذه الأمة وحقيقة النظام الذى يقوم عليه وجودها فهي أمة أخرجت اخراجا ، وفق نموذج معين ، يحققه نظام معين ، وهي لم تخرج نفسها وفق نموذج من تصوراتها العقلية ، انما وضع لها نظامها من لدن خالقها ، وأخرجت للناس وفقه اخراجا ربانيا " (٢)

---

(١) سورة آل عمران : الآية " ١١٠ " .
(٢) سيد قطب : نحو مجتمع اسلامي ، ص ١٣٧ .

أما في المدرسة الماركسية فيعكس مفهوم الثقافة عقيدتهم الالحادية والتي تحركهم وتوجه جميع مفاهيمهم ، فرأيهم بأن أساس الثقافة هو الدافع الاقتصادى فقط ، رأى يخالفه الواقع التاريخي والمنطق ، فلـــــو أن مايقولونه هو الصواب اذن لكان طابع حياة الانسان هو طابع حيـــــــاة البهائم ذاته ، لايعلو أحدهما على الآخر بشيء ، أى فما كان ينبغـــي أن ينزع الى دين يدين به ، ولا أن يتأثر بقيمة جمالية ،أو قيم أخلاقية فيحاول تطبيقها في حياته ، بل لقد كان على هذه الظواهر كلها أن تكـــــون معدومة ، ان لم نقل من حياته كلها ، ففي الطور الأول منها على أقـــل تقدير ، لكن الواقع الذى اكتشفه علماء الاجتماع والأجناس مخالف لمـــــا يقرره الماركسيون ، فجذور التدين - بقطع النظر عن نوعه وكيفيته - تمتـــد الى فجر النشأة الانسانية ، والأمثلة على ذلك من المجتمعات البدائيـــة المكتشفة حاليا في استراليا وامريكا كثيرة ، بالاضافة الى ماتدل عليه الآثـــار والوثائق التاريخية من وجود هذه النزعة (١) . والقرآن الكريم يقرر هـــذه الحقيقة في قوله تعالى : * واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهـــم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا * (٢)

" يخبر تعالى أنه استخرج ذرية بني آدم من أصلابهم شاهدين على أنفسهم ان الله ربهم وانه لا اله الا هو كما انه تعالى فطرهـــم على ذلك وجبلهم عليه " (٣)

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطي ، مرجع سابق ، ص ٢٢٥ - ٢٢٦ .
(٢) سورة الأعراف : الآية " ١٧٢ ".
(٣) تفسير ابن كثير : المجلد الثاني / ص ٢٦١ .

فالانسان مفطور على عبادة الله ، وقد تنحرف توجهة هذه الفطرة ولكن تبقى جذور التدين في النفس الانسانية على صورتها تصبغ حياة كل جماعة بصبغة تختلف عن الأخرى .

واعتبار الدين نظاما من النظم الاجتماعية لاينطبق على مفهوم الاسلام ، فالاسلام هو " أساس كل النظم ، وبالتالي فالنظم الاجتماعية تتفاعل وترتبط بأساسها - شريعة الله - ارتباطا لا انفصام فيه " (١) ، والدين الاسلامي لايمكن حصره بالأمور الروحية فقط فهو ليس مجرد عقيدة وأفكار نظرية تقبع في قلب المؤمن ثم تتحول الى عبادات وشعائر ثم ينتهي هناك ، بل هو صورة متكاملة لحياة انسانية بكل جوانبها ، يطبقها البشر في واقعهم ، * قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين * (٢)

وتتميز الثقافة الاسلامية بوجود اطار ثابت يحدد تصوراتها ويوجه سلوك أفرادها ، وفي اطار هذا المحور الثابت لها حرية الحركة لمواجهة الحاجات والأوضاع المتطورة والمتجددة ، فهي ليست كما يدعي المتأثرون بالأفكار الغربية تؤدي الى الجمود والتخلف ، بل ان لهذا الثبات غاية وهدفا فقيمته :

> " ضبط الحركة البشرية والتطورات الحيوية فلا تمضي شاردة على غير هدى كما وقع في الثقافة الغربية عندما أفلتت من عروة العقيدة ... وقيمته ايضا وجود الميزان الثابت الذي يرجع اليه الانسان بكل

---

(١) محمد علوان : مفهوم اسلامي جديد لعلم الاجتماع ، ص ٥٠ .
(٢) سورة الأنعام : الآية " ١٦٢ " .

. . . مايعرض له من مشاعر وأفكـــــار
وتصورات وبكل مايجد في حياته مـــن
ملابسات وظروف وارتباطات فيزنهـــا
بهذا الميزان الثابت ليرى قربهـــا
أو بعدها عن الحق الصواب . . " (١)

فاذا كان مفهوم الثقافة يعكس عقيدة واتجاه واضعيه فانـه مـــن ازدواجية النظرة والشخصية أن يأخذ المربون المسلمون بهذا المفهوم دون نقد أو تمحيص .

ثانيا : أن مفهوم الثقافة في المدرستين انما يصور واقعا اجتماعيا يعيشـــه واضعوا هذه المفاهيم .

" فتعريف الثقافة بصورة أو بأخرى مكتمـل
ضمنا في فكرعالم الاجتماع الامريكـــي
أو في فكر الكاتب الماركسي . والسؤال
الذى يرد أمام كليهما في صورة " ماهـــي
الثقافة ؟ " يأخذ لديه نفس الاتجـاه
ونفس المعنى : فهي تتصل لديهمـــا
بفهم واقع اجتماعي معين موجود بالفعـل
في نطاق تاريخي معين . أو موجـــود
في حيز القوة في نطاق فكرى معيـــن
ايضا " . (٢)

فمفهوم الثقافة في المدرسة الغربية انما يعكس اطار الحضـــارة الغربية .. وهو في المدرسة الماركسية يعكس اطار الفكر الماركســـي ،

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، ص ٨٨.
(٢) مالك بن نبي : مرجع سابق ، ص ٣٧ - ٣٨ .

وعلى هذا فان مايصور مجتمعا معينا لايمكن أن ينطبق على مجتمع آخر يختلف معه في العقيدة والاتجاه والهدف ويختلف معه ايضا في عمر التطور الاجتماعي . . . وهذا الأمر في حد ذاته يجعلنا نقف حذرين أمام المفاهيم التي يستعيرها المربون المسلمون في تعريفهم ووصفهم للثقافة .

ولو نظرنا في تعريف "رالف لنتون" و"أوجبرن" فسنجد فيهما نظرة متشابهة الى عالم الاشياء ، ويرجع ذلك الى أن فكرهما صادر من مجتمع واحد هو مجتمع الولايات المتحدة الامريكية .

فلنتون يربط أى نمو أو تغيير في الثقافة بعنصر البديلات الذى حدده في اطار من الأفكار الجديدة ، كالمخترعات والمذاهب الجديدة ، فاذا كانت هذه النظرة تنطبق على واقع مجتمع الولايات المتحدة خاصة وأن ثقافته قد نمت بعد ظهور هذا الاطار من " البديلات " الا انه يصعب تطبيقها على المجتمع الاسلامي المعاصر ، الذى يحتاج لكي يسير في طريق التطور أن يتخلص أولا من كثير من الشوائب التي علقت بثقافته من عادات وتقاليد وأفكار أبعدته عن الاطار السليم للثقافة الاسلامية وأن يعود الى اطار ثقافته الاسلامية الموضحة في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

كما أن كثيرا من المذاهب الفكرية الجديدة يتعارض بصورة واضحة مع العقيدة الاسلامية اى انها قد لاتحمل بذور التطور والتغير الايجابي بل العكس التغير السلبي .

أما نقض تعريف أوجبرن للثقافة فيعلله المفكر مالك بن نبـــــي بقولـــه :

" أما أوجبرن فحين وضع تعريفه لا بـــــد
أن يكون نظره قد وقع على ذلك العالـــم
الملي ء بالأشياء والأدوات والأجهـــــزة
فهو يرى أن الشيء يخلق الفكرة وبناء عليه
يكفي أن نتصور زوال الأشياء حـــــتى
تنهار الثقافة كأنها بناء قوض أساسه " (١)

ولكن الواقع التاريخي يؤكد عكس هذه النظرية في بعض المجتمعات حيث نرى ان مجتمع شبه الجزيرة العربية الجاهلي ينهض فجأة وينشيء حضارة مزدهرة ، وثقافة مستقلة ، بفضل عالم أفكاره المنبثـق مـــــن العقيدة الاسلامية ، رغم عدم ظهور عالم أشيائه الا بعد ذلك ، وماينطبق على النهضة ينطبق على التدهور ، فتدهور المجتمع الاسلامي بعد ذلـك لايعود الى اختفاء عالم أشيائه أولا ولكن الى اختفاء كثير من القيـــــم والمبادىء والأفكار التي نادى بها الاسلام .

ولقد مرت ألمانيا ، كما تعرضت روسيا لظروف قاسية ، أبـــــان الحرب العالمية الثانية ، ولقد رأت الدولتان - وبخاصة المانيا - الحـــرب تدمر " عالم الأشياء " فيهما حتى أتت على كل شيء تقريبا ، ولكنهمـــا سرعان ما أعادت بناء كل شيء ، بفضل رصيدهما من الأفكار . (٢)

---

(١) نفس المرجع : ص ٣٤ - ٣٥ .
(٢) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص ٣٤ .

وفي هذه الوقائع التاريخية رد على من يأخذ بآراء (أوجبرن) من أن التغير المادى يكون اكثر شدة واسرع تأثيرا في المجتمع من المتغيرات غير المادية ، كما ذكر ذلك " منير مرسي سرحان " مؤلف كتاب " في اجتماعيات التربية " الذى أشرت اليه سابقا ، كما أن محافظة المجتمع الاسلامي على عقيدته وقيمه الأخلاقية الثابتة المنبثقة منها ، ومحافظته على أداء شعائره التعبدية لا يؤدى الى جمود الثقافة كما يدعي مؤلف الكتاب السابق ، بل انها الحافز الأكبر على التقدم والتطور .

ومفهوم الثقافة في المدرسة الماركسية يتصل بفهم واقع اجتماعي موجود في حيز القوة في نطاق الفكر الماركسي ، غير أنه لايمكن بأى حال أن نطبقه على أى واقع اجتماعي آخر ، وكمثال على ذلك : في تفسير أحد الظواهر الاجتماعية .

فلقد كانت تنتشر في المجتمع الجاهلي عادة " وأد البنات " بسبب عوامل اقتصادية يقررها القرآن الكريم .. ثم يدعو القرآن الى ترك هذه العادة الجاهلية في قوله تعالى : ﴿ ولا تقتلوا أولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطئا كبيرا ﴾ (١)

" وعن عبد الله بن مسعود قلت : يارسول الله أى ذنب أعظم ؟ قال : " أن تجعل لله ندا وهو خلقك " قلت : ان ذلك لعظيم ، قلت : ثم أى ؟ قال : " أن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك .. " (٢)

---

(١) سورة الاسراء : الآية " ٣١ " .

(٢) صحيح البخارى بشرح احمد بن حجر العسقلاني : حـ ٨ . كتاب التفسير باب ٣ . ص ١٦٣ .

ومع نزول هذا الأمر الالهي وتأكيد الرسول صلى الله عليه وسلم على النهي ، نجد ان هذه العادة قد اختفت بين المسلمين ، ولم يكن اختفاؤها نتيجة تغيير في الظروف الاقتصادية الى الافضل ، بل على العكس من ذلك فقد عانى المسلمون من شظف العيش ، وانما كان بسبب تغير في الأفكار والقيم التي جاءت بها العقيدة الاسلامية ، وبذلك ثبت بطلان تصور المدرسة الماركسية من ان العوامل المادية والاقتصادية هي أساس الثقافة وسبب التغير في القيم والسلوك.

ومن خلال ماتم توضيحه من ارتباط " مفهوم الثقافة " بعقيدة واضعيه وبواقع المجتمع الذى يعيشون فيه ، فانه يمكن القول أن المفاهيم التي تحتويها كتب التربية المتأثرة بالمدارس السابقة بعيدة عن الأصالة الفكرية ، فهي بعيدة عن تمثل الاسلام وواقعه الاجتماعي الذى يسعى الى ايجاده .

لذلك كان من الضرورى وضع مفهوم اسلامي للثقافة ، نتخذه مقياسا نقيس به سلوك المسلمين اليوم ، ونصلح به ما انحرف من سلوكهم ، لنعيش حياة قريبة من حياة المسلمين في المجتمع الاسلامي الاول ، اى حياة تعكس عقيدة الاسلام ، وقيمه الخلقية ، وأنظمته التي وضع لها اطاراتها بدقة ووضوح الخالق سبحانه وتعالى .

المفهوم الاسلامي للثقافة :

لتحديد مفهوم الثقافة لابد أن نراعي أمرين هما :

الأول : أن يكون هذا المفهوم نابعا من التصور الاسلامي .

الثاني : أن لايكون المفهوم دراسة لواقع اجتماعي معاصر فقط، بل أن يصلح لايجاد واقع اجتماعي كما يريده الاسلام، من خلال تكوين شبكة من العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراده قائمة على القيم الاسلامية الثابتة ، أى لايقتصر المفهوم على الناحية النظرية فحسب ، بل لابد أن ينضاف اليه وجهة النظر العملية .

ولقد وضع المفكر " مالك بن نبي " مفهوما للثقافة يقود الى التغيير الاجتماعي فهو يعرفها بأنها :

" مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته وتؤثر فيه وتصبح لاشعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذى ولد فيه ، فهي على هذا المحيط الذى يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته " (١)

ويمكن من هذا التعريف ملاحظة أن الثقافة ليست مجموعة من الأفكار فقط ، ولكنها نظرية في السلوك يجب أن يضم الفرد والجماعة معا بانسجام في كيان واحد ، فهي علاقة متبادلة تحدد السلوك الاجتماعي لدى الفرد بأسلوب الحياة في المجتمع ، كما تحدد أسلوب الحياة بسلوك الفرد .

فالفرد منذ ولادته يمتص الصفات والقيم الموجودة في المجتمع والتي تشكل اسلوب حياة المجتمع ، اما عن طريق التلقين والتعليم أو عن طريق ما يستنبطه من الأذواق والاستحسان لأمور كثيرة في المجتمع الذى

---

(١) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص ٧١ .

يعيش فيه ، مما يؤثر في سلوكه فتصدر أفعاله بطريقة لا شعورية متفقة مع اسلوب الحياة ، وهو لايستطيع الخروج عن ذلك اذ يقابل بردود ع مختلفة شرعّها الدين الاسلامي ، وفي المقابل لاتستطيع أن تشذ جماعة أو نظام من أنظمة المجتمع الا ويقابل من قبل الأفراد بالاعتراض والانكار حيث يمارس الافراد كل حسب موضعه ومسئوليته واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وبذلك تتحقق العلاقة المتبادلة في صورة التزام مزدوج بين الفرد والمجتمع ، وتوافق بين المبدأ والواقع . وفي هذا تحقيق لمفهوم الثقافة . .

ومفهوم مالك بن نبي السابق للثقافة مفهوم عام وحتى نستطيع الأخذ به لابد من اضافة بعض النقاط اليه ، وهذه النقاط هي :

أولا : تحديد مصدر الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية ، فمالك لم يشر الى مصدر هذه الصفات في تعريفه وان كان يظهر في ثنايا كلامه السابق واللاحق أن مصدرها هو " العقيدة الاسلامية " ، فهي صفات وقيم ثابتة انبثقت من عقيدة التوحيد ، ولا تقتصر على الفرد فقط بل هي فردية وجمعية ، وتعمل على ايجاد شبكة من العلاقات الاجتماعية المتماسكة والمنسجمة ، وتحقق أعلى درجة من التفاعل الاجتماعي وهي بذلك تحدد اطار الثقافة في المجتمع الاسلامي ، وذلك أن ظهور العقيدة الاسلامية أحدث الشرارة الروحية الأولى مؤذنا ببداية ظهور مجتمع اسلامي ، وهي التي ان طبقت في العصر الحاضر تكون بداية لمجتمع اسلامي موحد الأهداف والاتجاهات يسعى لتحقيق رسالته التي أوضحها له الله سبحانه وتعالى .

ثانيا : يرى مالك بن نبي أن العلم لايعد ركنا اساسيا أو شرطا هاما في تحديد اطار الثقافة ، فهو يركز في تحديد اطار الثقافة على جانب السلوك الاجتماعي فقط ، لذلك فهو يرى أن الطبيب والراعي في المجتمع الغربي مثلا يتشابهان بدرجة كبيرة في سلوكهما رغم اختلافهما في درجة المعرفة والعلم ، بينما يختلف الطبيب المسلم عن الطبيب الانجليزى في سلوكهما رغم أن تكوينهما المهني يتم في اطار فني واحد وضمن جامعة واحدة (١) ويؤكد ذلك بقوله : " فالتماثل أو الاختلاف في السلوك ناتج عن الثقافة لاعن التعليم " (٢)

ونحن نتفق مع " مالك بن نبي " في أن الثقافة هي المحيط الاجتماعي الذى يتحرك داخله الفرد فيتحد سلوكه مع أسلوب الحياة ، الا أن لنا وقفة في دور العلم في تحقيق السلوك الاجتماعي واسلوب الحياة في اطار الثقافة الذى يريده المجتمع .

فالعلم ينقسم الى قسمين وهما :

١ - علم مادى تجريبي : يؤخذ عن طريق الملاحظة والتجريب والاستنتاج كعلم الطبيعة والكيمياء (٣) . وهذا العلم عالمي لايؤثر في السلوك الاجتماعي ، وهو ماقصده مالك بن نبي ، حيث يختلف سلوك الطبيب المسلم عن الانجليزى رغم أنهما تلقيا العلم في جامعة واحدة .

---

(١) نفس المرجع : ص ٥٠ - ٥١ .
(٢) نفس المرجع : ص ٧١
(٣) سميح عاطف الزين : الاسلام وثقافة الانسان ، ص ٢٨٢ .

٢ - علوم انسانية : كالتاريخ والأدب والاجتماع والفقه والأخلاق فهذه تختلف من أمة الى أخرى ، لأنها تحمل تصورات كل أمة عن الكون والحياة والانسان .

لذلك رأينافي عرضنا لمفاهيم المدرستين " الغربية والماركسية " للثقافة كيف يعكس كل مفهوم الفلسفة التي يؤمن بها المجتمع فهذه العلوم :

> " تصور شخصية الأمة وملامحها الفكرية والنفسية ، وتشرح عقائدها التي تنطلق منها ، وأهدافها التي تنطلق اليها ، وتقاليدها وأخلاقها وشرائعها بدءً من الأسرة الى علائقها الدولية ، كما تشرح آدابها ولغتها وخصائص شعرها ونثرها .. وتهتم بالتاريخ لتربط الأجيال اللاحقة بالأجيال السابقة ، وتربط الولاء الخاص والعام بالقيم المقررة والشعائر الظاهرة " (١)

وهذا النوع من العلوم له أثر كبير على سلوك الانسان فهي " تدخل في تكوين الوجدان وأركان بناء الشخصية ، وتهيمن على توجيه الفكر والسلوك في الانسان " (٢) ، لذلك كان الالمام بهذه العلوم ذا أثر كبير في تحديد ثقافة الانسان ، فالمسلم لو درس آداب الغرب وفنونهم وتاريخهم وأخلاقهم وفلسفتهم - ولم تكن لديه الخلفية الاسلامية

---

(١) محمد الغزالي : مشكلات في طريق الحياة الاسلامية ،ص ٤٦ .
(٢) أنور الجندى : تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة ،ص ١٦٩

الكاملة ـ لكان سلوكه وتصوره أقرب الى الغرب منه الى الاسلام ، لذلك كان لابد من الاهتمام بهذا النوع من العلوم وأن تكون نابعة من الفكر الاسلامي لأنها تعين على معرفة أبعاد السلوك والحكمة منه وتدعمه بالحجة ، وهذا يزيد الثقافة قوة ومتانة وفائدة .

وتظهر مكانة العلم الكريمة في قوله تعالى : ﴿ ... فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ومايعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ... ﴾ (١) . وفي تعليل ذكر قوله تعالى : ﴿ والراسخون في العلم ﴾ مقابل لقوله : ﴿ وأما الذين في قلوبهم زيغ ﴾ يذكر ابن حجر العسقلاني في شرحه أن الرسوخ

> " لايحصل الا بعد التتبع التام والاجتهاد البليغ ، فاذا استقام القلب على طريق الرشاد ورسخ القدم في العلم أفصح صاحبه النطق بالقول الحق " (٢)

ومن هنا يمكن القول أن الرسوخ في العلم يعطي سلطانا لايتيسر لمن لم يرسخ في العلم ، ويستطيع به أن يوجه سلوكه .

---

(١) سورة آل عمران : الآية " ٧ " .
(٢) احمد بن حجر العسقلاني : فتح البارى بشرح صحيح البخارى حـ ٨ . كتاب التفسير باب ١ ، ص ٢١١ .

" ومايقال عن العلم والاخلاق والثقافة من أنها متغايرة ، سببه تفاوت في رسوخ العلم وزيادته ، وأصل التشويش الذى يحدث ، هو أن السلوك في مرحلة من مراحل العلم ، لايتكيف مع العلم الذى حصل كالذى " أضله الله على علم " (١) ولكن هذا ليس عيبا في العلم ، وانما هو نقص في ترسيخ العلم ، ونقص في صاحبه ينبغي أن يكمله بالزيادة منه ، والترسخ فيه " (٢)

ولقد ظهر تمسك المسلمين بالمعرفة فيما روى عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : " كان الرجل منا اذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن " (٣)

" فالمعرفة هنا تعني ادراكا كاملا ، وانفعالا بهذا الادراك يتم في أعماق النفس وأغوار الضمير .. ثم يعمل بهن ، وبهذا الادراك الكامل لوظيفة القرآن امكن انشاء حياة جديدة كاملة لم يعرفها العرب قبل الاسلام ، ويمثل هذا الادراك الكامل يمكن أن يحقق الاسلام ذاته في عالم النفس وفي عالم الواقع وفي كل زمان ومكان " (٤)

---

(١) سورة الجاثية : الآية " ٢٣ ".
(٢) جودت سعيد : حتى يغيروا مابأنفسهم ، ص ١٢٥ .
(٣) تفسير ابن كثير : حـ ١ ، ص ٣ .
(٤) سيد قطب : في التاريخ فكرة ومنهاج ، ص ٢٦ - ٢٧ .

لذلك حث القرآن الكريم على طلب العلم والمعرفة ، وقرر القرآن أن العالم والجاهل لايستويان ، فهما لايستويان في معرفتهما للامور التي تنعكس على ادراكهما للحجة على مايقومان به من سلوك في اطار الثقافة الاسلامية وذلك مصداق لقوله تعالى :

" * أمن هو قانت ءأناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه ، قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون انما يتذكر أولو الألباب * "(١)

وجاء في تفسير هذه الآية الكريمة :

" بين تعالى أن المؤمن ليس كالكافر .. ثم ضرب مثلا فقال : * هل يستوى الذين يعلمون والذين لايعلمون * أى : هل يتساوى العالم والجاهل ؟ فكما لايستوى هذان كذلك لايستوى المطيع والعاصي .. قال الامام الفخر : واعلم أن هذه الآية دالة على أسرار عجيبة ، فأولها أنه بدأ فيها بذكر العمل ، وختم فيها بذكر العلم ، أما العمل فهو القنوت ، والسجود والقيام ، وأما العلم ففي قوله تعالى : * هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * وهذا يدل على أن كمال الانسان محصور في في هذين المقصدين .. وفيه تنبيه عظيم على فضيلة العلم " (٢)

---

(١) سورة الزمر : الآية " ٩ " .
(٢) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، حـ ٣ ، ص ٧٢ - ٧٣ .

وبسبب ماللعلم من أهمية في ادراك أبعاد السلوك وأبعاد القيم الخلقية مما يؤدى الى ممارستها باقتناع والتمسك بها ، فلقد حث القرآن الكريم على التفكر والتدبر في الحكمة من وراء القيم الخلقية والتشريعات والأحكام ومنها قوله تعالى : * وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون * (١) ، ان في هذه الآية الكريمة حث للمؤمنين على معرفة فوائد الصيام حتى يدركوا " الخير " الذى جاء في الآية . وكما في قوله تعالى : * ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب لعلكم تتقون * (٢) أى أن من وراء القصاص حكمة عليكم بمعرفتها يا أولي الألباب والعقول والأفهام والنهي لعلكم تنزجرون وتتركون محارم الله (٣) ، فمعرفة الحكمة من وراء الحكم الشرعي يكون حافزا على اتباع الأوامر وترك النواهي .

ومن خلال ذلك نجد أن العلم يزيد الثقافة قوة اذ يصدر سلوك الأفراد عن اقتناع وادراك كامل وبذلك تتحد صور السلوك الاجتماعي مع اسلوب الحياة الذى يريده الاسلام لذلك كان لابد أن يدخل العلم في تحديد مفهوم الثقافة .

ومن خلال العرض السابق لمفهوم الثقافة عند مالك بن نبي والاضافات التي تكمله . . يمكن تعريف الثقافة بأنها " اطار من القيم الخلقية والصفات الاجتماعية المستمدة من الدين الاسلامي ، والتي يلقاها الفرد منذ ولادته وتؤثر في طباعه وشخصيته ، وتؤدى الى قوة التماسك في المجتمع بحيث تربط سلوك الفرد بأسلوب الحياة وتحدد أسلوب الحياة بسلوك الأفراد ، ويزيد التزام الفرد بهذا الاطار بزيادة رسوخه في العلم اذ يصدر سلوكه عن اقتناع وادراك كامل . وهذا الاطار الذى يربط بين أفراد المجتمع ينتج عنه جميع العلوم والفنون والصناعات.

---

(١) سورة البقرة : الآية " ١٨٤ ".
(٢) سورة البقرة : الآية " ١٧٩ ".
(٣) تفسير ابن كثير : حـ ١ ، ص ٢١١ .

تطبيق المفهوم الاسلامي للثقافة في مجتمع صدر الاسلام :

بنى الاسلام ثقافته وحضارته العظيمة في مدة وجيزة في عمر الدول والحضارات ، حين وهب للعالم تماسكا وروحا جماعيا ، وبدأ بتكوين مجتمع المدينة المنورة ، فبعد أن كان ذلك المجتمع في جاهليته وحدات مفككة ، وقبائل متناحرة ، حوله الاسلام الى مجتمع متماسك ، طبق فيه المفهوم الاسلامي للثقافة ، حيث اتحد شكل السلوك مع اسلوب الحياة في المجتمع في انسجام كامل وتحققت فيه المبادئ والقيم في عالم الواقع ، وهي صورة تتفق مع حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا " (١) . وهو الحديث الذى يعطي الصورة الدقيقة لمجتمع صدر الاسلام في المدينة المنورة ، ذلك المجتمع الذى قام على نسق متكامل جعل :

> " لدى الناس القدرة على قيادة أفعالهم . .
> وأدى هذا الى معرفة ردود أفعال
> الآخرين ، طالما الترتيب معروف للجميع ،
> ومن ثم أمكن للعلاقات الاجتماعية أن تسير
> في سهولة ويسر " (٢)

والبحث عن عناصر هذا التماسك والروح الجماعية التي جاء بها الاسلام يقود الى مجموعة من الأسس والعوامل التي تفاعل بعضها مع بعض وأوجدت ذلك المجتمع الفريد في ثقافته وحضارته ، وهذا البحث

---

(١) صحيح البخارى : مرجع سابق : حـ ١٠ ، كتاب الادب باب ٣٦ ، ص ٤٥٠ .

(٢) محمد فؤاد حجازى : البناء الاجتماعي ، ص ٢٠١ .

في اسباب تماسك المجتمع في صدر الاسلام وازدهار ثقافته ليس من بـــاب تمجيد الماضي والتباكي على الحاضر ، بل هو لمعرفة سنة الله فـــي التاريخ كما في قوله تعالى : * فهل ينظرون الا سنت الأولين فلـــن تجد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا * (١) .

وابن خلدون يؤكد هذا المعنى عندما يدعو الى ضرورة النظر في ســـنن التغير في التاريخ فيقول في مقدمته عند وصفه لطريقة جمع المؤرخيـــن واستيعابهم للأخبار :

" ثم اذا تعرضوا لذكر الدولة نسقـــوا أخبارها نسقا ... ولا يتعرضـــون لبدايتها ، ولا يذكرون السبب الـــذى رفع من رايتها وأظهر من آيتها ولا علة الوقوف عند غايتها .. " (٢)

واذا كان ابن خلدون قد جعل أساس بحثه الدول فان

" ادراك الموضوع على أساس الحضـــارة ينطبق عليه نفس النظر وهذا مايحتـــاج اليه العالم الاسلامي لبحثه كثقافة حضـــارة لا كدولة ، اذ الدولة جزء من الحضـــارة ونتاج لها " . (٣)

---

(١) سورة فاطر : الآية " ٤٣ " .
(٢) ابن خلدون : المقدمة ، ص ١١ .
(٣) جودت سعيد : مرجع سابق ، ص ٥٥ .

والنظر في عوامل التغيير التي أحدثت هذا الانقلاب العظيم من مجتمع جاهلي متفكك الى مجتمع متماسك متحد ، يهدى أى منهج يريد اصلاح المجتمع الاسلامي الحالي عن طريق محاولة الوصول وتطبيق هذه العوامل التي أنتجت الصورة الأولى . ذلك لأن

" نهضة مجتمع ما تتم في نفس الظروف العامة التي تم فيها ميلاده كذلك يخضع بناؤه واعادة هذا البناء لنفس القانون " (١)

كما أن معرفة السنن التي تشد البنيان بعضه الى بعض ، هي التي تمكن من بناء يبقى على مر الزمن ، ومن معالجة أى خلل يطرأ عليه . فما هي العوامل التي أدت الى ازدهار الثقافة في صدر الاسلام ؟ ؟ .

عوامل تماسك المجتمع الاسلامي الأول والتزامه بثقافته :

لقد أدى وجود هذه العوامل في مجتمع صدر الاسلام الى تطبيق مفهوم الثقافة الاسلامي ، فأصبح السلوك الفردى نموذجا لأسلوب الحياة في المجتمع ، وذلك لأن شخصية كل فرد انما تعكس الاطار الاسلامي الذى وضعه الاسلام بمصدريه العظيمين القرآن الكريم والسنة الشريفة . وهذه العوامل هي :

---

(١) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص ٦٩ - ٧٠ .

أولا - وحدة العقيدة ووحدة القاعدة الفكرية :

يعرف السيد سابق العقيدة بأنها :

" التصديق بالشيء والجزم به دون شك أو ريبة ، فهي بمعنى الايمان . يقال : أعتقد في كذا : أي آمن به ، والايمان بمعنى التصديق " (١)

وللعقيدة التي يؤمن بها الانسان أثر كبير في تحديد أفكاره وأنماط سلوكه ، فيقول نبيل السمالوطي :

" تحتل العقيدة مكانة كبرى لدى كل انسان - حتى الملحد - ولدى كل المجتمعات حتى تلك التي لاتعترف بالأديان ، وتعد العقيدة الموجه الأساسي لسلوك الفرد ، حيث تتحول الى موجهات قيمية تترجم الى دافع سلوكي ، فالمعتقدات هي التي تحكم وتصبغ وتحدد القيم وهذه الأخيرة هي التي تحدد مسارات السلوك وتضبطه وتحكمه وتوجهه " (٢)

ولقد جاء الاسلام بعقيدة التوحيد ، التي أساسها الايمان بالله وافراده بالألوهية وحده لاشريك له . ولعقيدة التوحيد مقتضيات في الحياة فهي تقرر أن هناك الوهية يتفرد بها سبحانه وتعالى كما

---

(١) السيد سابق : العقائد الاسلامية ، ص ٨ .
(٢) نبيل السمالوطي : بناء المجتمع الاسلامي ونظمه ، ص

في قوله تعالى : ﴿ قل هو الله أحد ﴿ الله الصمد ﴿ لم يلد ولم يولد ﴿ ولم يكن له كفوا أحد ﴾ (١) . وعبودية لكل ماعدا الله لألوهيته كما في قوله تعالى : ﴿ وان من شيء الا يسبح بحمده ﴾ (٢) " لهذا كان عنوان التوحيد لا اله الا الله " (٣) . فلا معبود ولا رزاق ولا متصرف في أى شأن من شئون الكون الا الله سبحانه وتعالى ، ولا مشرع ولا منظم لحياة البشر وعلاقاتهم وارتباطاتهم الا الله سبحانه وتعالى .

" فيتوجه المسلم لله وحده بالشعائر التعبدية وبالطلب والرجاء والخشية والتقوى .. ويتلقى من الله وحده التوجيه والتشريع ومنهج الحياة ، ونظام المعيشة ، وقواعد الارتباطات وميزان القيم والاعتبارات " . (٤)

ولقد كان لرسوخ هذا المعنى للعقيدة ومقتضياتها في نفوس المسلمين الأوائل الآثار العظيمة التي لايمكن استقصاء كل جوانبها . لقد أحدث انقلابا هائلا في نفوس المسلمين ، وتحولت بفضله جماعات البدو البسطاء الى دعاة اسلاميين تتمثل فيهم خلاصة الحضارة الاسلامية وقيمها الخلقية الرفيعة ، كل ذلك لشدة اتصال العقيدة ومقتضياتها بحياة المسلم النفسية والخلقية ، وبالحياة الاجتماعية وأنظمتها :

---

(١) سورة الاخلاص :
(٢) سورة الاسراء : الآية " ٤٤ " .
(٣) ابن تيمية : العبودية ، ص ٨ .
(٤) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته ، ص ٢٢٢ .

" فهي الموجه الأساسي للحياة السياسية وللفتوحات الاسلامية وللحياة العلمية والثقافية والاقتصادية ، وليست جميع هذه الجوانب الا مظاهر لحركة العقيدة الدافعة ونتائج متولدة عنها ومنسجمة معها " (١)

وأهم آثار العقيدة سواء في النفس أو في المجتمع والتي أدت الى تماسك المجتمع ووحدته مايلي :

١ - تكوين قوة داخلية ضابطة " يقظة الضمير " :

وهذه القوة الداخلية هي قوة نفسية واجتماعية عظمى تقوم بمهمة الردع والدفع من ناحية والتنظيم من ناحية أخرى ، فهي رادعة عن الشر زاجرة عن اقتراف المعاصي ، حارسة لأمانة الانسان وعفافه وكرامته أمام المطامع والشهوات الجارفة (٢) ، دافعة الى عمل الخير في الجهر والسر ، ارضاء لله ، واستشعارا للمسئولية العظمى أمامه ، فهو العالم بما في النفوس ، لذلك جاء في الحديث الشريف : " ان الله لاينظر الى صوركم وأموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم وأعمالكم " (٣). تأكيدا على ضرورة تطهير الوجدان ، ليكون خالصا لله وحده ، فكل مايصدر عن المؤمن بعقيدة التوحيد ، يصدر خالصا لله طلبا لرضاه ، واجتنابا لغضبه ، فهذا الضمير اليقظ والقوى الضابطة تعد أقوى وازع يقي الفرد والمجتمع من الزلات الخلقية والسقطات البشرية التي تؤدى الى تفكك المجتمع.

---

(١) محمد المبارك : المجتمع الاسلامي المعاصر ، ص ٤٩.
(٢) ابو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، ص ١٠٣
(٣) صحيح مسلم : حـ ١٦ ؛ كتاب البر ، ص ١٢١.

ولقد قامت هذه القوة الضابطة بتنظيم كل الغرائز والقوى التي في داخل الانسان في علاقة وظيفية مع مقتضيات العقيدة الاسلامية " فلا تتأرجح معها الصور ولا تهتز معها القيم ، ولا يتميع فيها التصور ولا السلوك " (١) ، وبذلك فهي أقوى منظم يحدد تصورات وقيم وسلوك أفراد المجتمع اذ يربطها بعقيدة واحدة وهدف واحد .

٢ - تحرير الانسان والمجتمع من كل أنواع الاستعباد والعبودية الا لله وحده:

وتم هذا التحرر بفهم المسلمين لمعنى ، لا اله الا الله وعملهم بمقتضاها

" فكلما ازداد القلب حبا لله ازداد له عبودية وحرية عما سواه ، وكلما ازداد له عبودية ازداد له حبا وحرية عما سواه "(٢)

ويظهر هذا التحرر في عدة نواحي كان لها أكبر الأثر على تماسك المجتمع منها :

أ - تحرره من نوازعه الغريزية الى حد كبير .(٣)

فهذه النوازع الغريزية تقيد الانسان عن الانطلاق نحو قيم أخلاقية عالية ، فكان من نتيجة هذا التحرر العزة والأنفة وسمو النفس ، والشجاعة النادرة ، وكان الايثار على النفس كما في قوله تعالى :

---

(١) سيد قطب : خصائص التصور الاسلامي ومقوماته : ص ٢٢٦ .
(٢) ابن تيمية : مرجع سابق ، ص ٢٩ .
(٣) محمد المبارك : مرجع سابق ، ص ٤٧ .

" * الذين تبوأوا الدار والايمان من
قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون
في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون
على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة * ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون *" (١)

وغيرها من الصفات التي اتضحت بعد أن آخى الرسول صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار ، فكان هناك انصهار أو دمج اجتماعي وحدّ المجتمع على أساس متين من الرباط الروحي الذى حل مكان رباط النسب والدم . (٢)

ب - تحرره من تأليه البشر والخضوع لهم خضوع انقياد واستسلام في شتى مجالات الحياة :

لأن خضوع الانسان المطلق لايكون الا لله وحده ، وبذلك فلا حاكمية الا لله ولا مشرع للبشر الا الله وحده : * ان الحكم الا لله أمر ألا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم * (٣)

---

(١) سورة الحشر : الآية " ٩ " .
(٢) اكرم ديرانيه : الحكم والادارة في الاسلام ، ص ٥٣ .
(٣) سورة يوسف : الآية " ٤٠ " .

ويقول عمر عودة الخطيب :

" وحين تكون الحاكمية العليا في مجتمع لله وحده ، متمثلة في سيادة الشريعة الالهية ، تكون هذه هي الصورة الوحيدة التي يتحرر فيها البشر تحررا كاملا وحقيقيا من العبودية للبشر ، وتكون هذه هي الحضارة الانسانية لأن حضارة الانسان تقتضي قاعدة أساسية من التحرر الحقيقي الكامل للانسان " (١)

حـ - تحرره من سلطان الخرافات والأساطير المرتبطة بالعقائد الوثنية :

يقول محمد المبارك :

" فقد تميزت العقيدة التي جاء بها الاسلام بتفريق واضح بين الايمان بالحقائق الغيبية في مجال الغيبيات واستعمال التفكير والروئية والسمع في مجال العلم الكوني وبذلك لم يحدث تعارض ولا تناقض بين الايمان الديني في حياة المسلم ونظرته الواقعية التجريدية السببية " . (٢)

لذلك فالحضارة التي قامت في العالم الاسلامي انما هي ثمرة من ثمرات هذا التحرر وتحويل التوجه الانساني من التعدد الى الوحدة ، وثمرة من ثمرات هذا الدفع نحو استعمال الفكر والسمع والبصر .

---

(١) عمر عودة الخطيب : مرجع سابق ، ص ٢٤٩ - ٢٥٠ .
(٢) محمد المبارك : مرجع سابق ، ص ٤٨ .

٣ - تحقيق التماسك والتكامل الاجتماعي :

لقد ربطت العقيدة الاسلامية بين أفراد المجتمع الاسلامي الأول عن طريق ما حققته من الشعور بالترابط والتقارب والألفة والمودة ، نتيجة لوحدة المنطلق وهي توحيد الله ، ووحدة الهدف وهي تحقيق العبودية لله وحده ، ويظهر ذلك في قوله تعالى :

" * ... هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين *
وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض
جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف
بينهم انه عزيز حكيم * " (١)

فالله سبحانه وتعالى ألف بين قلوب المؤمنين ، أى جمعها على الايمان وفي ذلك يقول ابن كثير :

" رغم ما كان بينهم من العداوة والبغضاء
فان الانصار كانت بينهم حروب كثيرة
في الجاهلية بين الأوس والخزرج وأمور
يلزم منها التسلسل في الشر حتى
قطع الله ذلك بنور الايمان " (٢)

فالايمان يجعل الجماعات تتلاقى وتترابط لامن أجل مصلحة أو منفعة ولكن حبا في الله .

---

(١) سورة الأنفال : الآيتان " ٦٢ - ٦٣ " .
(٢) تفسير ابن كثير : المجلد الثاني ، ص ٣٢٣ .

لذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" ان من عباد الله لأناسا ما هم بأنبيـــاء ولا شهداء ، يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالـــى . قالوا : يارسول الله تخبرنا من هـــم . قال : هم قوم تحابوا بروح الله بينهـــم على غير أرحام بينهم ، ولا أمـــــوال يتعاطونها ، والله ان وجوههم لنـــور وأنهم لعلى نور ، لايخافون اذا خـاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس " (١)

ثانيا - القيم الخلقية الاسلامية :

تعتبر الأخلاق أساس رقي الانسان اذا تمسك بها ، ولقـد جـاء الاسلام بقيم اخلاقية عظيمة ، وهي ليست بشيء مستقل عن الاخـــلاق الانسانية بل هي متممة ومكملة لها . لذلك يقول الرسول صلى الله عليـه وسلم : " انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق " (٢)

ومن خصائص الأخلاق الاسلامية والتي كان لها الأثر الأكبر فـــي ثقافة مجتمع صدر الاسلام :

أ - ارتباطها بالعقيدة الاسلامية : فالأخلاق الاسلامية تنبثق مـــن جوهر العقيدة وهي ثمرة من ثمرات الايمان والعبادة ، فالايمـــان يؤدي الى تقوى الله والاخلاق الاسلامية :

---

(١) مسند الامام احمد بن حنبل : حـ ٥ ، ص ٢٤١ .
(٢) محمد ناصر الدين الألباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة . المجلد الأول - رقم ٤٥ ، ص ٧٥ .

" اخلاق تقوى بكل ماتحمله التقوى من معان سلبية وايجابية بتجنب الحرام والاقبال على الحلال ، وهي تعني الوقاية ومدافعة الخطر واليقظة الدائمة للمحافظة على الأصول ومنعها من الانحراف " (١)

والعبادات المختلفة انما هي :

" تمارين متكررة لتعويد المرء أن يحيا بأخلاق صحيحة وأن يظل متمسكا بهذه الأخلاق مهما تغيرت أمامه الظروف " (٢)

ب - توطيد أركانها في النفس الانسانية وتوسيع تطبيقها على جميع مظاهر الحياة الاجتماعية :

فالأخلاق الاسلامية النظرية كالصدق والاستقامة والتعاون والايثار والتآخي والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجد متسعا كبيرا في عالم الواقع ، حيث تربط كل الوحدات البنائية في المجتمع من الأسرة الى الاقتصاد الى السياسة ... الخ .
فالصدق كقيمة خلقية يسعى الاسلام الى توسيع نطاق تطبيقه بحيث :

---

(١) أنور الجندى : الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي ، ص ٢٣ .
(٢) محمد الغزالي : خلق المسلم ، ص ٧ .

" تنتشر هذه الوحدة البنائية في كل أنماط العلاقات الانسانية حيث تعتبر وحدة أساسية في البناء السياسي لأنه من الضرورى أن تقوم أنماط العلاقات التبادلية بين الصفوة في المجتمع وبين القاعدة على أساس الصدق ... والصدق - ايضا - وحدة أساسية في العلاقات الاجتماعية بين أفراد المجتمع ، وفي النظام القرابي والعائلي .. وهو وحدة بنائية في النظام الاقتصادى حيث يأخذ صورة الوفاء بالكيل والتعامل بما يرضي الله " (١)

وما يقال عن الصدق ينطبق على جميع القيم الخلقية التي شملت تطبيقاتها كل مرافق الحياة في مجتمع صدر الاسلام .

حـ - دعمها بالحجة العقلية وادراك الحكمة منها : ان القيم الخلقية الاسلامية تخاطب الادراك السليم ، والوجدان المتيقظ ، بالأسباب المقنعة عند الأمر والنهي ، ويأتي ذلك مفصلا أحيانا ومجملا أحيانا أخرى ، ويظهر التفصيل في قوله تعالى :

* ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتي هي أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * (٢) وقوله تعالى :

* ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله ان الله تواب رحيم * (٣) ومن أمثلة الأسلوب الاجمالي قوله تعالى : * ... واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به * (٤)

---

(١) محمد علوان : مرجع سابق ، ص ٨٢ - ٨٣ .
(٢) سورة فصلت : الآية " ٣٤ ".
(٣) سورة الحجرات : الآية " ١٢ ".
(٤) سورة النساء : الآية " ٥٨ "

والقرآن الكريم في تقريره للقيم الخلقية لا يقتصر على وضع الأسباب المقنعة بل انه يحث العقل على فهم المقياس الخلقي ودعمه بالحجة والحكمة منه كما في قوله تعالى :

" يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما اكبر من نفعهما ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون * " (١)

وحرص القرآن على مخاطبة الادراك والوجدان وعلى الحث على فهم المقاييس الخلقية حتى تطبق بنجاح ذلك أنه :

" لا يستطيع المسلمون أن يطبقوا المقاييس الخلقية بنجاح الا اذا فهموها وأدركوا الحكمة منها ، ثم انه يتعذر الاجتهاد في الأمور التي لا نصوص فيها اذا عجز المجتهد عن فهم التشريع والحكمة منها " (٢)

كما أن فهم الحكمة من التشريع ومن القيم الخلقية يجعل تنفيذها ذاتيا فهي :

" تسرى الى أعماق الضمير ، حتى يتشربها القلب ، ثم تفيض عنه بعد أن تكون قد تحولت فيه الى أوامر ذاتية انبعاثية " (٣)

---

(١) سورة البقرة : الآية " ٢١٩ ".
(٢) بشير حاج التوم : تدريس القيم الخلقية ، ص ١٦ - ١٧ .
(٣) محمد عبد الله دراز: دراسات اسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ص ١١٧ .

ولقد ظهر تمام مكارم الأخلاق في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرة الصفوة الرائدة من صحابته رضوان الله عليهم ، وامتدح الله سبحانه وتعالى رسوله بقوله : * وانك لعلى خلق عظيم * (١) ، وكان خلقه عليه الصلاة والسلام :

" امتثال القرآن امرا ونهيا .. لذلك فقد وصفته السيدة عائشة رضي الله عنها حينما سؤلت عن خلقه بقولها : كان خلقه القرآن " (٢)

ولقد أدى التزام أفراد المجتمع الاول بسيرة الرسول صلى الله عليه وسلم وبكل ما أمر به القرآن ونهى عنه الى ايجاد حالة من الألفة والترابط فيما بينهم وذلك بتوحيد مشاعرهم نحو الحق والباطل ونحو الخير والشر .. فهي امور وضع حدودها الله سبحانه وتعالى بشكل شامل ومفصل واهتم بتوضيحها الرسول صلى الله عليه وسلم فعندما :

" أصبح القرآن الكريم والسنة الشريفة علم الوجود الثابت والسائد للمجتمع الأول عند ذلك حدث تغير عام في المناخ الاجتماعي عند العرب ، وانبعثت حالة اخلاقية معينة أرست قيما معينة ، أى صنع نسق القيم الأساس للمجتمع ، واكتسب هذا النسق سطوة على سائر القيم السابقة والتي تضاءلت بل واختفت واصبح نسق القيم الأساس لايقود سلوك المسلمين فقط بل ويحدد ما هو مسموح الاحساس به " (٣)

---

(١) سورة القلم : الآية " ٤ " .
(٢) تفسير ابن كثير : حـ ٤ ، ص ٤٠٢ .
(٣) محمد فؤاد حجازى : مرجع سابق ، ص ٢٤١

وأدى ذلك ايضا الى توحيد أنماط سلوكهم ، فالأخـــــــلاق الاسلامية كانت بمثابة المعايير (١) التي تحدد أنماط السلوك وتضبطه، ذلك أن :

" الاشتراك في المعايير يساعد علـــــى الشعور بالتماثل النفسي ويمكن الفـــرد من التوقع ، حيث ان استجابـــــات الأفراد للموقف الاجتماعي ستعتمد علـــى هذه المعايير ، وبالتالي يحدث تـلاؤم وانسجام بين استجابات الأفراد مما يقـوى الرابطة بينهم " (٢)

والتزام الأفراد بهذه الاخلاق كان نابعا من عقيدتهم وما أدت اليه من خشية وتقوى لله سبحانه وتعالى . الا ان ذلك لم يقف بالأخـــــــلاق الاسلامية عند حدود الترغيب والترهيب

" بل تجاوز ذلك الى التنفيذ والالتـزام ، في التشريع والاحكام ، لتكون المسئوليـــة الفردية والجماعية اساس الحمايـــــة والتطبيق لهذا الجانب الأخلاقي فـــي حياة الأفراد والجماعات ". (٣)

---

(١) المعايير : هي قواعد أى انماط السلوك ، تحدد ما هو متوقـــع ومعتاد وصواب أو مناسب في موقف معين ، فهي ترشد الانســـان الى مايجب أن يعمل أو يفكر في موقف معين وأكثر من ذلك مايشعـــر به . محمد فؤاد حجازى : البناء الاجتماعي ، ص ١٩ .

(٢) انتصار يونس : السلوك الانساني ، ص ٢١٩ .

(٣) عمر عودة الخطيب : مرجع سابق ، ص ٩١ .

ونتيجة لتوحيد مشاعرهم وأنماط سلوكهم في حدود القيم الخلقية الاسلامية تكونت بين أفراد المجتمع الأول صلات اجتماعية قوية يسودها روح الحب والرحمة وترتبط برباط وثيق من المودة والتعاون وصل الى درجة الايثار على النفس حتى وصفهم الله سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ (١)

ولقد سعى الاسلام بمصدريه الى تأكيد وجود هذه الصلات الخلقية بين المؤمنين ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه " (٢) وقوله : " والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، والله لا يؤمن ، قيل من يارسول الله : قال : الذى لا يأمن جاره بوائقه " (٣) وقوله صلى الله عليه وسلم : " الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله ، أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل " (٤) .

ان هذه الصلات التي أقامها الاسلام ادت الى تكوين وعي لدى المسلمين بمسئوليتهم الاجتماعية ، ولقد كان هذا الوعي من أهم اسباب انتشار الثقافة الاسلامية وتطبيقها .

---

(١) سورة الحشر : الآية " ٩ " .
(٢) صحيح البخارى : مرجع سابق . حـ ١ . كتاب الايمان . باب ٧ ص ٥٧ .
(٣) نفس المرجع : حـ ١ . كتاب الأدب . باب ٢٩ ، ص ٤٤٣ .
(٤) نفس المرجع : حـ ١ . كتاب الأدب . باب ٢٥ ، ص ٤٣٧ .

ثالثا ـ توفر البيئة الملائمة لتكوين قيم ثقافية من عالم الأفكار والاشياء :

عمل الاسلام بمصدريه العظيمين ومنذ نزوله على تنمية الدوافع الذاتية في المسلمين ، التي تحقق ربط الفرد بعالم الأفكار وعالم الأشياء المحيطة به ، ذلك الربط الذى يعطي للفكرة والشيء قيمة ثقافية في الوسط الذى يوجدان فيه وكان هذا الربط عن طريق :

" تغذية ميل الانسان الفطرى لمعرفة مايجهل ، واستخدام كل وسيلة انسانية مستطاعة لابلاغ هذا الميل الى مرتبة الشغف بالعلم ، والتلهف المستمر لمتابعة المعرفة الشاملة لكل مافي الوجود من حقائق وسنن مادية ، وقوانين مجردة " (١)

كل ذلك من أجل نمو الثقافة والوصول بالانسان الى المكانة التي فضله بها الله على كثيرمن خلق كما في قوله تعالى :

"* ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ، ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير مما خلقنا تفضيلا *" (٢)

ويظهر اهتمام الاسلام بتحقيق هذا الربط بين الفرد ومايحيط به في الكون من مظاهر وأفكار بأن كانت بداية الوحي بالأمر بالقراءة والاشادة بالعلم في قوله تعالى :

---

(١) عبد الرحمن حسن حبنكه الميداني : أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها ، ص ٢٨٣ .

(٢) سورة الاسراء : الآية " ٧٠ "

"* اقرأ باسم ربك الذى خلق * خلق الانسان من علق * اقرأ وربك الاكرم الذى علم بالقلم * علم الانسان مالم يعلم * " (١)

ويزخر القرآن الكريم وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم بالآيات والأحاديث التي تؤكد على تعميق هذا الاتجاه نحو العلم والمعرفة واستخدام الحواس والعقل . وفريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الانساني

" بكل ما احتواه من الوظائف وبجميع خصائصها ومدلولاتها ، فهو يخاطب العقل الوازع والعقل المدرك والعقل الحكيم والعقل الرشيد ، ولا يذكر العقل عرضا مقتضبا بل يذكره مقصودا مفصلا على نحو لا نظير له في كتاب من كتب الأديان " (٢)

وماذلك الا لتكوين البيئة العلمية السليمة ، والأمثلة على ذلك كثيرة كما في قوله تعالى : * وهو الذى يحيي ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون * (٣) وقوله تعالى : * ... والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا ومايذكر الا أولوا الألباب * (٤) وقوله تعالى : * ... قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون * (٥) ،

---

(١) سورة العلق : الآيات " ١ - ٥ " .
(٢) عباس محمود العقاد : التفكير فريضة اسلامية ، ص ٤ .
(٣) سورة المؤمنون : الآية " ٧٩ " .
(٤) سورة آل عمران : الآية " ٧ " .
(٥) سورة الأنعام : الآية " ٥٠ " .

وقوله تعالى : ﴿ ...انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون ﴾ (١) .

ان القرآن يسعى للوصول الى :

" العقل الذى يعصم الضمير ويدرك الحقائق ويميز بين الأمور ويوازن بين الاضداد ويتبصر ويتدبر ويحسن الادكار والرواية " . (٢)

والقرآن يدفع الانسان الى النظر في سنن الكون الطبيعية والاجتماعية ، فهو يحثه على أن يمعن النظر فيما حوله .. الى طعامه " ﴿ فلينظر الانسان الى طعامه انا صببنا الماء صبا ﴾ ثم شققنا الأرض شقا ﴿ فأنبتنا فيها حبا ... ﴾ (٣) والى خلقه : ﴿ فلينظر الانسان مما خلق ﴾ (٤) والى ملكوت السماء والأرض ﴿ أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض ... ﴾ (٥) والى سنن التاريخ ﴿ سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا ﴾ (٦) .. والى خلائق الله ﴿ أفلا ينظرون الى الابل كيف خلقت ﴾ (٧) والى الظواهر الاجتماعية ﴿ انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض... ﴾ (٨) والى الحياة الأولى وكيف

---

(١) سورة الأنعام : الآية " ٦٤ " .
(٢) عباس محمود العقاد : المرجع السابق ، ص ١٤ .
(٣) سورة عبس : الآيات " ٢٤ - ٢٧ " .
(٤) سورة الطارق : الآية " ٥ " .
(٥) سورة الأعراف : الآية " ١٨٥ " .
(٦) سورة الأحزاب : الآية " ٦٢ " .
(٧) سورة الغاشية : الآية " ١٧ " .
(٨) سورة الاسراء : الآية " ٢١ " .

بدأت : * قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بَدَأَ الْخَلْقَ * (١) ، والمقام هنا لا يسمح بالمزيد من الآيات التي تحث على معرفة السنن " لأن معرفة هذه السنن هي التي تعزز سلطان الانسان على هذا الكون المسخر له " . (٢)

ويعرض القرآن الكريم لمجموعة من السنن والقوانين في مجالات العلم المختلفة كما في قوله تعالى : * ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار .. لآيات لقوم يعقلون * (٣) ، وقوله تعالى : * تبارك الذى جعل في السماء بروجا وجعل فيها سراجا وقمرا منيرا * (٤) ، وقوله تعالى : * أولم يروا انا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب * (٥) ، وقوله تعالى : * وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه وما أنتم له بخازنين * (٦) ، وهذا العرض للحقائق العلمية هدفه أن تكون شواهد تقود الانسان الى الايمان بالله القادر على كل شيء . " والمنهج الذى طرحه القرآن .. يمثل ضرورة ايمانية ملحة لمواصلة الكشف " (٧) عن هذه الحقائق .

---

(١) سورة العنكبوت : الآية " ٢٠ " .
(٢) جودت سعيد : مرجع سابق ، ص ٦٥ .
(٣) سورة البقرة : الآية " ١٦٤ " .
(٤) سورة الفرقان : الآية " ٦١ " .
(٥) سورة الرعد : الآية " ٤١ " .
(٦) سورة الحجر : الآية " ٢٢ "
(٧) عماد الدين خليل : مدخل الى موقف القرآن الكريم من العلم ، ص ١٢٤ .

ولتأكيد الاهتمام على هذا الجانب العلمي ومن أجل اتمام تكوين البيئة العلمية يجعل الاسلام للعلماء ولطلبة العلم مكانة عالية كما في قوله تعالى : * يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات والله بما تعملون خبير * (١) ، وقوله صلى الله عليه وسلم : " من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا الى الجنة " (٢) . ويبلغ قمة الحث على البحث العلمي تشجيع الاسلام على الاجتهاد وربطه بالمثوبة من الله سواء في حال الصواب أو الخطأ ، ويظهر هذا المعنى في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " اذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران ، واذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر " (٣) وفي شرح الحديث يقول ابن حجر:

> " يشير الى انه لا يلزم من رد حكمه أو فتواه اذا اجتهد فأخطأ أن يأثم بذلك ، بل اذا بذل وسعه أجر ، فان أصاب ضوعف أجره ... وقال ابن المنذر انما يؤجر الحاكم اذا أخطأ اذا كان عالما بالاجتهاد فاجتهد واما اذا لم يكن عالما فلا " (٤) .

وبالاضافة الى كل ذلك فتعاليم الاسلام تحوى كل القيم الخلقية والحضارية الايجابية التي تؤدى الى تكوين البيئة الملائمة لاثراء عالم الأفكار والأشياء فهي أولا تقرر كرامة الانسان اذ هو منطلق الحضارة ، فلا تقوم حضارة على انسان مهين أو سلبي ، وهي تحمل الانسان مسؤولياته كاملة

---

(١) سورة المجادلة : الآية " ١١ " .
(٢) سنن الترمذى : حـ ٥ . كتاب العلم ، ص ٢٨ .
(٣) صحيح البخارى : مرجع سابق حـ ١٣ ، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة . باب ٢١ ، ص ٣١٨ .
(٤) احمد بن حجر العسقلاني : فتح البارى بشرح صحيح الامام البخارى . حـ ١٣ ، ص ٣١٩ .

فلا تسيب ولا فوضى " ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤولا " (١) . وهي تزكي روح الانجاز والنجاح فاتقان العمل واجب يمليه الايمان الصحيح ومراقبة الله عز وجل لا لتحطيم أو تفشيل الجهود المماثلة " ان الله يحب اذا عمل احدكم عملا ان يتقنه " (٢) ، وهي تربي روح النشاط والعمل ، حيث يكون الفرد منتجا نشيطا في مجتمعه فلا تواكل ولا وهن " واليد العليا خير من اليد السفلى " (٣) وهي تعلي من قيمة العمل اليدوي " ما أكل أحد طعاما قط خيرا من أن يأكل من عمل يده . . . " (٤) وهي تربي المسلم على ادراك قيمة الوقت والزمن ومن ذلك قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن عمره فيما أفناه ، وعن علمه فيم فعل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم انفقه ، وعن جسمه فيم أبلاه . (٥)

هذه بعض من القيم الحضارية التي تحويها رسالة الاسلام والتي أدت مع الدفع المستمر في طلب العلم واستخدام أدوات المعرفة التي وهبها الله للانسان الى تكوين :

" بيئة عمل وانجاز تتضمن الشروط
والمواصفات كافة التي تمكنها من العطاء . .
فبعث أمة من الناس لا يزال عقلها يعلى
ويكد ويتوهج . . حتى أنار الطريق
للبشرية يوم كانت تدلج في ليل بهيم "(٦)

---

(١) سورة الاسراء : الآية " ٣٦ " .
(٢) محمد ناصر الدين الالباني : سلسلة الاحاديث الصحيحه . المجلد الثالث رقم ١١١٣ ، ص ١٠٦ .
(٣) صحيح البخاري : حـ ٤ . كتاب الوصايا ، ص ٦ .
(٤) نفس المرجع : حـ ٣ ، كتاب البيوع ، ص ٧٤
(٥) سنن الترمذي : حـ ٤ . كتاب صفة القيامة ، باب ١ ، ص ٦١٢ .
(٦) عماد الدين خليل : حول اعادة تشكيل العقل المسلم ، ص ٤٧ .

هـذه البيئة التي ربطت بين الانسان وبين مايحيط به من أفكـــار وأشياء ، وهي ما أطلق عليه المفكر مالك بن نبي مصطلح " الاهتمـــام الأسمى " اذ يرى أن عالم الأفكار والأشياء :

" لايخلقان ثقافة الا من خلال اهتمام أسمى
بدونه يتجمد عالم الأفكار وعالم الأشيـاء
حتى كأنه قطع من الآثار في متحـف ،
فيفقد كل فاعلية اجتماعية حقة " (١)

لأنه بهذا الاهتمام يستطيع الانسان وبالتالي المجتمع أن يسيطـر على عالم أفكاره وأشيائه ويتعرف عليهما ويتعمق فيهما محاولا الوصـول الى القوانين التي تحكمها من أجل الاستفادة منها في حياته .

ولقد حدد النبي صلى الله عليه وسلم نوع العلاقة وما يترتب عليهـا من فاعلية اجتماعية حين قال :

" مثل مابعثني الله عز وجل به من الهـدى
والعلم كمثل الغيث الكثير أصاب أرضـا
فكانت منها نقية قبلت الماء فأنبتت الكلأ
والعشب الكثير ، وكانت منها أجـادب
أمسكت الماء فنفع الله عز وجل بها الناس
فشربوا وسقوا وزرعوا ، وأصابت منها طائفة
أخرى انما هي قيعان لاتمسك ماء ولاتنبت
كلأ فذلك مثل من فقه في دين اللـه
ونفعه مابعثني الله به فعلم وعلم ، ومثـل
من لم يرفع بذلك رأسا ولم يقبل هدى الله
الذى أرسلت به " (٢)

---

(١) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص ٤٧ .
(٢) صحيح البخارى بشرح احمد بن حجر العسقلاني : حـ ١ ، كتاب العلم . باب ٢٠ ، ص ١٧٥ .

وفي هذا النص :

" تدرج من الأعلى للأدنى في تصوير علاقة الفرد والمجتمع بالعلم ، أي بالأفكار والأشياء ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم اراد من هذا التدرج ذى الدرجات الثلاث ان يرمز الى عصور ثلاثة يمر بها المجتمع يبدأ تاريخه بمرحلة يحدث فيها تقبل الأفكار وابداعها وتمثلها ، وتليها مرحلة تبلغ فيها الأفكار الى مجتمعات أخرى ثم تعقب مرحلة يتجمد فيها عالم الأفكار ، فيصبح وليست لديه ادنى فاعلية اجتماعية " (١)

ومجتمع صدر الاسلام - ونتيجة لما سبق عرضه من توفر العوامل الدافعة لطلب العلم - تمثلت فيه الصورة الأولى من الاهتمام بالعلم والمعرفة اذ تفاعل الانسان بدرجة كبيرة مع مايحيط به من عالم الأفكار والأشياء فكان الخير الكثير ، والنفع الذى لاحد له . وكل ذلك نتيجة لتوفير تلك البيئة العلمية التي كونها القرآن الكريم والسنة الشريفة . وانتقل بعد ذلك الى عرض نماذج من مواقف تعكس هذا الاهتمام الأسمى وتفاعل المسلم مع مايحيط به من فكر وأشياء .

---

(١) مالك بن نبي : مرجع سابق ، ص ٤٨ .

نماذج من مواقف طبقت فيها الثقافة الاسلامية :

بعد عرض الأسس التي توفرت في مجتمع صدر الاسلام وهي : وحدة العقيدة والاخلاق الاسلامية والبيئة العلمية . والتي أدت الى تكوين ثقافة متميزة ، أنتجت الانسان والمجتمع المتحضر . . المتحضر بعقيدته وبسلوكه ووجدانه - حيث كانت ارادة فعل الخير هي هدفه في نشر الاسلام وثقافته - والمتحضر بانجازه العقلي . سنعرض لمجموعة من المواقف تؤكد أثر هذه الأسس في شكل السلوك الثقافي في مجتمع صدر الاسلام حيث صار السلوك موازيا لخط العقيدة والتزاماتها . وحيث ظهر فيه التطبيق الصحيح لمفهوم الثقافة الاسلامية فاتحد شكل السلوك الفردى مع أسلوب الحياة الاسلامية واتفق المبدأ مع الواقع ، ومن هذه المواقف مايلي :

الموقف الأول :

ويتضح فيه قوة تماسك الجماعة الاسلامية حيث توحدت أفكارهم وردود أفعالهم تجاه مايواجههم ، وذلك يوم أن جمع الرسول صلى الله عليه وسلم أصحابه ليستشيرهم في شأن عير قريش وذلك قبل غزوة بدر . . فاتجه الى الجماعة الاسلامية يطلب منهم المشورة ويقول : " اشيروا عليّ أيها الناس . . . " فتكلم ابو بكر وعمر " ممثلين لأقرب الناس اليه عليه الصلاة والسلام " بما يؤيد موقف الرسول صلى الله عليه وسلم من المضي في حرب قريش . . ثم تكلم المقداد بن عمرو ممثلا لجماعة المهاجرين فقال :

" يارسول الله امض لما أراك الله فنحن
معك ، والله لانقول لك كما قالت

بنو اسرائيل لموسى : " اذهب انت وربك
فقاتلا انا هاهنا قاعدون " لكن اذهب
أنت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون
فوالذى بعثك بالحق لو سرت بنا الى
برك الغماد لجالدنا معك من دونه
حتى تبلغه " . (١)

ولكن الرسول صلى الله عليه وسلم أراد أن يكمل هذه الصورة الرائعة لتماسك المجتمع الاسلامي ووحدة أفكاره وعاطفته فعاد يقول : أشيروا عليّ أيها الناس - يريد الأنصار - فقال سعد بن معاذ : والله كأنك تريدنا يارسول الله ؟ قال : أجل . وهنا جاء رد معاذ لتكتمل الصورة التي تعتبر انعكاسا لأسلوب الحياة في المجتمع الاسلامي وتعبيرا عن سلوك المسلمين بجميع اقسامهم - مهاجرين أو أنصار - .

" قال سعد : لقد آمنا بك وصدقناك ،
وشهدنا أن ماجئت به هو الحق وأعطيناك
عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ،
فامض يارسول الله لما أردت ، فنحن معك
فوالذى بعثك بالحق لو استعرضت بنا
هذا البحر فخضته لخضناه معك ماتخلف
منا رجل واحد .. " (٢)

ان هذا الموقف يوضح كيف توغل الايمان في نفوس المسلمين الأوائل حتى أنتج قيما خلقية ربطت هذه الجماعة برباط فكرى وعلي

---

(١) الطبرى : تاريخ الرسل والملوك ، حـ ٢ ، ص ٤٣٤ .
(٢) نفس المرجع : حـ ٢ ، ص ٤٣٥ .

عميق ، حتى أصبحت أقوالهم وأفعالهم ذات صبغة واحدة . . فكل فرد في الجماعة الاسلامية الاولى حريص على مبادىء هذه الجماعة مؤثرا لها على كل شيء آخر حتى على نفسه ، وكل فرد تأصلت فيه ملكة الطاعة لما يأمر به الله ورسوله . وذلك هو روح التماسك في الجماعة الاسلامية الأولى .

الموقف الثاني :

ويوضح هذا الموقف قوة العقيدة التي ظهرت في شكل سلوك خلقي عملي حيث تتضح صفة التقوى في اطارها الفردى والذى يعكس اسلوب الحياة في المجتمع الأول ، فالتقوى جعلت من الفرد رقيبا على أعماله . وهي تدفعه الى احسان العمل وكأنه يرى الله سبحانه وتعالى فعندما فتح الله على المسلمين في - فتح المدائن - أقبل رجل من الجيش الى صاحب الأقباض وقدم اليه أمانات من حقوق بيت المال كان يحملها فسأله سائل : هل أخذت منها شيئا ؟ فأجاب : والله لولا الله ما أتيتكم بها . فقالوا له من أنت ؟ فقال لهم : والله لا أخبركم فتحمدوني ولكن أحمد الله وأرضى ثوابه . (١)

ان موقف هذا المسلم يوضح جذور شخصيته التي تغور في مجال الثقافة الاسلامية السائدة في حياة ذلك المجتمع .

الموقف الثالث :

وهذا الوقف يوضح التزام الجماعة الاسلامية بجميع أفرادها بالقيم

---

(١) ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٢ ، ص ٥١٧ .

والمعايير التي تؤمن بها من أجل الاصلاح والوصول بالمجتمع الى درجة عالية من الكمال الخلقي . وهو موقف الرسول صلى الله عليه وسلم والجماعة الاسلامية من كعب بن مالك وصاحبيه حينما تخلفوا عن غزوة تبوك ، حيث شعر كعب بن مالك وصاحبيه بالندم على تخلفهم فيقول كعب :

" فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي وطفقت أتذكر الكذب وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من أهلي فلما قيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أظل قادما زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب ، فأجمعت صِدْقَهُ . " (١)

انها النفس المؤمنة المتمسكة بأخلاقها الاسلامية والتي تعلم أن الله يطلع على جميع خفاياها . ومن هنا تأتي أفعالها انعكاسا لهذا الايمان . ولقد جاء موقف الرسول صلى الله عليه وسلم ردا على اعتراف كعب وصاحبيه - وهو موقف تربوى لاصلاح النفس والمجتمع - بأن نهى عن التعامل معهم . يقول كعب : " ونهى رسول الله صلى الله عليه وسلم المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه " (٢) . وهنا يظهر التزام جميع المسلمين بهذا الأمر مما يدل على وحدتهم وتماسكهم بجميع فئاتهم ، فجميعهم طبق المقاطعة التي أمر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم كما يذكر كعب :

---

(١) صحيح البخارى : حـ ٦ ، ص ٥ .
(٢) نفس المرجع : ص ٦ .

" فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت
في نفسي الأرض فما هي التي أعرف ،..
وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد "(١)

ولم يقتصر الأمر على جموع المسلمين بل تعداه الى أقرب الناس اليه :

" مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قَتَادة
وهو ابن عمي وأحب الناس اليّ فسلمت
عليه فوالله ما ردّ عليّ السلام ، فقلت
يا أبا قتادة ، أنْشُدُكَ بالله هل
تعلمني أحِبُّ الله ورسوله فسكت فعدت له
فنشدته فسكت فعدت له فنشدته ،فقال
الله ورسوله أعلم . ففاضت عيناي . "(٢)

ان هذا الموقف يصور أعلى درجات الالتزام بالمعايير التي رضيها المجتمع من أجل المحافظة على ثقافته .

الموقف الرابع :

وتتضح فيه واحدة من القيم الاجتماعية التي حددت اطار الثقافة الاسلامية ومدى التزام المسلمين بها . وهي قيمة حرية الرأى والفكر . فلقد صان الاسلام حرية الرأى بأمور ثلاثة هي : أن جعل أمر المسلمين شورى فيما بينهم ، وأنه ليس في الاسلام ذات مصونة لاتمس بل

(١) صحيح البخارى : حـ ٦ ،ص ٦ .
(٢) نفس المرجع : ص ٦ .

الجميع أمام شرع الله سواء وكل يخطيء ويصيب ، وأن من واجب المسلمين تنبيه المخطيء التزاما بما أمر به الاسلام من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١)

ومن منطلق هذه الأمور كان خلفاء رسول الله صلى الله عليه وسلم - وهم يمثلون اعلى قيادة في الدولة الاسلامية - يتعرضون للنقد بل ويدعون الناس الى ذلك ، كما ورد في خطبة ابي بكر الصديق رضي الله عنه غداة توليه الخلافة فقد قال :

" أيها الناس ! فاني قد وليت عليكم ولست بخيركم ، فان أحسنت فأعينوني ؛ وان أسأت فقوموني . الصدق أمانة ، والكذب خيانة ، والضعيف فيكم قوى عندى حتى اريح عليه حقه ان شاء الله والقوى منكم ضعيف عندى حتى آخذ الحق منه ان شاء الله . . . أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ؛ فاذا عصيت الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم ". (٢)

لقد حدد أبو بكر في كلماته السابقة العلاقة بين الحاكم والمحكوم في المجتمع الاسلامي ، فالحكم وظيفة ومسئولية شاقة وليست امتيازا " اني وليت عليكم ولست بخيركم " ووظيفة الشعب لخصها في قوله : " ان أحسنت فأعينوني وان أسأت فقوموني " .

---

(١) محمد ابو زهرة : المجتمع الانساني في ظل الاسلام ، ص ٢٧٧ .
(٢) الطبرى : مرجع سابق ، حـ ٣ ص ٢١٠ .

وهنا تظهر القيمة التي يحث عليها الاسلام وهي حريـــة الـرأى والفكر فيما يكون موافقا للعقيدة الاسلامية ، وتظهر هذه القيمة في موقـف لعمر بن الخطاب رضي الله عنه فلقد وقف مرة يدعو الى وضع حد أعلـــى للمهور منعا للمغالاة فيها ، لأن هذه المغالاة تصعب الزواج علـــى من يبتغيه حيث خطب فقال :

" ايها الناس ما اكثاركم في صداق النسـاء ، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلـم وأصحابه والصدقات فيما بينهم أربعمائـة درهم فما دون ذلك ، ولو كان الاكثـار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لـــم تسبقوهم اليها ، فلأعرفن مازاد رجـل في صداق امرأة على أربعمائة درهم. ثم نزل ، فاعترضته امرأة من قريش فقالـت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربعمائة درهم ؟ قال : نعم . فقالت : أما سمعت ما أنزل اللـه في القرآن ؟ قال : وأنى ذلك ؟ فقالت : اما سمعت الله يقول : * وآتيتم احداهن قنطارا * (١) .. الآيـــة ، فقال : اللهم غفرا ، كل الناس أفقـه من عمر ، ثم رجع فركب المنبر فقـال : أيها الناس اني كنت نهيتكم أن تزيـدوا النساء في صداقاتهم على أربعمائة درهـم فمن شاء أن يعطي من ماله ما أحب "(٢)

---

(١) سورة النساء : الآية " ٢٠ " .

(٢) تفسير ابن كثير : حـ ١ ، ص ٤٦٧ .

وفي رواية قال عمر : ان امرأة خاصمت عمر فخصمته ، وفي رواية أخرى قال : امرأة أصابت ورجل أخطأ (١) .

ومن هذا الموقف يظهر لنا أمران :

أولهما : مثالية السلوك الاسلامي حيث تطابق السلوك مع صورة المعتقدات الايمانية الموجودة في النفس تطابقا تاما . فالمرأة لم يمنعها وجودها في حضرة أمير المؤمنين ؛ وهو الذى عرف عنه المهابة ، أن تقول كلمة الحق . وعمر وهو الخليفة وأمير المؤمنين ؛ وأمام حشد من الناس لم يمنعه كل ذلك من أن يستمع الى قول المرأة ويأخذ برأيها ، لأن ماقالته هو كلام الله عز وجل وهو الصواب .

وثانيهما : هو توفر البيئة العلمية التي أتاحت للمرأة أن تتعلم و تقرأ القرآن وتفقه حدوده وأحكامه ولولا ذلك لما استطاعت أن تناقش عمر بالحجة والدليل .

فهذا الموقف يدل على مدى تطبيق المجتمع الاسلامي الأول لمفهوم الثقافة حيث توفرت الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يتمثلها الفرد في سلوكه وتمثل انعكاسا لأسلوب الحياة القائم .

الموقف الخامس :

يوضح هذا الموقف قوة تماسك المسلمين بعقيدتهم وبمقتضياتها ، فهم لا يفرقون بين أى جزء منها ، كما يوضح فهمهم للاطار الاسلامي الشامل فهو لا يقبل التجزئة . فدولة الاسلام تقوم بالعقيدة التي تملى

(١) انظر نفس المرجع ، ص ٤٦٧ .

النفوس ولكنها لاتقوم بمجرد وجود أعداد كبيرة ناقصة الايمان لاتطبق المبادىء في عالم الواقع ، ويظهر هذا الموقف في حروب الردة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ذلك أنه :

" لما استخلف ابو بكر رحمه الله ارتدت طوائف من العرب ومنعت الصدقة ، وقال قوم منهم نقيم الصلاة ولا نؤتي الزكاة . فقال ابو بكر رضي الله عنه : لو منعوني عقالا لقاتلتهم " (١)

فالاسلام بنيان كامل ، التفريط في جزء منه يؤدى الى انتشار التفكك والاضطراب في الأجزاء الباقية .

" وفي موقف أبي بكر عمق في فهم الفكرة الاسلامية وتقديم الفكرة على الرجال ، فلو أنه قبل اسلامهم ناقصا دون زكاة لأحدث صدعا في صميم مبادىء الاسلام ولجعله موضع مساومة ولترك للأجيال من بعده سابقة خطيرة تحطم أركانه وتأتي على مبادئه . . فلا كيان للمسلمين ولا لدولتهم بغير فكرة سليمة ومبادىء كاملة " . (٢)

---

(١) البلاذرى : فتوح البلدان ، ص ٩٩ .
(٢) محمد شديد : منهج القرآن في التربية ، ص ٢٤ - ٢٥ .

الفصل الثالث

وصف أزمة الثقافة والأسباب التي أدّت إليها

التعريف بأزمة الثقافة :

تم في الفصل الثاني الوصول الى مفهوم اسلامي للثقافة ، من خلاله وجدنا أن هناك علاقة وطيدة بين أسلوب الحياة في المجتمع وبين السلوك الفردى ، فكل منهما يؤثر في الآخر ، فأسلوب الحياة في المجتمع يطبع على حياة الفرد اتجاها وسلوكا خاصا يتفق مع اطار الحياة في ذلك المجتمع ، كما يبدو أثر الأفراد في الثقافة فيما يخلفه لنا العلماء من الاجتهادات الفقهية والابتكارات العلمية ، وتؤكد الدراسات الانثروبولوجية العلاقة القائمة بين الثقافة والشخصية فهي ترى :

" ان الشخصية هي الوجه الآخر للثقافة تدل عليها وتعبر عنها وتستمد منها ، وبهذا فالثقافة والشخصية أمران متلازمان لايمكن فهم أى منهما بدون الآخر " (١)

وتتضح هذه العلاقة في شكل التزام مزدوج لايسمح بالشذوذ أو الانحراف عن محيط الثقافة الاسلامية لا من جانب الأفراد أو الجماعات ، اذ تقع عليهم مسئولية المحافظة على اسلوب الحياة الاسلامية ، وذلك عن طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أوعن طريق المناصحة

---

(١) زكي محمد اسماعيل : " الثقافة والشخصية الاسلامية دراسة في الانثروبولوجيا النفسية " مجلة العلوم الاجتماعية ، ص ٤٤٠ .

والنقد ، وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " الدين النصيحة ، قلنا : لمن يارسول الله ؟ قال : لله ولكتابه ورسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم " (١)

فحسبة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هي التي تحافظ على اطار الثقافة الاسلامية ، وهي التي تحمل الجماعة على الولاء للمنهج وعدم التحريف للدين :

> " لذلك شددت العقيدة الاسلامية على وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والقيام بهما في كل زمان ومكان ، وحذرت عن التواني فيهما والمحاباة لأهل الوجاهة والسلطان وجعلت كلمة حق عند سلطان جائر أفضل الجهاد "(٢)

وواجب المناصحة أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس قاصرا على الدولة ، ولا يخص فئة من الأمة دون غيرها ، بل هو صفة الأمة الاسلامية وواجب يجب أن تلتزم القيام به كما في قوله تعالى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ (٣) وفي تفسير هذه الآية الكريمة يقول سيد قطب :

---

(١) صحيح البخارى بشرح أحمد بن حجر العسقلاني ، كتاب الايمان ، حـ ١ ، باب ٤٢ ، ص ١٣٧ .
(٢) عمر عبير حسنه : نظرات في مسيرة العمل الاسلامي ، ص ٢٠ .
(٣) سورة آل عمران : الآية " ١١٠ "

" ان هذا التكليف هو السبيل لضمان وحدة الأمة وتماسكها وتكافلها ، وتوحيد مفاهيمها للدين ومفاهيمها للحياة . فقد تضل الجموع اذا لم تجد بينها هؤلاء الهداة " . (١)

ان المشاركة التعاونية بين أفراد المجتمع وأجهزته في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر " يرتفع الى مرتبة الفرائض الالزامية التي يسأل كل مسلم وكل جيل اسلامي عن النهوض بها " (٢) ، وما يصور واجب الفرد وواجب الجماعة في الالتزام بحدود الله ، ومايحدث لهم لو تهاونوا في هذا الواجب حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم أعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين في أسفلها اذ استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا : لو أنا خرقنا في نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان يتركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا ، وان أخذوا على أيديهم نجوا ونجوا جميعا " (٣)

---

(١) في ظلال القرآن : حـ ٤ ، ص ١٣ .
(٢) محمد عبد الله العربي : نظام الحكم في الاسلام ، ص ٦٣ .
(٣) صحيح البخارى : مرجع سابق ، حـ ٥ ، كتاب الشركة باب ٧ ، ص ١٣٢ .

ففي هذا الحديث الشريف :

" تصوير بديع لتشابك المصالح وتوحدها ، بازاء التفكير الفردى الذى يأخذ بظاهر المعاني النظرية ، ولايفكر في آثار الوقائع العملية " (١)

فكل فرد مكلف بأن يزيل المنكر الذى يراه حسب قدرته كما في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم : " من رأى منكم منكرا فليغيره بيده ، فان لم يستطع فبلسانه ، فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الايمان " (٢) وان كان للدولة الواجب الأكبر فيه ، وذلك لتوفر القدرة وفي ذلك يقول ابن تيمية :

" والقدرة هو السلطان والولاية فذو السلطان أقدر من غيرهم ، وعليهم من الوجوب ماليس على غيرهم فان مناط الوجوب هو القدرة فيجب على كل انسان بحسب قدرته (٣) قال تعالى : * فاتقوا الله ما استطعتم * " (٤)

فالالتزام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بجميع وسائله يحافظ على اطار الثقافة الاسلامية ، وزوال هذا الالتزام بين المجتمع والفرد

---

(١) سيد قطب : العدالة الاجتماعية في الاسلام ، ص ٥٧ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ٢ ، كتاب الايمان ، ص ٢٢-٢٥ .
(٣) ابن تيمية : الحسبه في الاسلام ، ص ٦ .
(٤) سورة التغابن : الآية " ١٦ " .

وعدم تطبيق المبدأ في عالم الواقع معناه الوقوع في " أزمة الثقافة " لأن ذلك معناه تكريس الأخطاء والبعد تدريجيا عن اسلوب الحياة والسلوك الاسلامي للمجتمع والفرد ، وذلك لانقطاع المؤشر الحيوى اللازم لكشف التيارات البعيدة عن هذا الدين في واقع الأمة الاجتماعي ومسلكها الخلقي .

" ولقد استحق بنو اسرائيل اللعن على لسان أنبيائهم ، لأنهم لم يكونوا يغيرون المنكر ولم يكونوا يتناهون عنه " (١)

وفي ذلك يقول الله عز وجل :

" * لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى ابن مريم وذلك بما عصوا وكانوا يعتدون * كانوا لايتناهون عن منكر فعلوه لبئس ماكانوا يفعلون * (٢)

ولقد وعى المسلمون في المجتمع الاسلامي الأول هذا الالتزام بين الفرد والجماعة ، والواضح في قوله تعالى : * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر * (٣) ويظهر هذا الوعي بوضوح في قبول توجيهات الرسول صلى الله عليه وسلم المستمرة لتحقيق هذا الاطار والمحافظة عليه ، وفي المواقف التي سبق عرضها في الفصل

---

(١) سيد قطب : مرجع سابق ، ص ٥٨ .
(٢) سورة المائدة : الآيتان " ٧٨ ، ٧٩ " .
(٣) سورة التوبة : الآية " ٧١ " .

السابق ، فيما حدث بين عمر والمرأة التي عارضته في أمر المهور ، وفي خطبة أبي بكر الصديق حين توليه الخلافة حيث قال : " أطيعوني ما أطعت الله فيكم " وغيرها من المواقف التي تم عرضها .. مما أدى الى المحافظة على محيط وجو الثقافة الاسلامية في ذلك المجتمع .

ولقد أدى زوال الالتزام بين الفرد والمجتمع في تطبيق الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي وضعها الاسلام الى :

أولا : عدم انضباط أسلوب الحياة وفق المنهج الاسلامي مما أحدث بعدا عن اطار الثقافة الاسلامية في مجالات شتى " كالسياسة ، والاقتصاد ، والتربية والاجتماع ... الخ " .

ثانيا : عدم سلامة الممارسة الفردية أو السلوك الاجتماعي الذى يطبع تصرفات الأفراد بحيث أصبحت تصرفات شخصية لاتحكمها روح الاسلام كما جاء في القرآن الكريم والسنة الشريفة .

ثالثا : فقدان القدرة على فهم السنن " الطبيعية والاجتماعية " وامكانية التعامل معها ، فبعد المسلمين عن محيط الثقافة الاسلامية - الذى يؤثر في الفرد ويؤدى الى ايجاد البيئة التي تعمل على نمو الثقافة في اطار من الثوابت الالهية ، ويجعل من الأفراد بناة حضارة - قل تأثير الأفراد في المحيط الثقافي ، وأصبح التقدم المادى في أيدى غير المسلمين مما زاد من أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر ، وأدى الى صور من مجتمعات بعيدة عن روح الاسلام واسلوب حياته واطار سلوكه وأخلاقه .

بداية وتتابع البعد عن مفهوم الثقافة الاسلامية :

ان زوال الالتزام بين الفرد والمجتمع ، وما أدى اليه من بعد عن اطار الثقافة الاسلامية ، لم يكن أمرا فجائيا ، كما أنه ليس وليد الوقت الحاضر ، بل أن له بدايات تعود الى قرون متقدمة في حياة المجتمع الاسلامي ، وتحديد النقطة التاريخية التي بدأ فيها البعد عن اطار الثقافة الاسلامية مختلف فيه ، فبعض الباحثين - كمالك بن نبي - يحدد موقعة صفين كبداية للأزمة الثقافية حيث تغلبت الروح العصبية في المجتمع الاسلامي على تعاليم القرآن اذ يقول في حديثه عن بداية مشكلة العالم الاسلامي :

" لم يكن الانقلاب فجائيا ، اذ هو النهاية البعيدة للانفصال الذى حدث في صفين فأحل السلطة العصبية محل الحكومة الخليفية ، فخلق بذلك هوة بين الدولة وبين الضمير الشعبي وكان ذلك الانفصال يحتوى في داخله جميع أنواع التمزق والمتناقضات السياسية المقبلة في قلب العالم الاسلامي " (١)

وباحثون آخرون - كسيد قطب - يحدد بيعة يزيد كنقطة لبداية الأزمة ، رغم اتفاقه مع مالك بن نبي في أن الأزمة حدثت ببعد السياسة عن روح الدين الاسلامي مصداقا لحديث الرسول صلى الله عليه وسلم :

" لتنقض عرا الاسلام عروة عروة فكلما انتقضت عروة تشبث الناس بالتي تليها وأولهن نقضا الحكم وآخرهن الصلاة " (٢)

---

(١) مالك بن نبي : وجهة العالم الاسلامي : ص ٣٠ - ٣١ .
(٢) مسند احمد بن حنبل : حـ ٥ ، ص ٢٥١ .

" فلما جاء الأمويون ، وصارت الخلافة الاسلامية ملكا عضوضا في بني أمية ، لم يكن ذلك من وحي الاسلام ، انما كان من وحي الجاهلية الذى أطفأ اشراقة الروح الاسلامي " (١)

والبعض الآخر يرى أن بوادر الأزمة قد بدأت قبل ذلك التاريخ ، اذ يرى في مقتل عثمان رضي الله عنه في المدينة المنورة رغم أن فيها صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بداية للأزمات التي تتابعت على العالم الاسلامي وأدت الى هذه الصورة البعيدة عن ثقافة الاسلام اذ يقول :

" ومقتل عثمان كان ذلك الباب الخطير الذى كسر ودخل منه طوفان الفتن والعنف الى العالم الاسلامي منذ ذلك الوقت " (٢)

وأيا كانت نقطة بداية البعد عن الثقافة الاسلامية ، فلقد تتابع بعد المسلمين عن هذا الاطار شيئا فشيئا .

" فبعد أن كان الخلفاء الراشدون يعيشون هم وأزواجهم وأولادهم عيش الكفاف والحاجة ، وحقوقهم مثل حق أى مسلم ، صار الحاكم وأسرته وأقرباؤه والمحسوبون عليهم مميزين على غيرهم من المسلمين وصار

---

(١) سيد قطب : مرجع سابق ، ص ١٥٤ .
(٢) خالص حلبي : في النقد الذاتي ضرورة النقد الذاتي للحركة الاسلامية ، ص ٢٨١ .

قصر الخليفة مثل قصر كسرى وقيصر . . وكلما ابتعد الحكم عن عهد النبي وخلفائه ازداد الحكم بعدا عن حقيقة الاسلام وأخذ ينحسر تطبيق شرع الله ، وتبعه تفتت الحكومة الاسلامية الى حكومة أجزاء ، ونشب الصراع والعداء بين هذه الأجزاء " (١)

ولقد رافقت بعد الحكم عن الاسلام عوامل متعددة أدت مجتمعة الى وصول المجتمع الاسلامي الى مرحلة الضعف والانحطاط أو مرحلة القابلية للاستعمار ، حيث اتسم هذا العهد بالجمود والركود في قوالب ثقافية بعيدة جدا عن الاسلام ، كما تفككت شبكة علاقاته الاجتماعية اللازمة لأداء أي عمل حضاري ، وهي الشبكة التي سعى الرسول صلى الله عليه وسلم في بداية تكوين الدولة الاسلامية الى زيادة ترسيخها عن طريق المؤاخاة بين الأنصار والمهاجرين . وهذا التفكك يتضح في الصورة التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم للمجتمع الاسلامي في مرحلة تداعي الأمم عليه اذ يقول :

" يوشك الأمم أن تداعى عليكم كما تداعى الأكلة الى قصعتها ، قال قائل : ومن قلة نحن يومئذ ؟ قال : بل انتم كثير ولكنكم غثاء كغثاء السيل ، ولينزعن الله من صدور اعدائكم المهابة منكم وليقذفن في قلوبكم الوهن ، فقال قائل : يارسول الله وما الوهن . . ؟ قال : حب الدنيا وكراهية الموت " (٢)

---

(١) احمد عبد الغفور عطار : انحسار تطبيق الشريعة في أقطار العروبة والاسلام ، ص ٤٠ - ٤١ .

(٢) سنن أبو داود : حـ ٤ ، كتاب الملاحم ، ص ١٥٨ .

يصف الرسول صلى الله عليه وسلم في هذا الحديث حالة المجتمع الاسلامي في عصور انحطاطه وقابليته للاستعمار حيث تتداعى عليه الأمم بأنه - كغثاء السيل - فهو مجرد تجمعات تمزقت شبكة علاقاتها الاجتماعية وأصبحت لا هدف لها ولا حول كغثاء السيل ، وهذه سنة الله في الكون اذ يتبع تغيير ما بالنفس تغيير الواقع الاجتماعي سواء نحو الأحسن أو الأسوأ كما في قوله تعالى : ﴿ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (١) ذلك أن :

" من سنن الله الاجتماعية أنه تعالى لا يبدل ما بقوم من عافية ونعمة ، وأمن وعزة الا اذا كفروا تلك النعم وارتكبوا المعاصي " (٢)

فعلى الرغم من مظاهر التدين الفردي في عصور الانحطاط والضعف الا أن المسلمين بعدوا عن اطار الثقافة الاسلامية الشامل لأسلوب الحياة وطرق التفكير . .

وخلال هذا الوضع المتردي الذي عاش فيه العالم الاسلامي جاء الاستعمار الأوروبي فسهل عليه استعماره وفرض صور من ثقافته عليه .

" فالصراع في المجال الثقافي كما هو في المجال السياسي والعسكري غير متكافيء فالسهم المؤشر يدل على أن سيل الغزو يسير متجها من الثقافة الغربية الى موطن الثقافة الاسلامية على قاعدة توازن

---

(١) سورة الرعد : الآية " ١١ " .
(٢) محمد علي الصابوني : صفوة التفاسير ، حـ ٢ ، ص ٧٦ .

السوائل التي تسير مع الانحدار ، فالوسائل والأساليب والعدد والقوى الداعمة كل اولئك أقوى وأوفر في جانب الثقافة الغربية منها عند أصحاب الثقافة الاسلامية " (١)

وبذلك تراكمت على العالم الاسلامي مجموعتان من العوامل الأولى هي عوامل القابلية للاستعمار التي لم يتخلص منها ، ذلك أن الدول الاسلامية لم تدرس عوامل ضعفها ولم تضع لها الحلول الصحيحة أو طرق علاجها .

" ولم تواجه الأمر مواجهة عقلية وعلمية لتستقرئ السنن الثابتة وتقف على الحقائق كما هي ، وتتخلص من ادوائها على هدى وبصيرة " (٢)

أما المجموعة الثانية فهي العوامل التي خلفها الاستعمار والذى أورث الضعف والتمزق .

وهاتان المجموعتان من العوامل حددت علاقة المجتمع الاسلامي بالثقافة الغربية فلم تقم على أساس صحيح اذ انها قامت :

أولا : على أساس الغلبة وهو مايذكره ابن خلدون في أن المغلوب مولع دائما باقتداء الغالب في جميع أموره وهو يرجع ذلك الى :

---

(١) محمد المبارك : بين الثقافتين الغربية والاسلامية ، ص ٥٤ .
(٢) ابراهيم بن علي الوزير : على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى دراسة للسنن الالهية والمسلم المعاصر ، ص ٢٢ .

" أن النفس أبدا تعتقد الكمال فيمن غلبها وانقادت اليه أما لنظرة بالكمال بما وقر عندها من تعظيمه أو لما تغالط به من أن انقيادها ليس لغلب طبيعي انما هو لكمال الغالب ، فاذا غالطت بذلك واتصل لها حصل اعتقادا فأنتحلت جميع مذاهب الغالب وتشبهت به وذلك هو الاقتداء " (١)

ثانيا : لم تقم العلاقة بين المجتمع الاسلامي والثقافة الغربية على أساس التمحيص والنقد والتمييز في الثقافة الغربية بين الجانب المريض منها والجانب الايجابي ، فامتصت بعض المجتمعات الاسلامية كثيرا من جوانبها المريضة وتركت جوانبها الايجابية.

ولقد أدرك الغرب موقف المسلمين السلبي من ثقافتهم الاسلامية - فهم بعيدون عنها لا يتمثلونها في حياتهم بشكل صحيح - وموقفهم من ثقافته الغربية - فهم لم يميزوا بين صالحها وطالحها - فتابع غزوه للمجتمع الاسلامي ثقافيا بوسائل شتى مستهدفا تشويه الحياة الاسلامية ، وتمييع العقل المسلم بحشوه بمفاهيم بعيدة عن روح الاسلام وعقيدته وبأنماط سلوكية غريبة عن الاسلام ، مما أدى الى زيادة صورة الأزمة الثقافية في المجتمعات الاسلامية المعاصرة ، اذ أصبحت ثقافته خليطة من صور باهتة لثقافة الاسلام ، ومن صور للثقافة الغربية والشرقية على حدٍّ سواء ، وقد دفعت هذه الأوضاع المفكر محمد قطب الى التساؤل :

---

(١) ابن خلدون : مرجع سابق ، ص ١٢٣ .

" هل هناك قطاع واحد في المجتمع - اى قطاع - له تقاليد واضحة وصورة محددة الريف أو المدينة . العامل أو الموظف . . الفتاة المتعلمة أو الفتاة الجاهلة . . المتعلم في (أوروبا) أو المتعلم في (مصر) . المثقف ثقافة غربية أو ثقافة شرقية ؟ . . هل لأى قطاع من هؤلاء صورة واحدة تميزه بطابع معين أم القطاع الواحد فيه من كل صنف : المعتدل والمتزمت والمتحلل عن القيود ؟؟ . . (١)

وهو يجيب على هذه التساؤلات بأنها :

" حالات فردية متناثرة لاتتكون منها وحدة ولا طابع مميز ولا اتجاه مفهوم " (٢)

اسباب أزمة الثقافة :

ان اى محاولة لنهضة المجتمع الاسلامي واعادة ثقافته الاسلامية لصورتها الناصعة التي كانت عليها في المجتمع الاسلامي الأول ، انما تتطلب ان يتحرر أولا من العوامل التي فرضت انحطاطه وهي عوامل قابليته للاستعمار أو مايمكن أن نسميها " بالعوامل الداخلية " ويتحرر ايضا من العوامل التي تبعت ذلك وهي العوامل التي خلفها الاستعمار والتي لازالت تنخر في جسم العالم الاسلامي وهي " العوامل الخارجية " لذلك كان لابد من عرض هاتين المجموعتين بايجاز . .

---

(١) معركة التقاليد : ص ١١٠ .
(٢) نفس المرجع : ص ١١١ .

العوامل الداخلية وتشمل :

أولا - البعد عن المنهج القرآني والركون الى الدنيا وشهواتها :

ان البعد عن المنهج القرآني الذى هو أساس حضارة وثقافة المسلمين - والذى يقوم على تربية العبد الصالح لعمارة الأرض المدرك لمكانته وحقيقته بدقة ، والقائم على ادراك الحياة الدنيا باعتبارها جسرا الى غاية عظمى هي الحياة الآخرة وفرصة لأداء مهمة الاستخلاف في الأرض وعمارتها ، فهي وسيلة وليست هدفا ، وبذلك يكون العمل الخالص لوجه الله تعالى المتميز بالصواب عبادة لله يجزى عليه الله ، كما ان هذا المنهج قائم على ادراك ان الكون بما فيه من خيرات ونعم مسخر ومذلل للانسان المفكر - . هو العامل الاساسي الذى أعقبته عوامل الضعف والبعد عن اسلوب الحياة الاسلامية وقاد بالضرورة الى ضعف البناء الثقافي في العالم الاسلامي ، وهو العامل الذى أدى الى بعد الحكم عن روح الاسلام وماتبعه من انحسار تطبيق الشريعة الاسلامية .

ذلك أنه لما تفتحت للمسلمين أبواب الدنيا والثروات والغنى استمرأتها نفوس بعضهم وركنت اليها ، مما أنساهم التدبر في كتاب الله عز وجل وأورث لديهم " الغفلة " وهي الآفة التي جاء ذكرها في كثير من آيات القرآن الكريم كقوله تعالى :

" * ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون * اولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون * " (١)

(١) سورة يونس : الآية " ٧ " .

وقولـه تعالى :

" * سأصرف عن آياتيَ الذين يتكبـــرون
في الأرض بغير الحق ، وإنْ يروا كـــلَّ
آيةٍ لا يؤمنوا بها ، وان يروا سبيـــل
الرُّشْدِ لا يتخذوه سبيلا ، وان يـــروا
سبيل الغَيِّ يتخذوه سبيلا ، ذلـــك
بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين * (١)

من خلال هذه الآيات نجد أن " الغفلة " تعتبر من :
أشد الأخطار . يقول محمود محمد شاكر محذرا منها :

" وأشد النكبات التي يصاب بها البشر نكبة
الغفلة لأنها محو لما تقوم به حيـــاة
الناس ، والمرء لا يكون انسانا ناميا الا مـــع
اليقظة فاذا سلب اليقظة ، فقد استقر
في حومة الموت والهلاك ، وان بقـــي
حيا يتحرك " (٢) .

ولقد كانت نتيجة الغفلة والبعد عن التدبر في القرآن الكريم وفي منهجه ، أن فقد العقل المسلم قدرته ومضاءه في ادراك الســـنن والاعتبار بها ، واهمل المسلم القيام بتبعات الاستخلاف فـــي الأرض ، وبذلك لم يعد الانسان والحياة والكون يكونون تلك التركيبة الحضاريـــة التي أوجدها الاسلام في المجتمع الأول فلقـــد

---

(١) سورة الأعراف : الآية " ١٤٦ " .
(٢) مالك بن نبي : في مهب المعركة " مقدمة بقلم محمود محمـــد شاكر " ، ص ١٠ .

" بلغت عوامل التعارض الداخلية قمتها ، وانتهت الى وعدها المحتوم ، وهو تمزق عالم واهن ، وظهور مجتمع جديد ذى معالم وخصائص واتجاهات جديدة ، فكانت تلك مرحلة الانحطاط اذ لم يعد الانسان والتراب والوقت عوامل حضارة ، بل أضحت عناصر خامدة . . . " (١)

وبالابتعاد عن القوة الجوهرية في الحضارة الاسلامية وهي قوة العقيدة الفعالة المستمدة من القرآن الكريم ، وبوقوع المسلمين فيما حذر منه الرسول صلى الله عليه وسلم وهو الهجر والعقوق للقرآن كما في قوله تعالى : * وقال الرسول يارب ان قومي اتخذوا هذا القرآن مهجورا * (٢) ولقد شمل هجر القرآن وجوها عدة :

" احدهما : هجر سماعه والايمان به والاصغاء اليه ، والثاني : هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وان قرأه وآمن به . والثالث : هجر تحكيمه والتحاكم اليه في أصول الدين وفروعه واعتقاد أنه لايفيد اليقين وأن أدلته لفظية لاتحصل العلم . والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ماأراد المتكلم به منه . . . " (٣)

---

(١) مالك بن نبي : وجهة العالم الاسلامي : ص ٢٧ .
(٢) سورة الفرقان : الآية " ٣٠ " .
(٣) ابن القيم الجوزية : الفوائد ، ص ٩٤ .

لذلك تغيرت أحوال المسلمين وسرى الضعف والوهن فيهم وذلك مصداقا لقوله تعالى : ﴿ ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (١) مما أتاح لعوامل الهدم الاخرى العمل على زيادة التخلف وزيادة البعد عن الثقافة الاسلامية الصحيحة ذلك أن تلك :

" الحضارة تجردت من سرها ، وانفصلت عن روحها ، وماسرّها وروحها الا انها كانت تنهض على دعامة من التبصرة القرآنية بحقيقة كل من الانسان والكون والحياة ، وبالسبيل الأمثل الى التعامل مع كل منها ... فلقد حجبت الناس شهواتهم ، وأهواءهم ، ..... فانتشروا يتسابقون وراء كل رخيص من الملاذ والأهواء العاجلة وهم عن جلائل الأمور معرضون " (٢)

---

(١) سورة الأنفال : الآية " ٥٣ ".

(٢) محمد سعيد رمضان البوطي : منهج الحضارة الانسانية في القرآن ، ص ١٦٨ .

ثانيا - تحريف المفاهيم الاسلامية :

وسبب هذا التحريف في المفاهيم الاسلامية عدم تخلص بعض أصحاب الديانات السابقة في المناطق التي فتحها المسلمون من أفكارهم ومعتقداتهم الوثنية فخلطوها بالاسلام مما أدى الى ظهور كثير من المفاهيم البعيدة عن روح الاسلام " كالاعتزال - والتصوف - والباطنية " ، كما أدى الى ظهور الفرق والجماعات التي عملت على بلبلة أفكار العامة والخاصة من المسلمين وأدت الى تمزيق وحدة المجتمع الاسلامي الفكرية والاجتماعية .

كما كان التحريف في المفاهيم الاسلامية نتيجة للالتقاء بالفكر اليوناني مما أدى الى ظهور الفلسفة في مجال الغيبيات والالهيات ، التي عملت على تعطيل العقل المسلم واخراجه من صراع عالم الشهادة الى جدال عالم الغيب .

ويصف محمد المبارك مفهوم العقيدة الاسلامية عند الخاصة والعامة من المسلمين في عصورالضعف وبعد دخول هذه الأمور عليها بقوله :

> " فالعقيدة عند الخاصة أصبحت فلسفية تدور حول قضايا لم يكن الجيل الأول من المسلمين يشغلون أنفسهم بها كمسألة الذات والصفات . . . ومسألة خلق القرآن . . . الى غير ذلك من مسائل شغلت الخاصة عن أصل العقيدة المحررة

للانسان ، الدافعة له لتحرير
الانسانية والمحملة اياه المسئولية
العظمى أمام خالقه ومن بيده
المصير .... أما عند العامة فأصبحت
مزيجا من الايمان بالله وبرسوله واليوم
الآخر ، ومن عقائد أخرى غريبة ودخيلة
كالاعتقاد بالقبور وقصدها لقضاء
الحاجات والاعتقاد بتصريف الأولياء .."(1)

ولقد كان لتحريف مفهوم العقيدة الاسلامية في نفوس الكثير من المسلمين أثره في بعدهم عن فهم الاسلام بشموله بجزيئاته وبمنهجه الرباني في بناء الحضارة والثقافة الاسلامية المميزة.

ومن أسباب التحريف ايضا القصور في فهم الكثير من المفاهيم الاسلامية وقد ادى هذا القصور الى زيادة ضعف المسلمين من الناحية الفكرية والاجتماعية ، ومن الجوانب التي شملها قصور الفهم مايلي :

أ - القصور في فهم معنى العبادة الشامل :

اقتصر مفهوم العبادة في عصور الضعف على تأدية الشعائر التعبدية من " صلاة وصوم وحج " فقط مما أدى الى اهمال الجوانب الأخرى كالجهاد وانكار المنكر والعمل على مايعود بالمنفعة على المسلمين وبذلك ابتعد المسلمون عن المفهوم الشامل لكلمة عبادة وهي :

---

(1) محمد المبارك : المجتمع الاسلامي المعاصر ، ص ٥٥ .

" اسم جامع لكل مايحبه الله ويرضـــــاه
من الأقوال والأعمال الباطنـــــــة
والظاهرة . " (١)

ولقد كان هذا المفهوم القاصر للعبادة البداية الأولى الـــــتي أدت الى فصل الدين عن بقية أجزاء النظام الاجتماعي ، كما أعانت هـذه الفكرة القاصرة على ضعف الوعي السياسي والاجتماعي بل الأخلاقي لـــدى المسلمين ، وأصبح مقياس التقوى في نظر الكثيرين محصورا فـــي أداء العبادات واقامة العبادة مقام العمل وتلمس الاسباب ، والترديد الذكـرى باللسان بدل التفكر والتدبر في آيات الله ، " وصورته أن يـــردد اللسان اسما من أسماء الله الحسنى عشرات أو مئات أو الوف المرات " (٢) دون تفكر أو تمعن فيها ، بل انها تؤدى في غيبة العقل وغفلـــة الشعور .

وبهذا المعنى القاصر فقد المسلمين القوة المحركة التي دفعـت حضارتهم نحو الأمام والتي تتمثل في الاستقامة على ماشرع الله ولـــزوم الصراط المستقيم والاحسان في كل عمل يؤديه المسلم باعتبار أنها مـــن العبادة لله .

ب- سوء فهم عقيدة القضاء والقدر :

ان من أسباب انهيار الحضارة الاسلامية شيوع مبدأ الجبريـــة بين الناس حتى غدا الايمان بالقضاء والقدر استسلاما للواقع ايا كان وضعـه

---

(١) ابن تيمية : العبودية ، ص ٤ .
(٢) محمد الغزالي : الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، ص ٧٧ .

ذلك أن :

" الانسان مجبور في أفعاله وانه لا اختيار له ولا قدرة ، وأنه كالريشة المعلقة في الهواء اذا تحرك تحركت واذا سكن سكنت وان الله سبحانه وتعالى قدر عليه أعمالا لابد أن تصدر منه "(١)

ولقد أدى انتشار هذا المبدأ بين الناس في عصور الضعف الى نتائج سيئة ، منها ترك الكسب والارتزاق ، والاستسلام للواقع والرضى به مما أدى الى توقف الحركة الحضارية في المجتمع الاسلامي ، وتوقف حركة الجهاد والدفاع عن النفس ضد الأعداء .

حـ - **القصور في فهم معنى التوكل والزهد :**

لحق سوء الفهم مفهوم التوكل والزهد حتى غدا التوكل تواكلا وتعطيلا والزهد فرارا وكسلا وعزلة والولاية لله - أي مناصرة دينه - كرامات خارقة ومقامات باطنية ، ويصف المفكر محمد المبارك هذا الوضع بقوله :

" ذلك أن المتأخرين فهموا من التوكل ترك الأخذ بالأسباب ، واهمال سنن الله في هذا الكون ، والاستسلام دون حركة أو عمل للوصول الى غاية أو هدف ،

---

(١) علي مصطفى الغرابي : تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين ، ص ٢١ .

كالنصر على الأعداء أو الحصول على الرزق . ولو كان هذا الفهم صحيحا لكان أولى الناس بتطبيقه سيد المتوكلين وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أنه اتخذ للنصر أسبابه ، واتخذ الأدوية لنفسه ولغيره . . " (١)

وكان نتيجة هذا الفهم القاصر أن ركدت الحياة الاجتماعية وتوقفت الحضارة الاسلامية عن العطاء ، بل بدأت بالتراجع الى الخلف ، ويصف ابن الجوزى نتائج الزهد المنحرف وظهور المتصوفة المغالين بأمور بعيدة عن روح الاسلام ومنهجه ومنها :

١ - الاعراض عن العلم فقد اشتغلوا بالزهد ، وهم بذلك استبدلوا الذى هو أدنى بالذى هو خير . فالزاهد لا يتعدى نفعه عتبة بابه والعالم نفعه متعد " .

٢ - ترك المباحات من طعام جيد وشراب بارد ولباس لين . . وما هذه طريقة الرسول صلى الله عليه وسلم ولا طريقة أصحابه وأتباعه .

٣ - البعد عن حقيقة المسلم الجميل في منظره وهيئته وخلقه وذلك بلبس المخرق وترك اصلاح العمامة وتسريح اللحية (٢) .

ومنهم : " من يلزم الصمت الدائم وينفرد عن مخالطة أهله فيؤذيهم بقبح أخلاقه وزيادة انقباضه

---

(١) محمد المبارك ، مرجع سابق ، ص ٥٩ .
(٢) انظر جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن الجوزى : تلبيس ابليس ، ص ١٥٠ - ١٥٦ .

وينسى قول الرسول صلى الله عليه وسلم : ان لأهلك عليك حقا " (١) ، ومن نتائجه ايضا انتشار البطالة فكثير من المتصوفة " مستريحون في الأربطة من كد المعاش متشاغلين بالأكل والشرب والغناء والرقص " (٢) كل هذه الصفات وغيرها تدل على بعد هؤلاء الزهاد والمتصوفة عن ثقافة الاسلام واسلوب حياته وسلوك أفراده .

ثالثا - الركود العلمي وغياب المنطق العقلي وتوقف الاجتهاد :

يعتبر هذا العامل وهو الركود العلمي وغياب المنطق العقلي وما أعقبه من توقف الاجتهاد ، نتيجة وسببا في وقت واحد ، فهو نتيجة بعد المسلمين عن ينابيع الثقافة الاسلامية الصافية وهي الكتاب والسنة تلك الينابيع التي تدعو الى التفقه والتعلم والفهم والكشف عن سنن الكون وهو ايضا نتيجة لدخولهم في متاهات المناقشات الفلسفية والمجادلات الكلامية النظرية ولانحراف فهمهم لكثير من المفاهيم الاسلامية عن معانيها الاصلية وبذلك فقد المسلمون المحيط الثقافي الذى أوجده القرآن في مجتمع صدر الاسلام والذى دفع المسلمين الى التدبر والى الابداع والتفوق وهو ماسميناه : " الاهتمام الاسمى والبيئة العلمية الصحيحة " وبذلك لم تعد للفرد سيطرة لا على الافكار ولا على الاشياء فمنذ عصور الضعف :

---

(١) نفس المرجع السابق : ص ١٥٦ .
(٢) نفس المرجع : ص ، ١٧٥ .

" كان المسلم ينزلق على سطح الاشياء دون أن يغور خلالها ويمر بجانب الأفكار دون أن يتعمقها ، لأنه لم تعد له علاقة بهذه أو تلك ، فلم يعد ينتج عن لقائه بالحياة الاجتماعية تلك الصدمة القوية التي تغير اسلوبها ، كما تغير سلوكه " . (١)

ويبعد المسلمين عن اطار الثقافة الاسلامية فقدوا القوة الدافعة التي كونت حضارتهم لقرون عديدة وهي قوة الايمان :

" وعندما يبلغ مجتمع ما هذه المرحلة ، اى عندما تكف الرياح التي منحته الدفعة الأولى عن تحريكه ، تكون نهاية " دورة " وهجرة " حضارة " الى بقعة اخرى ، تبدأ فيها دورة جديدة ، طبقا لتركيب عضوى تاريخي جديد . وفي البقعة المهجورة يفقد العلم كل معناه ، فأينما توقف اشعاع الروح يخمد اشعاع العقل ، اذ يفقد الانسان تعطشه الى الفهم ، وارادته للعمل عندما يفقد الهمة و" قوة الايمان " ." (٢)

وهذا العامل هو سبب من الاسباب التي أدت الى زيادة بعد المسلمين عن " دائرة الحضارة " ودخولهم في " دائرة التخلف " والبعد اكثر عن مجال الثقافة الاسلامية ، ويصف أبو الحسن الندوى علماء المسلمين في هذه الفترة بقوله أنهم :

---

(١) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص ٤٧ .
(٢) مالك بن نبي : وجهة العالم الاسلامي ، ص ٢٦ - ٢٧ .

" يضيعون ذكاء هم في مباحث فلسفية وكلامية لاتجدى نفعا ولا تأتي نتيجة، وليس لها دعوة في الدنيا والآخرة، وتشاغلوا بها عن علوم واختبارات تسخر لهم قوى الطبيعة ويسخرونها لمصلحة الاسلام ويبسطون بها سيطرة الاسلام المادية والروحية على العالم كله " (١)

لقد ضعفت عند العلماء وعامة هذه العهود الصلة بين الأسباب والمسببات وابتعدوا عن دراسة السنن وهي أن لكل نتيجة سببا :

" وجعلوا الدنيا لاتضبطها قاعدة، ولا يحكمها قانون ... وهذا التصور المخبول لاينضج معه علم .. ولا يصلح فيه بحث ولا يملك اصحابه الادوات التي يحققون بها نجاحا عليا في هذه الحياة " (٢)

ولقد تميزت هذه العصور بغلبة التقليد والنقل وتعطيل ملكة الاجتهاد والابداع الشخصي في شتى المجالات :

" وفي التقليد ابطال منفعة العقل لأنه انما خلق للتأمل والتدبر ... وعموم أصحاب المذاهب يعظم في قلوبهم الشخص فيتبعون قوله من غير تدبر بما قال " (٣)

---

(١) ابو الحسن الندوى : ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين، ص ١٥٠
(٢) محمد الغزالي : الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر، ص ٨٣.
(٣) ابن الجوزى : مرجع سابق، ص ٨١.

ومن أكثر المجالات التي تميزت بالابداع في عصور التقدم والتي أصابها الركود والجمود ، مجال الفقه حيث مني بالتقليد والنقل والبعد عن معرفة الدليل الشرعي الأصلي من الكتاب والسنة ، انما هو غالبا تقليد لفقيه متأخر من فقهاء المذاهب أو المؤلفين فيه " (١) ،

ولقد أدى ذلك الى التعصب المذهبي وذلك عندما أخذ الاتباع :

" أقوال أئمتهم على أنها الأصل الذى يشرح ، ونظروا اليها كأنها الدين الذى يتبع ، ونشأ عن هذا جفوة بين مقلدى المذاهب المختلفة . . " (٢)

وكان نتيجة هذا التقليد والتعصب المذهبي أن زاد بعد المسلمين عن ثقافتهم وزاد تمزق وحدتهم الفكرية والاجتماعية ، حتى كان يصلي في كل مسجد أئمة بعدد المذاهب المتبعة في ذلك البلد " (٣)

---

(١) محمد المبارك : مرجع سابق ، ص ٥٦ .
(٢) محمد الغزالي : دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين ، ص ٥٢ .
(٣) محمد المبارك : مرجع سابق ، ص ٥٦ .

رابعا : - اهمال الجانب الاجتماعي :

ان من جملة أسباب انحطاط المسلمين وبعدهم عن اطار ثقافتهم الاسلامية الصحيحة ، اهمالهم للجانب الاجتماعي في الاسلام سواء منها جانب الحقوق والواجبات أو الآداب الاجتماعية ، والذى جعل منهم خير أمة أخرجت للناس بعقيدتها وأخلاقها :

" * كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله * " (١)

لقد انحصر الاسلام في مفهوم الكثيرين في عصور الضعف فيشعائر تعبدية فردية يؤديها الفرد لينال ثواب الآخرة دون أن يكون لها تأثير يذكر على تزكية نفسه واستقامة حياته الخلقية والاجتماعية ، ولقد أورث هذا الفهم القاصر انفصالا بين العنصر الروحي والعنصر الاجتماعي وبين المبدأ والحياة ، فالمسلم في عصر الانحطاط وحتى وقتنا الحاضر :

" لم يتخل مطلقا عن عقيدته ، ولقد ظل مؤمنا ، وبعبارة أدق ظل مؤمنا متدينا ، ولكن عقيدته تجردت من فاعليتها ، لانها فقدت اشعاعها الاجتماعي فأصبحت جذبية فردية ، وصار الايمان ايمان فرد متحلل من صلاته بوسطه الاجتماعي " (٢)

---

(١) سورة آل عمران : الآية " ١١٠ " .
(٢) مالك بن نبي : وجهة العالم الاسلامي ، ص ٤٨ .

لذلك تساهل الكثيرون في حقوق العباد ظنا منهم أن المداومة على عبادة ما أو مجرد انتمائهم الى الاسلام يكفي المسلم .

ولقد لحق بالتساهل في اداء الحقوق والواجبات التساهل في جانب الآداب والسنن الاجتماعية التي حض عليها الاسلام والتي بها تكتمل صورة الثقافة الاسلامية المثلى مثل آداب الطريق وآداب المصاحبة وأدب الكلام والنظافة... الخ .

لقد أصبح ايمان هذه العصور ايمانا فرديا ، وبذلك أصبح عاجزا عن دفع الحضارة وتحريكها .. لقد أصبح ايمان رهبان ، يقطعون صلاتهم بالحياة ، ويتخلون عن واجباتهم ومسؤولياتهم ، ولقد أخل هذا بتماسك المجتمع وأدى الى ضعفه وفسح المجال فيما بعد لدخول التيارات والمذاهب الأخرى بدعوى أن الاسلام دين منفصل عن الحياة .

العوامل الخارجيـــــة :

أدت العوامل " الداخلية " الى ركود المجتمع الاسلامـــي ، ووصوله الى مرحلة الغثائية التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم فـــي حديثه : " ولكنكم غثاء كغثاء السيل " فهو مجتمع متفكك توقف عـــن العطاء الحضارى . ولقد مهد هذا الواقع للغرب وللقوى المتربصـــة سبل تنفيذ مخططاتها لضرب الاسلام وتحطيم المسلمين ، ذلك أن موقـــف الغرب من الاسلام موقف حقد وكره وعداء ، ويصف هذا الموقف مفكـــر اهتدى للاسلام بعد أن عاين بنفسه موقف الغرب من الاسلام بقوله :

> " لاتجد موقف الأوروبي موقف كره من غيـــر مبالاة فحسب كما هي الحال في موقفـــه من سائر الأديان والثقافات بل هو كـــره عميق الجذور يقوم في الأكثر على صـــدود من التعصب شديد . وهذا الكره ليـــس عقليا فحسب ، ولكنه يصطبغ ايضا بصبغـة عاطفية قوية " (١)

ولقد استعان الغرب بعدة وسائل لتنفيذ مخططاته ، أدت بدورها الى زيادة بعد المسلمين عن تمثـل ثقافتهم الاسلامية واتبـــاع الغرب في صور من ثقافته وهذه الوسائل هـــي :

---

(١) محمد أسد : الاسلام على مفترق الطرق ، ترجمة عمر فـروخ ، ص ٥٢ - ٥٣ .

أولا - استعمار الأرض :

بدأت محاولات الغرب للسيطرة على أرض العالم الاسلامي في نهاية القرن الحادى عشر الميلادى على شكل حروب دينية هي الحروب الصليبية فلقد :

> " اتصل الغرب النصراني بالشرق الاسلامي اتصال اعتداء مسلح طوال قرنين كاملين من الزمن ، من نهاية القرن الحادى عشر، الى آخر القرن الثالث عشر الميلادى ، وهو اعتداء الحروب الصليبية " (١)

ولقد أدت هذه الحروب التي شنها الغرب على العالم الاسلامي والتي انتهت بهزيمة الغرب الى تكوين عاطفة الكره ضد المسلمين وفي ذلك يقول المفكر محمد أسد :

> " ان الشر الذى بعثه الصليبيون لم يقتصر على صليل السلاح ولكنه كان قبل كل شيء شرا ثقافيا ، لقد نشأ تسميم العقل الأوروبي عما شوهه قادة الأوروبيين من تعاليم الاسلام ومثله العليا أمام الجموع الجاهلة في الغرب . في ذلك الحين استقرت تلك الفكرة المضحكة في عقول الأوروبيين من أن الاسلام دين شهوانية وعنف حيواني . . " (٢)

---

(١) محمد امين المصرى : المجتمع الاسلامي ، ص ٣٦ .
(٢) محمد اسد : مرجع سابق ، ص ٥٨ .

لذلك فما كادت أوروبا تستجمع قواها وتمتلك ناصية التقدم المادي والعلمي حتى عادت مرة أخرى لاستعمار أراضي العالم الاسلامي من أجل استغلال خيراته وفرض سيطرتها عليه .

" وبذلك طُوِّقَ العالم الاسلامي من الشرق والغرب ، وسلط ألاعيبه ودسائسه على بقية التجمعات الاسلامية الأخرى بين هذين الطرفين ، فوهنت هذه التجمعات ، وانحل عقدها ، وسقط بعضها أثر بعض تحت نفوذ المستعمر الغربي ، وماجاءت الحرب العالمية الأولى وانقضى أجلها ، حتى أصبح العالم الاسلامي كله تحت نفوذ هذا المستعمر " . (١)

ويمكن وصف استعمار الأرض بأنه عملية حجر على ثروات البلاد وموارد ها لحساب المستعمر وحده ولحساب تطوره ورفاهيته ، وعلى حساب سكان البلاد الأصليين ولم يقتصر الاستعمار على استغلال الأرض فقط ، بل امتد الى المستعمرين لابقائهم في حالة من الجمود والقصور بوسائل غير شريفة ، وبتزييف ادراكهم وفكرهم ، وتلويث طبيعتهم فهو يحاول سلب كرامة الشعب وعزته وعرقه انه يستهلكه بلا ثمن ، وقد أشار القرآن الكريم الى هذا المعنى في قوله تعالى: * قالت ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة ،وكذلك يفعلون * (٢)

---

(١) محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ، ص ٣٠ .

(٢) سورة النمل : الآية " ٣٤ " .

" فجمع القرآن الكريم في هذه الآية مظاهر الاستعمار في كلمتين " افسدوها الفساد العلمي ، والفساد الاقتصادى ، والفساد الصحي ، والفساد الاخلاقي ... ومن مظاهره : الذل والفقر والمسكنة ....
" وجعلوا أعزة أهلها أذلة " . فاذا فقد الانسان عزته ، وكان أمره فرطا ، فقد كل شيء في حياته ، فقد مظاهر الحياة ، وكلما ظهرت قوة المستعمر في بلد ، كلما ظهر بطشه وغطرسته " (١) .

والأمثلة على ماتركه الاستعمار من الفساد والتحطيم المعنوى كثيرة تشهد عليها كتب التاريخ التي تؤرخ لتلك الفترة في جميع انحاء العالم الاسلامي ، ولقد أوهن الاستعمار الجسد المسلم ومزق أوصاله ، ولولا أن الله قد منّ على أمة الاسلام بالاستمرار وبحفظ اصول دينها ، وسخر لها رجالا ذوى عقيدة حية يحاولون دائما احياء نوره في قلوب المسلمين لقضى هذا الاستعمار على ثقافة الاسلام .

ثانيا - الغزو الفكرى " استعمار العقول " :

لقد رافق استعمار الأرض استعمار للعقول أو مايسمى بالغزو الفكرى واستمر الى وقتنا الحاضر وأدى الى الاعجاب بكل ماهو غربي ، ويعلل ابو الأعلى المودودى التبعية الفكرية للغرب بقوله :

---

(١) حسن البنا : نظرات في اصلاح النفس والمجتمع ، ص ١٨٣ .

" ان الغلبة والاستيلاء المعنوى ، يقوم بنيانه في الحقيقة على الاجتهاد والتحقيق العلمي ، فكل أمة تسبق غيرها اليه تتولى قيادة العالم وزعامة الأمم ، وتستولي أفكارها هي على العقول ، وأما الأمة التي تتخلف في هذا الطريق فلا تجد مناصا من اتباع الغير وتقليده ، اذ لاتبقى في افكارها ومعتقداتها من القوة والأصالة مايكسبها السيطرة على الأذهان ، فيجرفها تيار الأفكار القوية التي تتقدم بها الأمة الباحثة المجتهدة " (١)

ولقد كان الغزو الفكرى أخطر من استعمار الأرض وأشد على الثقافة والعقل المسلم ، ولم يأت التوجه نحو الغزو الفكرى صدفة أو ارتجالا بل جاء نتيجة دراسة وتحليل واستقراء للوضع الاسلامي ـ المتخلف ـ للتعرف على نقاط الضعف التي يعاني منها المسلمون من أجل استغلالها في اقتحام العقل المسلم وتمييع الحياة الاسلامية ، وبذلك يبنون عقولا لاتدرك ولا تبصر الا مايريد الاستعمار لها أن تدرك وأن تبصر . . . ولقد وجدت هذه الحملات " فراغا " عند المسلمين حال دون ملئه ركود فكر المسلمين وبعدهم عن عقيدتهم ، وعدم قيامهم بدورهم الايجابي في الحياة .

ولقد شملت معركة العقل والثقافة شتى ميادين الحياة في المجتمع الاسلامي المعاصر ، في التربية وفي التفكير وفي الأدب والفن وفي السياسة والاقتصاد وسائر ميادين الحياة .

ولقد حاول الغرب تنفيذ خطة الغزو الفكرى وزيادة صورة

---

(١) أبو الاعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية ، ص ١٠ .

أزمة الثقافة في الدول الاسلامية بوسائل مختلفة وعبر قنوات ثلاث ، مكنتهم من التحكم في العقل المسلم وهي :

١ - احتواء مناهج التعليم بكل مراحلها بما يتفق وأهدافه وخططه وبذلك أنشأت جيلا بعيدا عن ثقافة الاسلام اذ سيطرت عليه فكريا .

٢ - افساد الموارد التثقيفية بما تشمله من وسائل الاعلام والصحافة والأدب والفن تحت غطاء من شعارات التقدم والابداع والتحرر وبذلك نشرت قيم وعادات ثقافية لاتمت الى الاسلام بصلة .

٣ - صناعة المفكر المستغرب الذى يردد ما يقوله الغرب ويبث فلسفاتهم وآراءهم وصور ثقافتهم في المجتمع الاسلامي .

ولقد تعددت وسائل الغزو الفكرى واساليبه من أجل تحقيق أهدافه ، ومع تعدد هذه الاساليب والوسائل الا انها تتفق في قيامها بعملية ذات شقين :

> " سلبي بافقاد المسلمين ذاتيتهم وابعاد المفاهيم والعادات الاسلامية عنهم وابعادهم عنها ، وايجابي وذلك بملء الفراغ الحادث بالفكر الغربي والعادات الغربية . " (١)

وسأستعرض فيما يلي باختصار أهم أساليب الغزو الفكرى وهي :

---

(١) محمد المبارك ، بين الثقافة الغربية والاسلامية ، ص ٧٨ .

أولا - التنصير والاستشراق :

التنصير والاستشراق وجهان لعملة واحدة اذ " يرى كثير من الباحثين أن الاستشراق تولد مع الاستعمار والتبشير " (١) ، وتلتقي في الدراسات الاستشراقية أهداف التنصير وأهداف الدوائر الاستعمارية فهي تهدف مجتمعة الى تزييف العقيدة الاسلامية وامتصاص مافيها من قوة وجهاد وايمان كما تهدف الى :

" الغض من اللغة العربية الفصحى ، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية ، وكذا بين الشعوب الاسلامية ، والتنديد بحال الشعوب الاسلامية الحاضرة ، والازدراء بها في المجالات الدولية والعالمية " (٢)

وفي أقوال المنصرين والمستشرقين مايؤكد أهدافهم هذه ، فالمنصر " زويمر " وصف مهمة المنصرين وهدفهم بقوله :

" لكن مهمة التبشير التي تدبتكم دول المسيحية للقيام بها في البلاد المحمدية - ليست ادخال المسلمين في المسيحية ، فان في هذا هداية لهم وتكريما وانما هي أن تخرجوا المسلم عن الاسلام ليصبح مخلوقا لاصله له بالله . وبالتالي لاصلة تربطه بالأخلاق التي تعتمد عليها الأمم في حياتها ... " (٣)

---

(١) علي محمد جريشة ومحمد شريف الزبيق : اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي ، ص ٢٠ .

(٢) محمد البهي : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٥١٩

(٣) عبد الله التل : جذور البلاء ، ص ٢٧٥ .

ولا يتسع المجال للتوسع في ضرب الأمثال من أقوال المنصريـــن والمستشرقين . .

ولقد استغل التنصير وضع الدول الاسلامية المتأخرة في ميادين التعليم والصحة والخدمة الاجتماعية - فأخذ يرتع فيها كما يرتع الداء في جسم لا مناعة له. لقد اتخذ التنصير من هذه الميادين مجالا خصبا لبث أفكاره وتنفيذ أهدافه .

" فقد سلك طريق التعليم المدرسي في دور الحضانة ورياض الأطفال والمراحل الابتدائية والثانوية والجامعية للذكور والاناث على السواء ، كما سلك سبيل العمل الخيري " الظاهري في المستشفيات ودور الضيافة ، والملاجي" للكبار ، ودور اليتامى واللقطاء . ولم يقصر التبشير في استخدام " النشر والطباعة " وعمل " الصحافة " في الوصول الى غايته" (١)

ولقد أدى ذلك الى انشاء أجيال من الأمة الاسلامية لها ولاء كامل للغرب وثقافته ، وقد حملت هذه الأجيال فيما بعد لواء نشر ثقافة الغرب . ويذكر أنور الجندى الأخطار التي نشرتها المدارس التنصيرية في كثير من أنحاء العالم الاسلامي وهي :

١ - اغفال اللغة العربية وتعليم اللغات الأجنبية .

٢ - تلقين أبنائنا تاريخ أوروبا وحرمانهم من تاريخهم العربي الاسلامي .

---

(١) محمد البهي : مرجع سابق ، ص ٥٢١ .

٣ - خلق طبقة مستعلية تنظر بازدراء الى كل مايتصل بالثقافة الاسلامية .

٤ - تفكك الأسرة المسلمة لتعدد الثقافات في الدولة الواحدة . (١)

أما الاستشراق فقد اتخذ من الكتاب والمقال ومن المؤتمرات ومن قاعات التدريس في كثير من الجامعات سواء الأوروبية أو الاسلامية مجالا خصبا لبث سمومه وأفكاره ، ولقد اتبع في ذلك خطة دنيئة تقوم على اثارة الشبهات والشكوك في الاسلام وذلك عن طريق التشكيك :

" في صحة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، والتشكيك في أن القرآن وحي من الله والتشكيك في الحديث النبوى .. وفي الفقه والتشريع .. وفي قدرة لغة القرآن على مسايرة التطور والتشكيك في التراث الاسلامي " (٢)

كل ذلك من أجل زعزعة الايمان بالعقيدة الاسلامية وبثقافة الاسلام وافساح المجال لتوغل افكارهم وعقائدهم وثقافتهم في العقل المسلم .

وامتدت الدراسات الاستشراقية لدراسة المجتمعات الاسلامية والفرد المسلم وتحليل نفسيته ونقاط ضعفه حتى يتسنى لهم التأثير المرغوب . كما صورت هذه المؤلفات الاسلام :

---

(١) انظر التربية وبناء الاجيال في ضوء الاسلام ، ص ٣٢ - ٣٣ .
(٢) انور الجندى : تصحيح المناهج في ضوء الكتاب والسنة ، ص ٣٤ .

" تصويرا يثبت فضل المسيحية ورجحانها على الاسلام ، ويبعث في الطبقة المثقفة اعجابا بالمسيحية وحرصا عليها ، لذلك نرى أن الاستشراق والتبشير يسيران معا . . وان عدد المستشرقين الأكبر اساقفة ، وعدد كبير منهم يهود ديانة وجنسا " (١)

وعمل المستشرقون ايضا على ابراز جوانب الضعف التي منيت بها ثقافة المجتمعات الاسلامية في عصور الضعف وذلك بابراز الأفكار والشخصيات المنحرفة باعتبارها تمثل الاسلام ، والادعاء بأن المجتمع الاسلامي مجتمع مضطرب ، واعتمادهم في ذلك على قصص ألف ليلة وليلة وشعر أبي نواس وبشار بن برد ، واحيائهم للتراث الباطني كالمجوس والغنوصي القديم مستهدفا من ذلك أن يحطم اصالة الاسلام . (٢)

ولقد أصبحت كتابات المستشرقين مرجعا لأبناء المسلمين الذين يدرسون في الجامعات سواء في داخل بلادهم أو خارجها فمن هذه الكتب يتلقون علومهم فيما يتصل بتاريخ وثقافة المجتمعات الاسلامية بل حتى فيما يتصل بمعتقداتهم الدينية والروحية مخالفين في ذلك لأمر الله * يا أيها الذين آمنوا لاتتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفار أولياء ، واتقوا الله ان كنتم مؤمنين *(٣)

---

(١) ابو الحسن الندوى : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، ص ١٧٩ .

(٢) أنور الجندى : الاسلام في وجه التغريب مخططات الاستشراق والتبشير : ، ص ٢٧٥ .

(٣) سورة المائدة : الآية " ٥٧ " .

وفي وصف أثر الدراسات الاستشراقية يقول مالك بن نبي :

" ان الأعمال الأدبية لهؤلاء المستشرقين قد بلغت في الواقع درجة خطيرة من الاشعاع لاتكاد نتصورها ، وحسبنا دليلا على ذلك ان يضم مجمع اللغة العربية في مصر بين أعضائه عالما فرنسيا ، وربما أمكننا أن ندرك ذلك اذا لاحظنا عدد رسالات الدكتوراة ، وطبيعة هذه الرسالات التي يقدمها الطلبة .. كل عام الى جامعة باريس وحدها ، وفي هذه الرسالات كلها يصرون - وهم أساتذة الثقافة العربية في الغد وباعثوا نهضة الاسلام - يصرون كما أوجبوا على أنفسهم ، على ترديد الأفكار التي زكاها أساتذتهم الغربيون " (١)

ثانيا - **التغريب** :

من أساليب الغزو الفكرى في العالم الاسلامي ، الدعوة الى التغريب ، أو اتباع الغرب ، وهي دعوة بدأها الاستعمار الغربي وساندها ، ولم يهدف من ذلك نهضة العالم الاسلامي ، انما هدفه :

---

(١) مالك بن نبي : الظاهرة القرآنية ، ص ٥٥ .

" ازالة الحواجز التي تقوم بينه وبين هـذه الشعوب ، وهي حواجز تهدد مصالحـه الاقتصادية ، وتجعل مهمة حراستهـا والمحافظة عليها صعبـة غير مأمونـة العواقب " (١)

وأكمل الدعوة الى التغريب أتباعه من أبناء المسلمين والذيـن تأثروا بما وصل اليه الغرب من تقدم مادى ورقي تقني ، ولو أن الأمـر اقتصر على الأخذ من اساليب التقدم المادى مع الاحتفاظ بالشخصيـة الاسلامية لما كانت هناك مشكلة ، الا أن دعوة التغريب امتدت لتشمل التغيير الاجتماعي ، من قيم دينية ، ومثل أخلاقية ، فاللغة العربيـة والتشريع الاسلامي .. ونظام الحياة الاسلامي .. أمور رجعية يجب أن يلحقها التغيير أو التغريب .. والذى يعرفه المفكر محمد البهـي بأنـه :

" محاولة أخذ الطابع الغربي والاسلوب الغربي في تفكير الغربيين سواء في تعبيرهم عـن الدين أو في تحديدهم لمفاهيمه ومفاهيـم الحياة التي يعيشونها أو في تقديرهـم للثقافات الشرقية الدينية والانسانية " (٢)

وحركة التغريب التي تدعو الى التغيير الاجتماعـي وتقليـد الغرب انما يوجهها اتجاهان يتفقان في بعدهما عن روح الاسلام فهي :

---

(١) محمد محمد حسين : الاسلام والحضارة الغربية ، ص ٤٢ .
(٢) محمد البهي : مرجع سابق ، ص ٢٠٠ .

" تسير : اما في طريق " الاستشراق " ، ودراسة المستشرقين القائمة على تشويه الاسلام ، وعرض تعاليمه عرضا مغرضا . . واما في طريق الفكر المادى المنكر للروحية أو المستخف بها " (١)

ولقد استغل الغرب ودعاة التغريب عدة منافذ خطرة ليصل عن طريقها الى العقل المسلم ولعل أهمها مايلي :

١ - " الجاليات الأجنبية " التي استقرت في بلاد المسلمين ، واصبحت :

" تحيا بين ظهرانيهم ، وتعيش في قلب بلادهم ، وتقدم نموذجا حيا لأنماطها الفكرية والاجتماعية " (٢)

ولم يقتصر الأمر على فرض أنماطه الفكرية والاجتماعية بل فرض الاستعمار على شعوب الدول المستعمرة لغاته ، وعمل على اقصاء اللغة العربية ونشر العاميات بدلا من العربية الفصحى فقد دعى أحدهم وهو :

" ويلمور وهو أحد قضاة محكمة الاستئناف بالقاهرة الى استعمال اللغة العامية بدلا من العربية الفصحى أو ما أسماه لغة القاهرة ووضع لها قواعد واقترح باتخاذها لغة للعلم والأدب كما اقترح كتابتها بالحروف اللاتينية " (٣)

---

(١) محمد البهي : مرجع سابق ، ص ٢١٣ .
(٢) محمد محمد حسين : مرجع سابق ، ص ٤١ .
(٣) انور الجندى : من التبعية الى الأصالة في مجال التعليم والقانون ، ص ١٤٩ .

وكل ذلك في سبيل فصل المسلمين عن مصدر ثقافتهم وشريعتهم وهو القرآن الكريم المكتوب باللغة العربية .

٢ - البعثات الدراسية ونقل مناهج التعليم من البلدان الغربية . فلقد سعى دعاة التغريب والاستعمار الى توجيه البعثات الدراسية نحو العلوم الاجتماعية كما نقلوا هذه العلوم الى المناهج الدراسية في الدول الاسلامية بما تحتويه من نظريات وفلسفات ومفاهيم الحادية وتصور للكون والانسان بعيدا عن فكرة الاله الخالق وعن المسؤولية العظمى أمام الله .

ولقد ادى التوجه نحو هذه العلوم - من فلسفة وعلم اجتماع وعلم أخلاق وعلم التربية والآداب والتاريخ والمأخوذة من الثقافة الغربية - من غير نقد أو تمحيص الى رواج :

> " أفكار خطيرة تعارض الاسلام والثقافة الاسلامية ، بل تعارض المنطق والبحث العقلي السليم . . . وهذه العلوم بمجموعها هي المسؤولة عن رواج مثل هذه الأفكار في الساحة العامة للفكر الاسلامي المعاصر ليلتقطها صغار الطلبة وأنصاف المتعلمين والذين يحملون في أنفسهم مركبات النقص والشعور باحتقار الذات ، وليتخذ منها بعض المثقفين وأشباه المثقفين وسيلة رخيصة لاظهار تقدمية كاذبة ". (١)

ومن أكثر الأفكار التي روجها دعاة التغريب وكان لها أكبر الأثر على ثقافة المجتمع الاسلامي مايلي :

---

(١) محمد المبارك : مرجع سابق ، ص ٨٥ .

العلمانيـــة :

وهي تعني انفصال الدين عن الحياة فهي تعني " لادينـــي أوغير عقدى ومن ثم كانت العلمانية تعني اللادينية " (١) ، ولقـــد اتخذت العلمانية عدة مجالات لتطبيق سياستها وتأتي في المرتبة الأولـــى مجال التعليم حيث فصلت المواد الدراسية عن الدين ، واصطبغـــت معظم المعلومات التي فيها بالصبغة المادية الالحادية ، فالطبيعة هـــي التي أوجدت أو خلقت الموجودات .

والمجال الثاني الذى نفذت عن طريقه العلمانية هو الاعـــلام من صحافة واذاعة ، وتلفزيون وسينما .

> " والعلمانية في الاعلام أعم وأشمل .. ومـــن هنا تكمن خطورتها ، ان التعليم قـــد يخاطب الآلاف بمناهجه ، ولكن الاعـــلام يخاطب الملايين ببرامجه " (٢)

وتطبيق القوانين والأحكام الوضعية بدل الشريعة الاسلاميـــة هي المجال الثالث الذى نفذت من خلاله العلمانية وبذلك انتشـــرت أمثال هذه الأفكار :

---

(١) علي محمد جريشه : مرجع سابق ، ص ٥٩ .
(٢) نفس المرجع : ص ٧٠ .

" ما للدين ونظام المجتمع ؟ ماللديـــــن والاقتصاد ؟ ماللدين وعلاقات الفـــرد بالمجتمع وبالدولة ؟ ماللدين والسلـــوك العملي في واقع الحياة ؟ ماللدين والملبس وخاصة ملابس النساء ؟ ماللديـــن والفن ؟ ما للدين والصحافة والاذاعة والسينمـــا والتلفزيون ؟ وباختصار ماللديـــن والحياة ؟ (١)

التحـــرر :

ويقصد به التحرر من القيم والمبادىء الدينية والخلقية ، " واعتبار قواعد العفة والضبط الجنسي ضربا من الرجعية " (٢) ، وتهدف هـــذه الدعوة الى تقليد الغرب فيما وصل اليه من انحلال خلقي ، ولقد شملت الدعوة الى التحرر عـدة مجالات منها : الدعوة الى حرية الفكـــر والمقصود منها :

" حماية الآراء التي تخدم الأفكار الدخيلـــة المعارضة لما تواضع عليه الناس مـــن آراء ، وما استقر في مجتمعهم من نظم " (٣)

بل وحماية الآراء التي تعارض الدين الاسلامي وتدعو الـــى الاباحية والى الاستهزاء بالأديان والرسل ، والآراء التي تدعو الـــى تطبيق فلسفات وشرائع وضعية مختلفة ، فهي حرية من رقابة الديـــن والاخلاق والضمير .

---

(١) محمد قطب : هل نحن مسلمون ، ص ١١٠ .
(٢) محمد المبارك : مرجع سابق ، ص ٨٦ .
(٣) محمد محمد حسين : مرجع سابق ، ص ١٢١ .

وامتدت دعوة التحرر الى تحرير المرأة من كل مايصون عفتها وشرفها ، فبدأت الدعوة بضرورة الاختلاط ثم امتدت الى الكشف عن مفاتنها واشاعة الانحلال في المجتمع .

وشملت دعوة التحرر : التحرر من اسلوب الحياة الاسلامية سواء في طريقة الأكل أو في التحية أو في الزى وغيرها من المظاهر بحجة أنها لاتمس الدين الاسلامي ..

هذه بعضٌ من الأفكار التي بثها دعاة التغريب وان كان هناك الكثير منها التي كان لها أثر سيء على العالم الاسلامي ووحدته كفكرة الوطنية والقومية .. .. وغيرها .

وصف أزمة الثقافة :

في الجزء الأول من هذا الفصل تكلمت عن الأسباب التي أدت الى أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر ، وفي هذا الجزء من الفصل سأصف أبعاد هذه الأزمة . وقبل الدخول في وصف أبعاد الأزمة لابد من توضيح نقطتين هما :

الأولى :

عند حديثنا عن بعد المسلمين عن الاسلام وعن تمثل ثقافته ، فاننا لاننفي وجود الايمان ، كما اننا لانقوّم أعمال وسلوك المسلمين من ناحية أخروية ، بل من ناحية اجتماعية ، فالايمان لازالت سيطرته على

نفوس الافراد ، ولا زالت روحه وطاقته الكامنة توجه كثيرا من الحركات الصامدة في وجه أعداء الاسلام ، كما أن هناك بوادر وعي وصحوة اسلامية تحاول تجسيد الاسلام في سلوك عملي وثقافة حية ، لكن لم يتكون منها - الى وقتنا الحاضر - تيار اجتماعي متناسق . لكن في مقابل ذلك نجد ان ايمان الكثيرين ايمان فردى اذ لايقوم بوظيفته الاجتماعية ، اى لايتفاعل مع الواقع ليغيره ويعيد بناءه مما أدى الى انتشار صور البعد عن الثقافة الاسلامية ، ومن أكبر الأخطاء التي نقع فيها :الاطمئنان الى صور التدين الفردى واعتباره أحسن مايمكن الوصول اليه ، فالتدين ان لم يكوّن الانسان الصالح التقي المنتج ، وان لم يكوّن المجتمع الحضارى الذى يبلغ رسالة الاسلام الى العالم ليخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله سبحانه وتعالى ، فهو تدين عقيم يؤدى الى التوقف بدل التطور .

الثانيـــة :

أنه رغم صور التخلف والتدهور الذى تعاني منه كثير من المجتمعات الاسلامية الا أنها بالقياس على المجتمعات الغربية تتفوق عليها في كثير من الجوانب الانسانية والأخلاقية ، فلا زالت المرأة المسلمة في كثير من مناطق الاسلام مصانة شريفة ، ولا زال التراحم والتواد قائما بين الآباء والأبناء والأقارب ، بينما نجد أن الحضارة الغربية قد فقدت معنى الانسان في جريها وراء المنفعة العاجلة وتكالبها على المادة ولعل في حركة الاستعمار التي قامت بها هذه الدول ومحاولاتها المستمرة لتحطيم كيان الدول المستعمرة لاكبر دليل على مانقول .

وحين نصف صور البعد عن الاسلام وعن تمثل ثقافته سواء على مستوى الفرد أو الجماعة لانبغي من وراء ذلك تضخيم صور الانحرافات الى درجة التخويف أو التعجيز من مجابهتها واصلاحها ، فهذا مخالف لمنهج الاسلام والذى يتضح في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " اذا سمعت الرجل يقول : هلك الناس فهو أَهْلَكُهُمْ " (١) ولكن الغرض هو وصف نتائج الأسباب التي سبق ذكرها لربط النتيجة بالسبب ، وبيان العلل والأمراض بغية الوصول الى طريق العلاج .

وفي بداية الفصل حددنا أزمة الثقافة في ثلاثة جوانب ، سنتناول كل جانب بالوصف لنرى مدى عمق الأزمة في المجتمع الاسلامي المعاصر.

أولا - عدم انضباط اسلوب الحياة وفق المنهج الاسلامي :

ويرجع عدم انضباط اسلوب الحياة وفق المنهج الاسلامي الى فقدان فاعلية الفكرة الاسلامية - تلك الفكرة التي أوجدت مجتمع صدر الاسلام الذى تمثل الثقافة الاسلامية - فالفكرة الاسلامية لم تعد لها صلة بالوسط الاجتماعي .

وفي هذا المجال يقول مالك بن نبي :

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ١٦ . كتاب البر ،ص ١٧٥.

" ان هناك انفصالا بين العنصر الروحي والعنصر الاجتماعي ، وهناك افتراق بين المبدأ والحياة ، والمسلم يعيش اليوم هذا الانفصال الذى يمزق شخصه لشطرين : شطر ينظم سلوكه في المسجد ، وشطر ينظمه في الشارع " (١)

فلقد أدى تغلغل مفهوم العلمانية - عن طريق الغزو الفكرى - في مجالات الحياة المختلفة في المجتمع الاسلامي الى فصل الدين عن أمور الحياة ، وبذلك أتاح الفرصة لأفكار ومفاهيم وفلسفات بشرية في توجيه الحياة في المجتمع الاسلامي . .

فالمحيط أو الوسط الثقافي الذى يعيش فيه الفرد ويمتص منه قيمه وأنماط سلوكه خليط من صور ثقافية شتى ، ومن عادات باليه ليست من الاسلام . ولم يكن هذا الوسط بما نشأ فيه من جاهليات في مجالات شتى تفسيرا عمليا لاحكام الاسلام وحدوده وفطرته ، وخير مايصور ما وصل اليه الوسط الثقافي في انفصاله عن الفكرة الاسلامية ماقاله احد المسلمين القادمين من الاتحاد السوفيتي في مؤتمر اسلامي عقد في مصر ، حيث فوجيء بما فجعه فقال :

" جئت الى هذا المؤتمر وكنت أظن أنني سأجد الاسلام فاذا أنا أفقده ، أنتم تعلمون أن الشيوعية تنكر وجود الله ، وتجحد الرسل والرسالات ، وتحارب كل الأديان وبخاصة الاسلام ، ومع هذا لافارق

---

(١) مالك بن نبي : ميلاد مجتمع ، ص ٩٨ .

بين القاهرة وموسكو ، الحياة في كلتيهما واحدة ، الخمر في مطاريهما ، وفي كل مكان ، والنساء كاسيات عاريات ، رووسهن كسنام البخت . .

أنتم تصلون خمسا ونحن في موسكو كذلك ، وتصومون رمضان ونحن في موسكو نصوم . . وموسكو أهون شرا من القاهرة فالمسلمون بالقاهرة يتعاملون فيما بينهم بالربا ، ولا ربا في موسكو الملحدة : وا آسفاه على الاسلام الذى أضعتموه ! الحياة هنا نفسها في موسكو " (١)

وسأقتصر في وصف بعد المجال الثقافي عن ثقافة الاسلام على مجالين هامين هما : مجال السياسة والحكم ومجال التعليم .

---

(١) احمد عبد الغفور عطار : مرجع سابق ، ص ٣٢ .

أ - مجال السياسة :

اعتمد الحكم في معظم الدول الاسلامية التي استقلت عن الاستعمار الغربي أو تلك التي لم تستعمرعلى جيل نشأة الاتجاه العلماني في مدارسه العصرية ، وفي جامعاته ومعاهده ذلك أن :

> " الذين ناضلوا في نيل هذا الاستقلال ، وانتقلت اليهم مسئولية هذا التنظيم ، كانوا من فئتين : فئة - وهي الكثرة - من الذين تثقفوا ثقافة غربية ، وفئة أخرى - وهي القلة - من الذين تفقهوا في العلوم الاسلامية " (١)

وكانت الغلبة لأصحاب الاتجاه الأول ، حيث اندفعوا بلا أى تفكير في اقتباس الأنظمة الغربية في الحكم وفي شتى المجالات ، أما الفئة الثانية فلم تكن تملك تنظيمات جاهزة ومتكاملة وقابلة للتطبيق ومستمدة من تعاليم القرآن والسنة لمعالجة مشكلات العصر ، حيث توقف الاجتهاد منذ عصور الضعف الأولى وخاصة في مجال فقه " الحكم والمال والمعاملات " ويؤكد هذه الحقيقة محمد الغزالي فيقول : " من قرون والفقه الدستورى والدولي عندنا صفر ، وفقه المعاملات مجمد " (٢)

ويحكم الوضع الذى فرض على المجتمعات الاسلامية عن طريق

---

(١) محمد عبد الله العربي : مرجع سابق ، ص ١٥.
(٢) محمد الغزالي : الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، ص ١٥٠ .

الاتجاه العلماني ، والتبعية الحضارية الغربية ، فقد كانت تتذبذب بين أنظمة مختلفة للحكم . فدول يحكمها النظام الديمقراطي وأخـــرى النظام الاشتراكي ، وثالثة متذبذبة مرة يسيطر عليها النظام الديمقراطي ومرة الاشتراكي ..

" وقد أدى الأخذ بالنظام الديمقراطي مـن غير تكييف اسلامي ومراعاة الأسس الثابتـة في الاسلام الى الفوضى وانتشار الرذيلـة المرخصة قانونيا ، وانتشار أنواع الفجـور والفسق والخلاعة المنتشرة في البـلاد الديمقراطية ، وانتشار الالحاد الذى يدعم باسم حرية الفكر ، والخيانة باعـلان مناصرة دولة أجنبية والمجاهرة بالدعـوة لها ولمذهبها " (١)

والأمثلة على ذلك من الدول الاسلامية كثيرة ، منها على سبيـل المثال دولة تونس* ، فلقد أخذت هذه الدولة تسير بحكم سياستهـا العلمانية في اتجاهات بعيدة عن الاسلام وثقافته وبذلك فقد بعد الوسط الثقافي عن الفكرة الاسلامية في مجالات متعددة . لقد فرض حاكم تونس عدة اصلاحات تؤكد هذا الاتجاه ومنها : منع تعدد الزوجات ، والعمل على خروج المرأة بعد خلع الحجاب عنها الى مجال العمل دون تحديـد والغاء الأوقاف الاسلامية ، والمحاكم الشرعية ، ووضع قانون للاحـوال الشخصية يختلف عن القانون الاسلامي ، ولم يقتصر الأمر على ذلك بـل

---

(١) محمد المبارك : بين الثقافتين الغربية والاسلامية ، ص ٨٨.

* مايوجد في تونس ينطبق على الدول الاسلامية التي تأخذ بهـذا النظام ولكن بنسبة متفاوتة .

تعداه الى التهجم على الاسلام متأثرا في ذلك بآراء المستشرقين . فالقرآن فيه تناقض لايقبله العقل ، والرسول صلى الله عليه وسلم نقل خرافات الى القرآن سمعها في اسفاره .. الى غير ذلك من الأكاذيب . (١)

والدول الاسلامية في أخذها بالنظام الديمقراطي - الذى هو وليد بيئة معينة ذات ظروف خاصة لايمكن بأى حال أن تنطبق على المجتمع الاسلامي - تتغافل عن جوانبه الحسنة فهي :

> " لاتجارى المجتمعات الرأسمالية في التعديلات التي أدخلت على نظام الحكم هناك لتحقيق صنوف الرعاية الاجتماعية المختلفة .. بل تقف جامدة ، وعلى نحو ماكان على عهد الاستعمار ، وفي استغلاله الاقتصادى وهنا تبدو ظاهرة المساواة وظاهرة تكافؤ الفرص باهتة لا لون لها ، أو معدومة كلية في المجتمع الاسلامي ، الذى يسير وفق هذا النظام الرأسمالي " (٢)

أما بالنسبة للدول الاسلامية التي أخذت بالنظام الاشتراكي فانها لم تكتف بتقليد تنظيماته السياسية ، انما اتخذته مذهبا وعقيدة يوجه جميع تصرفاتها ، وفي ذلك يقول يوسف القرضاوى :

---

(١) بتصرف . أبو الحسن الندوى : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، ص . ص ١٤٣ ، ١٤٧ .

(٢) محمد البهي : الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه ، ص ٤٨٦ .

" ان الاشتراكية العربية ، وخاصة في مصر وسوريه ، والعراق واليمن الجنوبية - على درجات متفاوتة بينها - لم تعد مجرد اصلاحات جزئية تهدف الى اقامة علاقة اجتماعية ، أو تقليل الفوارق الاقتصادية او انصاف العمال والفلاحين أو اصلاح ما أفسدته الليبرالية ونحو ذلك من المطالب الاصلاحية المثالية ، انما أصبحت " مذهبا " فكريا ، أو " ايديولوجية " متكاملة ، لها نظرتها الخاصة للكون وللتاريخ ، وللحياة والانسان .. لهذا نجد عبارات " القيم الاشتراكية " ، و" الخلق الاشتراكي " و" السلوك الاشتراكي " و" الفهم الاشتراكي " عناوين بارزة في قاموس الاشتراكيين " (١)

وهناك نوع آخر من الحكومات ترى أن الاسلام انما يقوم فقط باقامة الحدود أى بقطع يد السارق ورجم الزاني وقتل القاتل ، واقامة الحدود هو جزء من اقامة الدولة الاسلامية ومن تطبيق الشريعة ، فالحدود لم تشرع لاقامة المجتمع المسلم ، كما أن الاقتصار عليها لايقيم المجتمع الاسلامي ، انما هي لحماية المجتمع الاسلامي ووقايته ، أما تطبيق الشريعة الاسلامية فتعني أول ماتعني تمثل ثقافة الاسلام فكرا وعملا انها تعني :

" التربية الاسلامية للفرد ، والشورى في الحكم ، والطاعة في غير معصية للحاكم ،

---

(١) يوسف القرضاوى : الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا ، ص ١٨٧ .

ورفض الاستبداد السياسي مهما كـــان ،
والعدل والمساواة في القضاء ، وإباحـــة
التملك بالوسائل المشروعة ، وتحريم الربـا
والميسر والاحتكار ، والتربية العسكريـــة
الجهادية وسريان روح الجهاد والاستشهاد "(١)

ان هذا الفهم القاصر لطبيعة الاسلام وتمثل ثقافته ، يؤدى الى تطبيقه بشكل قاصر ويعطي نموذجا سيئا عن الاسلام . والمجال هنا لايتسع لضرب أمثلة توضح بعد سياسة الحكم عن منهج الاسلام في كثير من الـــدول الاسلامية ، الا أنه يمكن الوصول الى نتيجة هامة وهي أن للسياســـة ونظام الحكم السائد تأثيرا على الافراد وعلى أخلاقهم وقيمهم ، فهـــي تؤثر في الوسط الثقافي الذى يعيش فيه الفرد بما تفرضه من أنظمـــة وقوانين وأحكام ، وهي تؤثر في تكوين الأخلاق المنبثقة عن النظام الـذى تسير عليه ، وفي تشكيل ثقافة المجتمع وفي ذلك يقول مالك بن نبي :

" ان صناعة السياسة تعني ، الى حد كبيـر
تغيير الاطار الثقافي في اتجاه ينمـــي
تنمية متناغمة ، عبقرية أمـــة ، ومن هنـا
فصناعة السياسة تعني في آخر المطـــاف
صناعة الثقافة " (٢)

فالسياسة تنفيذ وتطبيق لفكرة وفلسفة معينة ، وهـي تحـــاول ترسيخها بشتى الوسائل التي تتحكم فيها من تعليم ووسائل اعلام لذلـــك فان :

---

(١) عمر عبيد حسنه : مرجع سابق ، ص ١١٣ .
(٢) مالك بن نبي : بين الرشاد والتيه ، ص ٧٦ - ٧٧ .

" العزلة عن الحكومات أضحت مستحيلة ومن ثم فان آثار الحكومات في اضعاف الأخلاق وتقويتها لايمكن تجاهلها ولا الافلات منها " (١)

فماذا يعني تزوير الانتخابات وحصول حاكم ما على ٩٩٩ر٩٩ في المائة من الأصوات انها تعني دمارا أخلاقيا يتفشى في المجتمع بتفشي الكذب الفاضح والغش والتزوير ، وبذلك فانه لايمكن اغفال أثر السياسة في ثقافة المجتمع ، ففي ظل النظام الشيوعي والاشتراكي يلقن أفراد الشعب مبادىء الالحاد والاستهزاء بالدين وما يحتويه من قيم وأخلاق ، وفي ظل النظام الرأسمالي تفشو المكاسب الحرام ، ويصبح أكل الربا شيئا عاديا ، حتى كأنه لايزيد عن ست وثلاثين زنية كما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : " درهم ربا يأكله الرجل- وهو يعلم - أشد عند الله من ستة وثلاثين زنية " (٢) وفي ظل هذا النظام ايضا تغلب المادية على الأفراد وتصبح هي المقياس الذى يحكم فيه على الفرد ...

ومايقال عن السياسة ينطبق على الاقتصاد ذلك أن :

" الاقتصاد ليس سوى اسقاط البعد السياسي على نشاط انساني معين . فبقدر ماتبقى السياسة مرتبطة بمبادىء أخلاقية معينة ، يبقى الاقتصاد وفيا للمبادىء ذاتها " (٣)

---

(١) محمد الغزالي : مرجع سابق ، ص ٢٠٩ .
(٢) محمد ناصر الدين الالباني : مرجع سابق ، المجلد الثالث ، رقم ١٠٣٣ ، ص ٢٩ .
(٣) مالك بن نبي : مرجع سابق ، ص ٦٥ .

ب - مجـال التعليم :

يعتبر مجال التعليم من أهم المجالات التي تصور لنا أزمـــة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر ، ذلك أن للتعليم تأثيرا كبيـــرا في حياة المجتمعات ، وفي تشكيل ثقافتها ، وفي نقل الثقافة بما فيهـا من قيم وأخلاق واتجاهات وعادات وتقاليد من جيل الى آخر . وعلى ذلـك فان حدث خلل في بعض أهداف التعليم بحيث لاتتفق مع الثقافـــة الاسلامية ، كان لهذا الخلل أثر كبير في ثقافة المجتمع الاسلامـــي المعاصر .

كما أن تقدم أى أمة في مجال العلم والتعليم يعتبر أســاس رفعتها وغلبتها على بقية الأمم ذلك أن " زعامة الشعوب وثيقة الصلـة بحظها من المعارف والعلوم " (١)

ولقد كان لانتشار الجهل والأمية في الدول الاسلاميـــة نتيجة عصور التدهور والضعف ، ثم لدخول الاستعمار الأوروبي الـــى هذه الدول وتحكمه في مصائرها وسياستها ، ثم لعلاقة المجتمعـــات الاسلامية لحضارة الغرب وثقافته والتي قامت على الغلبة ، وماتبع ذلـك من تقليد للغرب دون تمحيص أو نقد ، - لقد كان لذلك كله - أثـره الكبير في انتشار النظام التعليمي الغربي ، ويقوم هذا النظام علـــى الاتجاه العلماني :

---

(١) ابو الاعلى المودودى : منهج جديد للتربية والتعليم ، ص ١١ .

" وفي الوقت الذى ينكر فيه هذا الاتجاه في المجتمعات الاسلامية على الاسلام توجيهه وتربيته ، ويصفها بالتخلف والرجعية .... يعين على انشاء مدارس الارساليات الأجنبية التبشيرية فيه ويصفها بالتقدمية ، فكلية البنات الأمريكية مثلا وهي مدرسة تبشيرية والجامعة الامريكية بلبنان .... ، وما على شاكلتها في المجتمعات الاسلامية كالجامعة الكاثولوكية في اندونيسيا - جميعها رمز التطور والتقدم ونماذج لحضارة الحياة المعاصرة " (١)

وعلى الرغم مما في التربية الغربية من حسنات الا أنها :

" تحمل في طياتها جراثيم التفسخ الاجتماعي والاخلاقي والروحي للعالم الاسلامي ، فالمشاكل والأخطار التي تحملها التربية الغربية تتأتى اما عن طريق اقتباسنا للتربية الغربية اقتباسا مستعجلا بدون أن تنسجم انسجاما كاملا ، وتتلاءم مع احتياجات الشعب وتقاليده الروحية ، او لان هذه المشاكل والأخطار كامنة فعلا في التربية الغربية ذاتها " (٢)

ومن أهم الآثار الخطيرة التي خلفها نظام التعليم الغربي والتي كان لها أثر سيء على الثقافة الاسلامية في المجتمع المعاصر مايلي :

---

(١) محمد البهي : مرجع سابق ، ص ٤٧٥ .
(٢) محمد فاضل الجمالي : نحو توحيد الفكر التربوى في العالم الاسلامي ، ص ٢٤٧ .

١ - التبعية الفكرية للغرب :

يحمل نظام التعليم الغربي " كأى نظام آخر " سياسي أو اقتصادى ... " - بين طياته شخصية الغرب وقيمهم ومفاهيمهم عن الحياة والكون والانسان ، وفي توضيح هذه النقطة يقول المفكر أبو الحسن الندوى :

> " ان لنظام التعليم روحا وضميرا كالكائن الحي له روح وضمير ، ان روح نظام التعليم وضميره انما هو ظل لعقائد واضعيه ونفسيتهم ، وغايتهم من العلم ودراسة الكون ، ووجهة النظر الى الحياة ، ومظهر لأخلاقهم ، وذلك مايمنح نظام التعليم شخصية مستقلة ، وروحا وضميرا بذاتهما ، ان هذه الروح هي التي تسرى في هيكله تماما ، انها تسرى في جميع العلوم " (١)

وهذه الشخصية التي يمثلها نظام التعليم تنتقل الى تلاميذ المدارس ، وهم الذين سيصبحون فيما بعد رجال الحكم والتجارة والصناعة والعلوم والفنون .. ، وبذلك فعلى نوع واتجاه المادة التي تعبأ بها رؤوسهم وهم أطفال ، تكون وجهات أعمالهم وأفكارهم وهم كبار .

ولقد استغل الاستعمار - وغفل المسلمون - بالنظام التعليم من أثر في حمل الدارسين على التأثر بالشخصية الموجودة في النظام

---

(١) ابو الحسن الندوى ، الصراع بين الفكرة الاسلامية والغربية ، ص ١٦٣ - ١٦٤ .

التعليمي المطبق .. فنشر الاستعمار الغربي نظامه التعليمي ، ولقد كان لذلك أثره في تغيير قيم الأفراد وأفكارهم ، ويؤكد هذا الأثر ماجاء على لسان بعض ممثلي سياسة الاستعمار التعليمي في الدول الاسلامية ، ومنهم اللورد ميكالي . وقد كان رئيس اللجنة التعليمية في الهند في عام (١٨٣٥ م) حيث جاء في تقريره :

" يجب ان ننشىء جماعة تكون ترجمانا بيننا وبين ملايين من رعيتنا ، وستكون هذه الجماعة هندية في اللون والدم ، وانجليزية في الذوق والرأى واللغة والتفكير " (١)

ومنهم ايضا المستشرق " جب " الذى يجعل من تغريب المجتمع الاسلامي مقياسا لقوة النظام التعليمي الغربي فيقول في كتابه " وجهة الاسلام " :

" ... والسبيل الحقيقي للحكم على مدى التغريب " أو الفرنجة " هو أن نتبين الى أى حد يجرى التعليم على الاسلوب الغربي ، وعلى المبادىء الغربية ، وعلى التفكير الغربي " (٢)

ولقد كان للعلوم الاجتماعية أثر واضح في تكوين التبعية الفكرية للغرب ، فقد أثرت بما تحتويه من نظريات وآراء على أفكار الطلاب ، ومنها على سبيل المثال دراسة الأدب الغربي " فقد أدت دراسته

---

(١) نقلا من كتاب أبو الحسن الندوى : مرجع سابق ، ص ١٦٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٦٧ .

كما يقـــرر محمد أسد الى :

" حمل العقول الناشئة الغضة . . . علـى أن تتشرب روح المدنية الغربية بثقة عميـــاء واندفاع كبير قبل أن يتاح لها أن تعـرف النواحي السلبية فيها معرفة كافية ، وهكذا لاتكون الطريق معبدة لحب ذلـك الأدب حباعذريـا فقط ، ولكن تساعد على التقليد العملي لتلك المدنية الغربية التي لايمكـــن ان تتفق مع روح الاسلام " (١)

أما في تدريس التاريخ فقد كان يفسر تاريخ المجتمعات الاسلامية وفكرها ولغتها بطريقة تعطي للطالب صورة :

" للتخلف البشرى فيه . . كي يفسح مكانـــا للحاجة الى قيادة متقدمة في خطـــوات الانسانية . . . وفي مقابل هذا التفســـير يفسر تاريخ الدول المستعمرة وانتاجها فـي الفكر واللغة ، بما يجعلها ذات أهليـة للتقدم لقيادة المجتمعات والشعوب من أجل اسعاد البشرية نفسها " (٢)

أما علم الاجتماع ونظرياته فقد أشاع في أفكار الطلاب :

" أن الدين ظاهرة اجتماعية حسيةكغيرهـــا وأن الاله فكرة تعللها كل نظرية اجتماعيـة على طريقتها على أساس أنها فكرة طارئـة

---

(١) محمد أسد : مرجع سابق ، ص ٧٤ .
(٢) محمد البهي : مرجع سابق ، ص ٣٨٤ .

في حياة البشر الاجتماعية لا على أســـاس أنها تتضمن حقيقة خارجية ، كما بنيـــت الاخلاق على أساس النسبية والواقعية فـلا مثالية ولا فضائل الا باعتبارها وقائع." (١)

ونتيجة لهذه العلوم التي نقلت مفاهيم وفلسفات الغرب الـى أذهان المسلمين في فترة تميزت بعدم وجود مناعة فكرية ، نشأت طبقـة من المثقفين ذات عبودية مشينة للثقافة الغربية ، ألغت عقولهـا تجاهها . فكل قضايا الفكر تفسر من خلال ماقاله فلاسفتها وعلماؤهـا . وكل أزمات الانسان المسلم تحل عن طريقها ، وكمثال على هذا الصنف من التابعين ، مانقرأه في بعض كتابات " طه حسين " حيث تشيـع فيها روح تمجيد الغرب وثقافته ، والدعوة الى الأخذ بها دون ابطاء، فهو يقول مفاخرا أن :

" حياتنا المعنوية على اختلاف مظاهرها وألوانها أوروبية خالصة ، نظام الحكم عندنا أوروبـي خالص ، نظمناه عن الأوروبيين نقلا من غيـر تحرج ولا تردد ، واذا عبنا أنفسنا بشيء من هذه الناحية فانما نعيبها بالابطاء في نقـل ماعند الأوربيين من نظام حكم وأشكال الحيـاة السياسية " (٢)

وهو يدعو الى الأخذ بكل ماتحتويه الثقافة الغربية خيرها وشرها ، حلوها ومرها عيوبها ومحاسنها ، مايحب منها ومايكره (٣) . . دون أدنـى تمييز أو اعمال للعقل .

---

(١) محمد المبارك : بين الثقافتين الغربية والاسلامية ، ص ٧٠.
(٢) طه حسين : مستقبل الثقافة ، ص ٤١.
(٣) المرجع السابق : ص ٥٤.

هذا مثال واضح يبين أثر التبعية الفكرية للغرب والتي كانت من نتائج نظام التعليم الغربي الذى تلقاه أبناء المسلمين سواء في دولهم أو في الدول الغربية عن طريق الابتعاث ..

٢ - الازدواجية :

تشير الازدواجية الى :

" قيام نظامين للتعليم أحدهما حديث والآخر تقليدى في آن واحد رغم مابينهما من تعارض وعدم اتساق في كثير من النواحي " (١)

ولقد استهدف الاستعمار انشاء منهج ونظام جديد مستقل عن النظام القديم دون القضاء عليه .

" ومن هنا سار المنهجان معا في وقت واحد ، حمل الأول طابع الدراسة الدينية واللغوية واستأثرت به المعاهد الاسلامية كالازهر والزيتونة والقرويين وغيرها . وهذه أقصيت عن النفوذ السياسي والاجتماعي وعزل خريجوها تماما عن الحياة ، بينما ركزت الوظائف الرئيسية والقيادات العملية في أيدى خريجي النوع الثاني من التعليم الذى اطلق عليه التعليم الوطني أو القومي ، والذى

---

(١) سيد سجاد حسين ، وسيد علي أشرف : أزمة التعليم الاسلامي ، ص ٦٨ .

فرض الاستعمار مناهجه ونظمه ، وصاغه على نحو معين لتخريج مجموعة من المواطنين ذوى الولاء للغرب وللفكر الغربي وهم في نفس الوقت يحملون بذور الكراهية وجذور الخلاف لخريجي التعليم الديني " (١)

وهكذا تعمقت هذه الأزدواجية وترتبت عليها آثار بعيدة المدى وأهمها الانشطار والثنائية في الكيان الاجتماعي والفكرى للأمة الاسلامية حيث نشأ بسبب هذه الازدواجية جيلان :

الأول : جيل متصل بالتراث ، تعوزه لغة العصر .
الثاني : جيل اتصل بالغرب من أوسع الأبواب وقد اعوزته أبجديات المعرفة الاسلامية والنظرة الاسلامية والاعتزاز بالتاريخ الاسلامي .

وقد سبب ذلك :

" فقدان الوحدة والانسجام الثقافي بين أبناء الشعب الواحد ، وهذا ماحدث بالفعل في عدد من البلاد الاسلامية الأمر الذى يشكل مشكلة ثقافية واجتماعية وسياسية كبيرة " (٢)

ونتيجة لهذه الازدواجية فقد تعمق في أذهان الناس في العالم الاسلامي ان (المشايخ) أو رجال الدين هم الذين ينبغي أن يعنوا بالدين دراسة وسلكا ، وان ابناء المدارس نوع آخر من المثقفين لاينبغي

---

(١) أنور الجندى : التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام ، ص ١٣١ .
(٢) محمد فاضل الجمالي : مرجع سابق ، ص ٢٤٨ .

لهم ولا يتوقع منهم فهم الدين أو التمسك به ، ولذا فقد صار الناس في عدد من البلاد الاسلامية والعربية التي عانت من جراء هذا الانقسام ، اذا رأوا المنكر من (الأفندى) عذروه ، واذا رأوا ذات المنكر من (شيخ) تعاظموه . (١)

وهذه النظرة ليست من الاسلام في شيء بل هي نظرة الغربيين الى الدين ورجال الدين ، وبهذه الازدواجية لم يستطع المسلمون أن يتقدموا ، فما استطاعت المدارس الدينية المحافظة على الاصالة الاسلامية وعلى كيان الأمة الاسلامية وشخصيتها ، ولم تستطع المدارس المدنية بموادها العلمية ونظامها الغربي أن تصل بدول العالم الاسلامي الى ماوصل اليه الغرب أو تبلغ بهم الى مابلغوه من حضارة مادية .

٣ - اهمال اللغة العربية :

اللغة هي رموز لفظية تكتسب معانيها المختلفة من الثقافة التي تعيش فيها ، كما أنها الوسيلة الأولى لنقل ثقافة المجتمع فعملية :

> " الاتصال والتماسك بين أفراد الجماعة الواحدة لايمكن أن تتم على خير وجه دون وجود الرموز اللغوية شفاها وكتابة ، فهي الوسيلة الأولى للتفاهم ولنقل المعايير والمفاهيم المشتركة واستمرارها " (٢)

---

(١) احمد البيلي : التصور الاسلامي لمناهج التربية والتعليم ، ص ١٩ .
(٢) محمد لبيب النجيحي : الأسس الاجتماعية للتربية ، ص ١٦٣ .

وتمثل اللغة ذاتية الأمة وكيانها ، فهي التي تحمل أخلاقها وعاداتها . أي انها تمثل ثقافة الأمة التي تنطق بها ويؤكد هذا المعنى ابن تيمية حيث يرى أن :

" اللسان تقارنه أمور أخرى : من العلوم ، والأخلاق . فان العادات لها تأثير عظيم فيما يحبه الله وفيما يكرهه ، فلهذا أيضا جاءت الشريعة بلزوم عادات السابقين في أقوالهم وأعمالهم ، وكراهة الخروج عنها الى غيرها من غير حاجة " (١) .

وتعود الانسان على لغة غير لغته من غير حاجة بحيث تصبح عادة لأهل الدار ، وللرجل مع صاحبه ، أو للأمراء ، يجعله عرضة للتأثر بما تحمله من عادات وأخلاق من يتكلمون بها ، كما أن تمسك المسلم باللغة العربية يجعله أقرب الى مشابهة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم . ذلك أن :

" اعتياد اللغة يؤثر في العقل والخلق والدين تأثيرا قويا بينا ، ويؤثر أيضا في مشابهة صدر هذه الأمة من الصحابة والتابعين ومشابهتهم تزيد العقل والدين والخلق " (٢)

واللغة العربية شعار الاسلام وأهله وهي وعاء هذا الدين ، وبها نزل القرآن الكريم ، لذلك فان اللغة العربية :

---

(١) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص ١٦١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ٢٠٤ .

" من الدين ومعرفتها فرض واجب ، فـــان فهم الكتاب والسنة فرض ، ولا يفهم الا بفهم اللغة العربية وما يتم الواجب الا بـه فهـــو واجب " (١) .

ومن أجل القضاء على شخصية هذه الأمة وأصالتها فلقـــد واجهت اللغة العربية حربا شديدة عن طريق الاستعمار ودعاة التغريـــب ، اما عن طريق نشر اللغات الأجنبية في مقابل طمس اللغة العربية كما حدث في بلاد المغرب العربي .. واما عن طريق الدعوة الى نشر العاميات من أجل مزيد من التفكك في كيان الأمة الاسلامية . ولقد جاءت هـــذه الدعوة :

" من اعداء العروبة والاسلام ، دعوة يقصـــد بها ايجاد الشقة بين المسلمين وبين قرآنهم ، كما يقصد بها تفريق الأمة العربية الـــى قوميات عديدة متقطعة متقاطعة " (٢)

وتتعرض لغتنا العربية رغم ذهاب الاستعمار الى الاهانة والاهمال من قبل أبنائها ، ونجد هذا في كلام بعض من الشباب حيث صار البعض منهم :

" اذا ماتحدث باللغة العربية يحشيهـــا بالكلمات والتعابير الأعجمية كأن العربيـــة قاصرة عن التعبير : وهم يحسبون ذلـــك تمدنا وماعلموا أن ذلك يعني انحلالا فـــي الكيان القومي وتراخيا خلقيا " (٣)

---

(١) نفس المرجع ، ص ٢٠٤ .
(٢) محمد الفاضل الجمالي : مرجع سابق ، ص ٢١٠ .
(٣) نفس المرجع ، ص ٢١٠ .

ويظهر اهمال واهانة اللغة العربية في عزلها عن مجال العلوم والأبحاث العلمية في كثير من الجامعات العربية والاسلامية ، وبخاصة في الدراسات العليا حيث يرون أن اللغة العربية عاجزة عن استيعاب التقدم العلمي والمصطلحات العلمية والحضارية التي نشأت في لغات أخرى " (١) أو أن استعمالها :

" يعزلنا عن العالم المتقدم - المنشيء للعلوم الحديثة - ويجعلنا غير قادرين على الاتصال بهذا العالم والتأثر به أو التأثير فيه " (٢)

ومن أوضح الأمثلة التي تبين اهمال اللغة العربية في عقر دارها ماذكره أحد المسئولين من أن الابحاث التي تقدم الى الجمعية السعودية لعلوم الحياة تقدم باللغة الانجليزية فهي اللغة الرسمية ، أما اللغة العربية فهي تستخدم كلغة ثانوية ، وهم يعللون ذلك بأن نشر الأبحاث باللغة الانجليزية يعطيها صفة العالمية ، ويسهل على الباحثين من خارج الوطن العربي الاتصال بالقائمين بهذه الأبحاث ، كما أن الكثير من المصطلحات العلمية الانجليزية المستخدمة في هذه الأبحاث ليس لها مقابل باللغة العربية " (٣)

ان لهذه التعليلات الكثير من الردود المقنعة (٤) ، والتي توضح

---

(١) محمد الغزالي : مشكلات في طريق الحياة الاسلامية ، ص ٩٣ .
(٢) نفس المرجع ، ص ٩٥ .
(٣) حمد عبد الرحمن الكنهل : " ابحاثنا العلمية ... لماذا لاتكون بلغتنا " . جريدة الرياض ، العدد ٦١٧٠ ، ص ٧ .
(٤) انظر نفس المرجع السابق ، ص ٧ .

مجانبة أصحاب هذه الآراء للصواب . فاهمال اللغة العربيةفي مجال العلوم يوجد حاجزا بين العلم وعامة الناس ، ويرسخ في أذهان طلاب العلم قلة أهمية اللغة العربية . مما له تأثير سيء على احساسهم بذاتيتهم وشخصيتهم ، وثقافتهم الاسلامية المميزة . .

ثانيا - عدم سلامة الممارسة الفردية أو السلوك الاجتماعي وفق أخلاق الاسلام :

نتيجة لما سبق أن ذكرناه في النقطة الاولى فان الوسط الثقافي - الذى يعيش فيه الفرد المسلم وتتشكل شخصيته من خلاله - لم تتحقق فيه الفكرة الاسلامية كما يريدها الله سبحانه وتعالى في قوله تعالى : * كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله * . وكما جاءت واقعا حيا في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين .

فالوسط الثقافي خليط من تقاليد موروثة من عصور الضعف لا صلة لها بروح الاسلام ، ومن مستحدثات جاءت من ثقافات متباينة ، ومن تصرفات شخصية ينقصها الوعي والادراك ، ومن صور باهتة لأوامر الاسلام وأحكامه .. دون أدنى رباط طبيعي أو منطقي يربط بينها . فهي خليط لاينظمها ولاء واحد ولا هدف واحد ، وقد أنتج هذا الوسط عالما متضاربا منطويا على ألوان من التناقض والتنافر التي تجمعت وتراكمت في هيئة فوضى سلوكيه يمكننا ملاحظتها في كثير من الممارسات الفردية في المجتمع الاسلامي المعاصر . ذلك أن الفرد منا انما ينتقي قيمه ومبادئه ومقاييسه الذاتية التي تحدد انتماءه لثقافة معينة من الوسط الذى يعيش فيه ؛ والفرد في اختياره لقيمه ومقاييسه انما :

" يختارها لا بناء على عملية واعية يجريها عقله وتفكيره فمثل هذه العملية غير متوقع حدوثها لدى الراعي ولا يمكن تصورها عند الطفل ، وانما يستنشقها

في محيط حياته ، وفي مجاله الروحي الذى يحوط وجوده المعنوى كما يتنسم الأوكسجين في مجاله الحيوى ، الذى يحوط وجوده المادى " (١)

ومن صور التنافر في السلوك في المجتمع الاسلامي المعاصر التي نلاحظها أن بعض المسلمين - الا من عصم الله - قد ترك الاسلام جانبا وأخذ يقلد الغرب في نمط حياته وعاداته بما تشمله من طريقة التحية والزى وطريقة الأكل باليد اليسرى .. الى آخر قائمة المظاهر الخارجية للثقافة الغربية ، ويرى هؤلاء بأن هذا التشبه لايمس الدين الاسلامي . لكن الثقافة ليست شكلا أجوف فقط ولكنها نشاط حي . وفي اللحظة التي نبدأ فيها بتقبل شكلها الخارجي نصبح مضطرين الى الأخذ بوجهة نظرها من غير أن نلحظ ذلك ، وبذلك نجد أن هذه المجموعة قد فقدت تميزها الثقافي . ولقد ذكر ابن تيمية الارتباط بين مايحمله الانسان من معتقدات وبين التصرفات الظاهرة والعكس ، لذلك فقد حذر من التشبه بغير المسلمين سواء أكان تشبها ظاهريا في العادات والأفعال أو باطنيا في المعتقدات حيث يقول :

" ثم ان الصراط المستقيم : هو أمور باطنة في القلب ، من اعتقادات وارادات وغير ذلك ، وأمور ظاهرة من أقوال وأفعال ، قد تكون عبادات وقد تكون ايضا عادات في الطعام واللباس ، والنكاح ، والمسكن ، والاجتماع ، والافتراق ، والسفر والاقامة ،

---

(١) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص ٥٣ .

والركوب وغير ذلك . وهذه الأمور الظاهرة والباطنة ، بينهما - ولابد - ارتباط ومناسبة . فان مايقوم بالقلب من الشعور والحال : يوجب أمورا ظاهرة ، ومايقوم بالظاهر من سائر الأعمال : يوجب للقلب شعورا وأحوالا " (١)

ولعل ابن تيمية متأثر في ذلك بقول الرسول صلى الله عليه وسلم الذى لاينطق عن الهوى : " من تشبه بقوم فهو منهم " (٢) وتطبيق هذا الحديث الشريف على الواقع المعاصر في العالم الاسلامي نلاحظه في عدة امور منها :

١ - عدم تأدية بعض المسلمين - وخاصة الشباب في بعض الدول الاسلامية - لشعائرهم الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج ... بل يصل بهم الامر الى حد المجاهرة دون خوف من أى رادع .

٢ - التنكر للمبادئ والعادات الاسلامية ، واتهام من يدعو الى التمسك بها بالرجعية والجمود ، أما التقدمية والتحرر فهو بتقليد مظاهر الثقافة الغربية بسائر تقاليعها وتقاليدها ، واتجاهاتها الفكرية وعاداتها الاجتماعية من موضات متسارعة .. وانحرافات خلقية .. وتشبه الرجال بالنساء وتشبه النساء بالرجال ... وغير ذلك من الأمور التي تتعلق بالشكليات دون

---

(١) ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم ، ص ١٠ - ١١ .

(٢) سنن أبي داود : حـ ٤ . كتاب اللباس. رقم ٤٠٣١ ، ص ٤٤ .

الجوهر أى العادات الجيدة في المجتمع الغربي كالدقة في المواعيد ، والادارة الفعالة ، والجدية في العمل (١) . لذلك فمن المؤسف أن نرى أن المثل الأعلى لبعض الشباب المسلم قد أصبح مجموعة من المغنيين والممثلين الغربيين ، حيث يقلدونهم في طريقة اللبس وتسريح الشعر بل وصل بهم الأمر الى تقليدهم حتى في طريقة المشي ..

وبذلك نجد أن هذه الفئة في اتجاهها نحو الثقافة الغربية لم تتجه نحو الاعمال المفيدة ووسائل أدائها ، بل اتجهت الى الاشكال والاذواق والحاجات .

فحياة هؤلاء لا يرى فيها :

" بعد الاقرار بالاسلام وادا" بعض المراسيم الوراثية كالختان وعقد الزواج ، شيئا ينم على اتباعهم للاسلام في الأخلاق والأعمال والذين بقي أو نشأ فيهم من هؤلاء القوم ميال الى التدين ، فغاية ماكان من مظهره عندهم أن آمنوا بالغرب وفلسفاته ومظاهره العملية مقياسا للحق ثم بدأوا يعالجون الاسلام وعقائده ونظام حياته وتاريخه ، وحاولوا أن يبدلوا كل شي" منها حتى يسهل عليهم عرضه على الدنيا وفقا لهذا المقياس وينفوا عن الاسلام ماتعذر عليهم تبديله أو يعتذروا الى الدنيا عن وجوده في الاسلام ان لم يستطيعوا نفيه عنه " (٢)

---

(١) انظر : اسحق احمد فرحان : مشكلات الشباب في ضوء الاسلام ، ص ٥١ .

(٢) ابو الاعلى المودودى : موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم ، ص ١٨٤ - ١٨٥ .

والبعض الآخر من المسلمين - الا من عصم الله - تدل تصرفاته على قصور في فهم الاسلام ، فمنهم من أخذ من الاسلام جانبه التعبدي فقط ، لذلك نجد الواحد منهم يؤدي الشعائر ولكنه لا يهتم بأداء واجباته على أكمل وجه ، أو اعطاء مالغيره من حقوق عنده ظنا منه أن هذه العبادات تنجيه عند الله وتكفر عنه ظلمه وتقصيره ، وفي وصف هذه النوعية يقول محمد المبارك :

" تجد الرجل يصلي ويصوم ويحج ، وربما زاد على الفرائض بما يتطوع به من هذه العبادات ، وربما زاد عليها ما ابتدعه الناس وهو في الوقت نفسه لا يهتم بدين يماطل في أدائه ، واجحاف بحق عمال يشتغلون عنده ، واحتكار لأقوات العباد ، وربح فاحش يربحه على حساب المستهلكين من عباد الله ، أو اهمال لما يترتب عليه الوفاء به كاخلاف الوعد ... وكالاخلال بالعمل الذي يكلف به .. " (١)

ومنهم من أخذ من الأخلاق التي أمر بها الاسلام جوانبها القريبة وأهمل جوانب أخرى ذات أهمية ، ظنا أن هذا الاهمال يغفر أو يجبر بالانتماء الى عقيدة ما ، أو المداومة على عبادة ما . فالأمانة في نظر هؤلاء رد للوديعة فقط أما أن المنصب أمانة لا يجوز استغلاله وأن ماتمتد اليه مسئوليتك امانة يجب رعايتها حق الرعاية فهذا شأن آخر ..

---

(١) محمد المبارك : المجتمع الاسلامي المعاصر ، ص ٦٥.

ان هذا الفهم القاصر للاسلام يتبعه اعتقاد كثير منا : من أن تأدية الشعائر يؤدي الى ذروة الكمال في الاسلام ، فامتلاء المساجد بالمصلين وكثرة عدد الحجاج يؤدي الى الاحساس بأن المجتمع الاسلامي في أحسن حال . وهذا الاعتقاد يؤدي الى شلل خلقي فهو " يقوض قابلية الفرد (والمجتمع) للكمال ، بالقضاء على همه نحو الكمال " (١) . فلا يحاول الفرد منا أو المجتمع اصلاح أخطائه أو حتى الاعتراف بها ومن ثم تعديل سلوكه ، وهذا بدوره يؤدي الى نتائج أخرى لازمة له ، وفي وصف هذه النتائج يقول مالك بن نبي :

> " هذا الشلل الاخلاقي ... ، يعجز المجتمع الاسلامي فيجعله غير قادر على زيادة جهده اللازم لنهوضه ، وما الشلل الفكرى الا نتيجة من نتائجه : فالكف عن التكامل الخلقي ينتج حتما كفا عن تعديل شرائط الحياة ، وعن التفكير في هذا التعديل . وهكذا يتجمد الفكر ويتحجر في عالم لم يعد يفكر في شيء ، لأن تفكيره لم يعد يحتوى صورة الهم الاجتماعي " (٢)

ويمكن أن نلاحظ التناقض والتنافر في السلوك الفردى حين نتأمل مثلا منظرا مألوفا في كثير من المجتمعات الاسلامية يمثل جيلين : جيل كبيرات السن يبدو عليهن الاحتشام وجيل الفتيات اللاتي خلعن الحجاب جريا وراء مايسمى بالحرية . وهذه الغوضى السلوكية تصبح أكثر وضوحا

---

(١) مالك بن نبي : وجهة العالم الاسلامي ، ص ٧٧ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٧٨ .

حين نرى رجلا يصلي دون أن تنهاه صلاته عن التعامل بالربا أو تردعه عن السفر الى الخارج لاشباع شهواته والذهاب الى اماكن اللهوالماجن والفساد . ان كثيرا من الممارسات الفردية تبتعد عن أخلاق الاسلام وسلوكه وهذه بعض من الأمثلة التي توضح ذلك ومنها :

١ - الاسراف والتبذير في غير وجهه ، بل قد تكون فيما يغضب الله ويسخطه ، ان المال يتوفر لدى الكثير من الافراد في العالم الاسلامي وقد يصل بهم الى حد الترف ولكنهم لايستغلونه الاستغلال الصحيح ، غير واعين لقوله تعالى : * ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا * (١) فلقد :

" زاد أغنياء المسلمين على فقرائهم في العطل برغم مايملكون من ثروات وكثير من اولئك الأغنياء لايهتمون بتولي طفل مسلم لتربيته تربية علمية أو فنية ، بل لايهتمون برعاية عمل ذى فائدة عامة ، فيقبلون عليه طائعين متنازلين عن قليل من رفاهيتهم"(٢)

٢ - تقاليد الرياء التي تصبغ الأفراح والأحزان في كثير من المجتمعات الاسلامية حيث تقوم على التكلف والتزويق مما جعلها عبئا ماديا على صاحبها ، والتي تبتعد عن فطرة الاسلام وتيسيره.

---

(١) سورة الاسراء : الآية " ٢٧ " .
(٢) مالك بن نبي : مرجع سابق ، ص ٨١.

٣ - الفوضى وعدم الاحساس بالمسئولية ، فالكل يقول نفسي نفسي غير متمثلين لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: " لن يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه مايحب لنفسه " (١) ، وخير مثال على الفوضى :

" الفوضى المرورية التي يشكو منها الجميع ، والتي هي محصلة لعدم وجود حس ثقافي يردع المرء عن التلاعب بالنظام ، وعدم الاحساس بالمسؤولية ، ويعطي الطريق حقه من غض للبصر ، وكف للأذى عن الناس " (٢)

٤ - عدم الاهتمام بالنظافة في أمة يبنى فقهها على النظافة ويجعل من اماطة الأذى عن الطريق صدقة ، فكثيرا مانشاهد من يبصق في الطرقات حتى أمام المساجد ، وكثيرا مايتضرر بعضنا من روائح تصدر عن بعض المصلين رغم أن الاسلام يأمر بأخذ الزينة عند المساجد كما في قوله تعالى : * يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا * (٣)

وقد يكون المسلم في ذاته نظيفا ولكنه لايبالي أن يلقي بالقمامة في طريق المسلمين ، ولا يبالي بأن يلوث للناس طريقهم وأماكن جلوسهم ، وأن يخل بالآداب الاجتماعية التي أمر الاسلام بها في هذا الموضوع.

---

(١) صحيح البخاري : مرجع سابق . حـ ١ . كتاب الايمان / الباب السابع ، ص ٥٦ .
(٢) حامد عباس : قضية الثقافة في بلادنا ، ص ٣٧ .
(٣) سورة الأعراف : الآية " ٣١ " .

٥ - عدم الاخلاص في العمل في أمة يأمرها دينها بالاحسان في كل عمل لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : " ان الله يحب اذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه " (١) وكثيرا مانرى ونسمع ونقرأ عن مظاهر التسيب والغش والتدليس في مختلف المرافق :

" صحيح أن التاجر حينما يعرض بضاعته يفعل ذلك من أجل الربح ، والنجار حين يصنع لنا بابا أو نافذة يفعل ذلك ليكسب عيشه ، وصاحب التاكسي حين نستأجر عربته ندفع له أجرا يعينه على الحياة ، ولكنهم جميعا حين نتعامل معهم يعكسون أخلاقهم وأخلاق مجتمعهم الذى يعيشون فيه " (٢)

٦ - وفي أمة تفخر بأن دينها يقوم على الصدق وأن تاريخها الأول يزخر بمواقف المناصحة في الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . نجد أن العلاقات التي تربط بين المرؤوسين والرؤساء وعلاقة الأفراد بالحكام انما تقوم على الرياء والنفاق والسكوت على الأخطاء مهما فدحت وبلغ ضررها .. ويذكر محمد الغزالي صورة من صور النفاق الذى يوضح بعد المجتمع الاسلامي المعاصر عن تمثل ثقافته كما ظهرت في مواقف المجتمع الاسلامي الأول اذ يقول :

---

(١) محمد ناصر الدين الالباني : سلسلة الأحاديث الصحيحة ، المجلد الثالث . رقم ١١١٣ ، ص ١٠٦ .

(٢) بشير حاج توم : التربية والمجتمع ، ص ٣٧ .

" أذكر أنه في بقعة ما من أرض الله - لا أقدر على تحديدها - ركب وزير مع رئيسه ، الذى كان يقود سيارته للتسلية ، فاصطدمت السيارة بشجرة على جانب الطريق ، ونزل الوزير مسرعا ليقول لسيده : ان قيادتك للسيارة صحيحة ولكن الشجرة كانت تقف خطأ .... " (١)

ان هذه الأمثلة توضح بعدنا عن اطار الثقافة الاسلامية في كثير من شئون حياتنا ، وفي كثير من تعاملنا الفردى وسلوكنا الشخصي ، فلا يكفي في الاسلام مجرد النية الطيبة او الانتماء باللسان فقط بل لابد من سلوك عملي يترجم مبادىء الاسلام وأخلاقه ، وذلك مصداقا لقوله تعالى :

" * ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ، ولكن البر من آمن بالله وباليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفي الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون * " (٢)

وسأتناول شريحة من المجتمع الاسلامي المعاصر نتبين من خلالها كيف ابتعدت عن ثقافة الاسلام وهي :

---

(١) محمد الغزالي : مشكلات في طريق الحياة الاسلامية ، ص ٥٩.
(٢) سورة البقرة : الآية " ١٧٧ "

المـــرأة :

سعى دعاة التغريب - وهم أعداء الاسلام من المبشريـــــن والمستعمرين ومن تتلمذ على أيديهم من أبناء المسلمين - الى فرنجـــة المجتمع الاسلامي واقصائه عن ثقافته عن طريق ما أسموه " قضية المـرأة " أو " حقوق المرأة " فلقد أراد أعداء الاسلام بذلك أن يستعمـــدوا نساء الاسلام ضد الاسلام ، وان يجعلوا من المرأة سن حربة ليطعنوا بهـا كل مقومات الاسلام التي جاءت لتحفظ العرض والأخلاق على النـــاس جميعا .

و " قضية المرأة " التي حمل لواءها دعاة التغريـــب تشمل جوانب متعددة منها : تحرير المرأة من حجابها " السفـور " والدعوة الى اختلاطها بالرجال .. ومنها أيضا الدعوة الى خروج المرأة للعمل ومساواتها بالرجل في شتى المجالات .. وغرضهم من ذلك تحطيـم نواة المجتمع الاسلامي الأساسية وهي الأسرة عن طريق افساد حاضنـة ومربية الأجيال واخراجها من رسالتها وقيمها الربانية الى قيم غربيـــة ، وبذلك يسهل احتواءها وغزوها ثقافيا ، ولقد أدت المناداة بمثل هـذه الدعوات الى ايجاد مفاهيم وتصورات خاطئة أشبه بالمسلمات فيما يتصـل بالاختلاط والعمل والمساواة ، وما يتبع ذلك من تصرفات وسلوكيات بعيـدة كل البعد عن ثقافة الاسلام .

ومن الجوانب الخطيرة التي تشملها " قضية المرأة " أيضـا محاولة تشويه الشريعة الاسلامية والطعن فيها باتهام الاسلام أنه وضـع المرأة التي تكون نصف المجتمع في مرتبة ثانوية بتفضيل الرجل عليهـا

في القوامة ، وان الاسلام ظلم المرأة حين ميز بينها وبين الرجل في الارث وحين سمح للرجل بتعدد الزوجات ، وحين جعل الطلاق في يد الرجل ، بل حتى حين صانها ومنع سفورها واختلاطها بالرجال . والغرض من هذا كله واضح ومعروف : وهو محاولة اقصاء الشريعة الاسلامية واستبدالها بشرائع وضعية ترضي النزعات والأهواء الشخصية .

ولقد بدأت الدعوة الى السفور في " مصر " حيث تناولتها أقلام اسلامية منبهرة بمدنية الغرب ونمط حياته ذلك أنه :

> " عندما أرسل محمد علي باشا بعثة تتعلم الهندسة والطب والعلوم المدنية في أوربا ، كان رفاعة الطهطاوى المشرف على البعثة قد بهره حال المجتمع الأوروبي وخاصة اختلاط الرجال والنساء ، فبدأت عمليات التبشير بهذه القضية والدعوة لها من خلال كتبه " (١)

وكان أخطر مافي هذه الدعوة محاولة تبريرها بنصوص اسلامية من القرآن والسنة وهم في ذلك يحرفون الكلم عن مواضعه ، ليسهل اقناع المسلمين بالأخذ بمثل هذه الدعوات ولقد لقى المنادون بهذه الدعوة كل المساعدة والدعاية من قبل الاستعمار وأعوانه ، ومن أكثر هؤلاء " قاسم امين " الذى انتشرت آراؤه عبر كتابيه " تحرير المرأة " و " المرأة الجديدة " (٢) ، وكان محور قضيته هو تحرير المرأة من

---

(١) صابر طعيمة : الاسلام وعالمنا المعاصر دراسة في الدعوة والدعاة ، ص ٢١ .

(٢) صدر الكتاب الأول سنة ١٨٩٩ م ، والثاني سنة ١٩٠٠ م .

تقاليدها الماضية ودفعها لتقليد المرأة الغربية في كل شؤون حياتها . فلقد أعلن بلا مواراة أن التمسك بالماضي هو من الأهواء التي يجب أن يحاربها الجميع فهي في رأيه تؤدي الى التقهقر والتخلف ، وأن التمدن لايكون الا بالتعرف على المدنية الغربية والوقوف على أصولها وفروعها وآثارها ، وهو مؤمن أن الغربيين قد وصلوا الى درجة رفيعة من الأدب والتربية مثل ما أنهم متقدمون في العلوم والصناعة ، وهو يرى أن وضع المرأة الغربية وتحررها انما هو ثمرة من ثمرات التمدن الحديث ، وأن المدنية الغربية تحكمها أنظمة صالحة لتحسين أحوال المجتمعات بينما المدنية الاسلامية مجردة من كل نظام وأنها اخطأت في فهم طبيعة المرأة وتقدير شأنها " (١)

وكتب قاسم أمين تعد نموذجا لماجاء بعدها من كتب تؤلف تحت دعوى تطوير الاسلام وحمله على الحضارة الغربية بتفسيره على الوجه الذى يلائمها .

ولقد وجدت الصحف والمجلات - في ذلك الوقت - في دعوته زادا لحملتها على التقاليد وبذلك :

> " بدأت المدنية الغربية تغزو مصر في كثير من نواحي الحياة ، ولم تعد المجلات تجد ضيرا في الكتابة عن الجمعيات المختلطة ومسابقات الجمال بين النساء . . وهكذا أصبح المجتمع المصرى مضطرا أن يتقبل كل بدعة تصدر اليه من الغرب "

---

(١) محمد عمارة : الأعمال الكاملة لقاسم أمين . المرأة الجديدة ، حـ ٢ / ٢٠٣ - ٢٢١ .

وأصبح سيل جارف من العادات يدخل مصر والمرأة المسلمة تنظر حولها فلا تجد من ينتقدها ، بل على العكس من ذلك تجد كل شيء حولها يغرى بالخروج على ما ألفت من العادات والتقاليد " (١)

ومن مصر امتدت هذه الدعوة الى كثير من المجتمعات الاسلامية فبعض منها قلدتها طواعية والبعض الآخر أجبر عليها اجبارا من قبل حكامها . ففي تركيا قام أتاتورك بعد أن قضى على الخلافة الاسلامية بفرض عدة قوانين على الشعب التركي المسلم بغرض تحويلها الى دولة علمانية . فلقد ألغى المحاكم الشرعية ومنع تعليم الدين ومنع الحجاب وقرر السفور اجباريا وجعل التعليم مختلطا ، وغير اللباس ، والغى الحروف العربية . (٢)

وفي أفغانستان أمر ملكها - في ذلك الوقت - وهو حبيب الله بعد عودته من أوروبا :

" برفع الحجاب ، فابتدأ بزوجته ونساء القصر الملكي ، وقتل بعض العلماء الذين عارضوا دعوته وحلق لحى بعضهم الآخر وهدد باستعمال السياط لتطبيق هذه العادات " (٣)

---

(١) عادل محمد محمود ابوعمشه : قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر - رسالة دكتوراه لم تنشر ، ص ١٠٨ .

(٢) السيد ابو الحسن النووى : الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية ، ص ٦٠- .

(٣) عادل محمد محمود ابوعمشه : مرجع سابق : ص ١٢٩ .

وبذلك نجد أن الدعوة الى السفور قد أقرت وطبقت رسميا في أكثر أرجاء العالم الاسلامي ، وأصبح التعليم الجامعي والعمل بل حتى الاماكن العامة مجالا للاختلاط :

" وأصبحت قضية المرأة في حكم المنتهية ، بانتصار السفوريين الذين نجحوا في اخراج المرأة من بيتها وأطلقوها في الطرقات والأماكن العامة ، وأصبح الحديث عن الحجاب والسفور حديثا قديما لايثير غير الذكريات ، وصار مادعا اليه قاسم امين ومن بعده حقيقة مجسمة ، فها هي المرأة قد أسفرت واختلطت بالرجال ونزلت ميدان العمل " (١)

لقد أبعدوا المرأة المسلمة وهي مربية الأجيال عن دينها ، فهي في واد وتعاليم الدين الاسلامي في واد آخر . لقد أصبحت المرأة بسفورها عارضة لجمالها وكأنها تستجلب اعجاب الناس من حولها عن طريق الأصباغ اللافتة ، والألوان الزاهية ، والأزياء الفاضحة ، لقد أصبحت المرأة مملوكة لمصممي الأزياء التي أصبحت سلاحا خطيرا يعصف بالأخلاق ويثير في المجتمعات تيارا خطيرا من الانحراف والعبث . فتارة تنكشف الساقان وأخرى الأذرع والمقص لايترك جانبا الا كشفه . . وتارة يضيق الخناق على المرأة حتى يصبح ثوبها كبعض جلدها وهكذا لايتوقف التيار العاصف ، بالمرأة المسلمة حتى أبعدها عن كثير من

---

(١) عادل محمد محمود أبوعشة : مرجع سابق ، ص ١٣١ .

سلوك وأخلاق الاسلام . ذلك أن ماترتديه المرأة وما تسعى الى تقليده من وسائل الزينة والتبرج انما هو رمز يوحى لما وراءه من حقيقة هي :

" شعور التبعية النفسية والاستعمار الاجتماعي والخضوع والاحساس بالنقص فهو الذى يحمل النساء في مجتمعنا على اتباع الأزياء الفاضحة التي تستهدف الفتنة والاغراء ، وهو ايضا الذى يحبب الى بعض الناس عندنا الدعوة الى تعميم هذه الأزياء باسم الرقي والتحضر ، بل الى المطالبة بتحريم الأزياء المستترة البعيدة عن الاغراء " (١)

ومن صور أزمة الثقافة في بعض المجتمعات الاسلامية ماتمارسه بعض الحكومات اليوم من اضطهاد للمرأة المسلمة التي عادت الى تعاليم دينها والى اطار ثقافتها الاسلامية وذلك اما بمنع الحجاب والتعرض للمحجبات بالأذى ويحكي موقف من هذه المواقف محمد الغزالي فيقول ان ناظرة احدى المدارس في احدى الدول الاسلامية :

" تمسك بمقص في يدها فاذا وجدت فتاة طويلة الأكمام قطعت مايستر الذراعين . فاذا قاومت فالويل لها ولذويها . ولقد غلقت مساجد كانت الفتيات المسلمات تتجمع فيها لتلقى الثقافة الدينية وأداء شعائر

---

(١) مصطفى عبد الواحد : الاسلام والمشكلة الجنسية نظرات الى الواقع تستهدى روح الاسلام ، ص ١٢١ .

الصلوات الخمس ، وتوجد الان معتقـــلات لمسلمات لاذنب لهن الا التدين وطاعـــة الله " (١)

ويأخذ الاضطهاد صورة أخرى وهي الحرب الاعلامية في بعـــض الدول الاسلامية حيث يسخرون بعض الاقلام البعيدة عن الاسلام لمهاجمـــة الحجاب حتى جعلوه سترا لعيوب الجسد ، ووسيلة لجلب انظار الشبـــاب المتدين اذا كسدت سوق الزواج ، والأدهى من ذلك أن جعلوه ستـــارا للانحراف والفجور انه :

" هجوم خبيث على الفتيات المسلمات اللواتـــي استجبن لأمر الله وشرعه ، اللواتي رضين بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليـــه وسلم نبيا ورسولا .

و سيولا من الشتائم والتهم والالقـــاب السفيهة ، لقد هاجموا المتحجبات والحجاب وقالوا الحجاب ظاهرة ، وظاهرة عفنـــة . وقال قائلهم : الحجاب رمز مذلة المرأة ، ومصادرة لما وهبتها اياه الطبيعة ، وصـــورة انقطاعها القسرى عن الحياة الحقيقية . . "(٢)

لقد أخرج أدعياء التقدم المرأة الى مجالات للعمل لاتتفـــق مع طبيعتها ولا تتمشى مع أخلاق الاسلام وجعلوها تختلط بالرجال فـــي أعمال هي أقرب الى الوان الرقيق فهي تعمل " سكرتيرة خاصـــة " يشترط فيها الجمال والمظهر الحسن وهي تعمل مضيفة في الملاهي والفنادق الـــى

---

(١) محمد الغزالي : الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ، ص ١٩٤

(٢) عمر سليمان الأشقر : المرأة بين دعاة الاسلام وأدعياء التقدم ، ص ١٣

غيرها من المسميات المزورة ، وفي بيئة بعدت عن الاسلام جعلت من الفاسدات نجوما يحتذى بهن ومثلا أعلى في نمط حياتهن وكفاحهن ، وجعلت من كلمات الحب الرخيصة المادة الأساسية لما تقدمه وسائل الاعلام في كثير من المجتمعات الاسلامية ، ولقد حمل هؤلاء الأدعياء شعارات واهية تتحدث عن نصف الأمة المشلول ، ونصفها المسجون والمعطل عن الانتاج ، ومن المضحك المبكي أن كثيرا من هذه الدول التي تكثر فيها مثل هذه الحملات تعاني من البطالة الحقيقية والمقنعة ، فهناك الالاف من الشباب يبحثون عن عمل فلا يجدونه مما يضطرهم الى الهجرة ولكنه :

" التقليد الحتمي الذى فرضته العلمانية على هذه المجتمعات ولكنه كذلك الفراغ الداخلي وهو الفراغ النفسي الذى سببته زحزحة الاسلام عن وضعه .. ولكنه ايضا شد الجاذبية الى الغرب .. الذى لم يتراخ بعد " . (١)

ان كل ماتعانيه المرأة من مشاكل سواء أكانت ناتجة عن سفورها واختلاطها أو ماتعانيه المرأة المتمسكة بدينها من اضطهاد من حولها في بعض المجتمعات الاسلامية انما هو مظهر من مظاهر أزمة الثقافة التي نعاني منها .

---

(١) محمد البهي : الفكر الاسلامي في المجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه ، ص ٥٠٢ .

ثالثا - **التخلف العلمي والتقني :**

من المظاهر الهامة لأزمة الثقافة في العالم الاسلامي : التخلف العلمي والتقني ، ذلك أن الحضارة المعاصرة انما نهضت على أساس من العلم والتقنية ، ولقد قصر نصيبنا منها الى حد كبير بالمقارنة بالدول المتقدمة ، والتخلف العلمي الذى جعل من دول العالم الاسلامي دولا نامية أو متخلفة في نظر الغرب أمر لايختلف عليه أحد ، فمن الواضح وجود تفاوت كبير في مجال العلوم والتقنية بين دول العالم الاسلامي والدول المتقدمة .

> " ذلك أن الانفاق الحالي للعلوم والتقنية في الدول الاسلامية سواء على المستوى الجماعي أو على المستوى الفردى ، هذا الانفاق ضعيف ومتواضع للغاية والموارد المكرسة لهذا الغرض محدودة اذ لايتجاوز المنصرف في هذا الميدان دولارا واحدا بالنسبة للفرد سنويا .. " (١)

ولقد حاولت الدول الاسلامية علاج ماتعانيه من تخلف ، واللحاق بركب الحضارة المعاصرة ذلك أن من أهم شروط التقدم هو " العمل على تضييق الفجوة التقنية بينها وبين الدول المتطورة " (٢) وهي جهود

---

(١) غريب الجمال : التضامن الاسلامي في المجال الاقتصادى ، ص ١٤٣

(٢) بهاء بن حسين عزمي : التقنية وكيفية نقلها الى الدول النامية ، ص ٦ .

محمودة ولكنها في المقابل لم تصل الى اللحاق بالدول المتقدمة ، فالدول المتطورة لاتقف عند الحد الذى وصلت اليه من التقدم التقني بل هي مستمرة في الاستحواذ على المزيد منه في نفس الوقت ، ومعنى ذلك أن الدول النامية ستبقى تسير خلف الدول المتطورة مالم تتخلص من كثير من سلبياتها ، وهذه السلبيات تظهر اذا ماقورنت جهود الدول الاسلامية بجهود دول أخرى معاصرة لها في الأخذ بأسباب الحضارة ،كاليابان"

فبعض الدول الاسلامية ردت التخلف الحضارى الى نقص في عالم الاشياء فمن كانت منها تملك المال بدأت في استيراد منتجات الحضارة الغربية من أجهزة ومعدات وهم في ظنهم هذا اعتقدوا أنهم انما ينشئون أساسا متينا لحضارة بـ " كومة " من الأشياء المستعارة ، لكن كومة الأشياء لاتنشيء بالضرورة " كلا " متجانسا .

وأما الدول التي لاتملك المال ، فلقد شعر بعضها بخيبة الأمل حين جعلت أساس التقدم والحضارة يقوم على القوة الشرائية وهي مالا تملكه ، مما جعل الأمر بالنسبة لها مستحيلا على الحل ، وبالتالي أصاب مقدما أنشطتها بالعطل . . وأما البعض الآخر فلقد لجأت الى تورطات سياسية على حساب سياستها .

وحتى يمكن التخلص من هذه السلبية لابد من ارجاع التخلف في العالم الاسلامي لا الى نقص في عالم الأشياء ، بل الى نقص في عالم الأفكار ،ويناقش مالك بن نبي فكرة احساس المسلم بعقدة النقص الناتجة عن تخلفه فيقول :

" لكي يصبح مركب النقص لديه فعالا مؤثرا ينبغي أن يرد المسلم تخلفه الى مستوى الأفكار ، لا الى مستوى الأشياء ، فان تطور العالم الجديد دائما يتركز اعتماده على المقاييس الفكرية " (١)

ويتفق هذا التحليل مع تعريف التقنية فهي :

" القدرة الفعالة المستمدة من تلقي العلوم والتمرس في استخدامها وتطبيقها في ادارة وتشغيل المشاريع الصناعية وصيانة واصلاح وصنع واختراع المعدات الصناعية "(٢)

فهذه القدرة الفعالة وهي قوة الأفكار تؤدي الى ايجاد بيئة عمل فعالة تستغل كل الامكانيات الموجودة من وقت وثروة بشرية وثروة طبيعية ، وهي القوة التي استغلتها دول فقدت عالم أشيائها نتيجة لظروف خاصة ، ولم تكن تملك القوة الشرائية ، ولكنها استطاعت أن تبني مدنية كبيرة .

" فألمانيا بعدما تعطلت سفينتها في نهاية الحرب العالمية الثانية " اقلعت بمقدار خمسة وأربعين مارك للرأس . . لكن الاستثمار الحقيقي كان في رأس كل مواطن الماني وفي عضلاته ، وبصورة أشمل

---

(١) مالك بن نبي : مشكلة الثقافة ، ص ١٣ .
(٢) بهاء حسين عزمي : مرجع سابق ، ص ٩ .

وأدق كان في تصميم الشعب الألماني ، وفي التراب الالماني رغم فقره ، ورغم انه كان محتلا " (١)

الا أن قوة الأفكار العلمية لابد أن يصاحبها عامل أخلاقي وبدونه لايمكن أن نتخلص من تخلفنا العلمي والتقني ، ولايمكن بدونه أن تأخذ الجهود المبذولة اتجاهها ، أو تحتفظ به ، أو أن تكون لها وجهة أو هدفا .

ولقد أثبتت بعض الدراسات بطريقة علمية أن العوامل الأساسية في تخلف الشعوب انما ترجع الى ضعف الاخلاق قبل أن تكون فقدان الموارد أو قلة رأس المال أو التخلف التقني ومنها دراسة العالم الاقتصادى السويدى " غونارميردال " بعنوان : " الدراما الآسيوية : دراسة في فقر الشعوب " حيث يصف سبب تخلف بعض الشعوب الآسيوية بقوله :

" مستويات واطئة في : انضباط الشغل وفي المحافظة على المواعيد وفي الترتيب ، معتقدات خرافية ونظرة غير معقولة الى الأمور ، نقص في اليقظة والتكيف والطموح وعدم الاستعداد للتطور والتجربة واحتقار العمل اليدوى والخضوع للسلطة وللاستغلال وضعف روح التعاون " (٢)

---

(١) مالك بن نبي : بين الرشاد والنية ، ص ١٥٢ .
(٢) نقلا من محمد فاضل الجمالي : مرجع سابق ، ص ١٤٣ .

وانه من المؤسف أن نجد هذه المظاهر - والتي ذكرها غونارميردال - في كثير من المجتمعات الاسلامية ، وماذلك الا لعدم التزامهم بتعاليم الاسلام والتي كونت البيئة الحضارية الملائمة للابداع والاختراع . (١)

وبذلك نجد أن الحضارة والتقدم من الأمور التي لاتشترى من الخارج بعملات أجنبية .. بل هي قيم متاحة ولابد من غرسها في أى مجتمع يريد التقدم وهي ثروات ملك يد العالم الاسلامي ولكنها غير مستغلة انها ثروة الوقت والبشر والموارد الطبيعية لكنها غافلة عنها .. بل قد تعتبر هذه الثروات مشاكل تعاني منها فتعمل على ايجاد الحلول لها .... فالوقت يهدر بلا أى حساب بل تحاول الدول أن توجد الوسائل المتعددة لاهداره بحجة ملء الفراغ ... والثروة البشرية تعتبر كارثة في بعض الدول تحاول تحديدها بكافة الوسائل والأساليب :

> " واذا بدأ تزايد السكان في بلاد متخلفة كارثة ، مثل كارثة زحف الجراد على أرض ذات زراعة ومرعى ، فانما ذلك لسبب واحد هو أن التخلف الاقتصادى مبطن بتخلف ذهني .
>
> واذا كان يخشى في وطن كهذا أن تزيد فيه البطالة - بينما كل شيء فيه ينتظر الانجاز - فذلك دليل على أنه يعاني أولا بطالة العقول التي تحجم عن السير ، وتقف امام الاشارة الحمراء التي تضعها في طريقها فكرة " الاستثمار المالي " (٢)

---

(١) انظر وصف البيئة التي كونها الاسلام في الفصل الثاني من هذا البحث

(٢) مالك بن نبي : مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

وباهدار الوقت والايدى والعقول العاطلة امتدت السلبيـــــــة وانعدمت الفاعلية أمام الثروة الطبيعية . .

من خلال وصف أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر نجد أنها عوامل متشابكة يرتبط بعضها ببعض فاسلوب الحياة يؤثر على السلـــوك الفردى ويتأثر به كما أن السلوك الفردى وبعده عن التمسك بالمبـــــادىء الخلقية وعدم وجود قوة الأفكار العلمية التي تربط بين الأشخاص وبيـــــن الأشياء في الوسط المحيط يؤدى الى التخلف . . فهذه هي جوانـــب أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر . لذلك فحل أزمة الثقافـــة يتطلب ايجاد منهج يعمل على القضاء على هذه المشكلات .

الفصل الرابع

دور التربية الإسلامية
في حل أزمة الثقافة

الحل الأمثل لمشكلة الثقافة في العالم الاسلامي :

انتهينا في الفصل السابق الى ان المجتمع الاسلامي المعاصر يعاني من أزمة ثقافة تمثلت في عدم فهمه لمقتضى الألوهية والحاكمية لله عز وجل ، فأنظمة الاسلام وأحكامه معطلة ، وقوانين وضعية مناقضة لمبادىء الاسلام هي السائدة في كثير من دول العالم الاسلامي ، كما أن الفوضى الخلقية تشكل الاطار العام لتصرفات الكثير من الأفراد وهي تحاول التفلت من القوانين والأنظمة متى سنحت الفرصة لذلك ، لتترك الطريق للأهواء والرغبات الشخصية .. كما أن التخلف هو الصفة التي تطبع أجزاء كثيرة من العالم الاسلامي .

ان هذا الوضع يستدعي ضرورة العمل لايجاد الحلول اللازمة لعلاج مشكلة العالم الاسلامي وتصويب المسار الثقافي ، وتنقية عالم أفكارنا وواقع سلوكنا من كل دخيل وعارض يتعارض مع قيمنا الاسلامية الثابتة . ذلك أن

> " المناخ الثقافي غير الاسلامي الذى يقطع رؤيتنا الاسلامية ، ويمزقها ، ويمارس ضغوطه المختلفة علينا فيشوه نظرتنا ويخرب مقياسها الذى يمكننا من التحكم بالمعطيات الحضارية ، ويمنحنا القدرة على الأخذ والترك ، ويعجزنا أن نكون في سوية القدرة على الرؤية القرآنية والاستجابة لها " (١)

---

(١) عمر عبيد حسنه : مرجع سابق ، ص ١٢١ .

ان الحلول الجزئية اذا أريد لها أن تمارس في المجتمعات الاسلامية من أجل علاج مشاكله - كفرض القوانين والاجراءات التي تسن للحد من حالات التسيب والفساد دون ايجاد وازع خلقي ، أو كتطبيق الحدود الاسلامية دون النظر الى مشكلة الانسان وبيئته المحيطة ... او اقامة مصنع هنا أو مؤسسة هناك .. أو استيراد الآلات - لايمكن أن تقدم الحل الجذرى للمشاكل لأنها تعالج الأعراض الناتجة عن مشكلة الثقافة دون أن تمس الجوهر أو الأساس .

كما أن الحلول المستوردة من دول أخرى تفقد فعاليتها ودورها بمجرد انفصالها عن اطارها الاجتماعي .. فالثورات الاصلاحية التي مني بها كثير من دول العالم الاسلامي والتي يغلب على أكثرها الطابع الاشتراكي قد أدت الى زيادة المشكلات وتنوعها حتى لم تترك قطاعا من قطاعات المجتمع الا غطته ، ذلك أن هذه الحلول لم تستطع أن تغير أخلاق الفرد نحو الأفضل ولم تقض على مرض اللافعالية الذى يخيم على مجتمعات العالم الاسلامي . (١)

فالمشكلة أعمق من أن تحل حلولا جزئية أو أن ترفع الشعارات وتستبدل الأنظمة . ان الحل يجب أن يأخذ في الاعتبار احداث تغيير في الانسان المسلم والاطار الذى يحيطه ؛ أى حامل الثقافة والبيئة التي يعيش فيها ويستقي منها اتجاهاته وأفكاره وهي التي توجه سلوكه ، ان احداث هذا التغيير في الانسان المسلم وتحويله الى عنصر فعال يتفاعل مع عناصر الحضارة من وقت وموارد طبيعية ويؤدى الى تكوين مجتمع حضارى يبلغ رسالة الاسلام أمر لايعد من المستحيلات والقرآن العظيم يقرر في بيان واضح

---

(١) محمد عبد الله دراز : دستور الأخلاق في القرآن ، ترجمة وتحقيق عبد الصبور شاهين . مقدمة بقلم المترجم ، ص ل ح .

" امكانية أية أمة أو جماعة أن تعود باستمرار لكي تنشيء دولة أخرى ، أو تمارس تجربة جديدة ، أو تتولى زمام القيادة الحضارية والعقائدية ، بمجرد أن تستكمل الشروط اللازمة لذلك ، وأولها عملية " التغيير الداخلي " التي أكد القرآن على حدها الايجابي بقوله تعالى : ﴿ ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (١) وأكد على حدها السلبي : ﴿ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾ (٢) هذا التغيير الذى يمتد الى كافة المساحات الأخلاقية ، وسائر المكونات النفسية الأساسية وكل العلاقات الداخلية مع الذات ومع الآخرين ، والتي تمكن الانسان فردا وجماعة من مواجهة حركة التاريخ " (٣)

فعملية التغيير الداخلي للانسان - أى تغيير ما بنفسه - من أفكار واتجاهات وتغيير سلوكه ليكون أكثر فعالية ، وحتى يشكل مع أقرانه عناصر حضارية قادرة على تغيير الواقع نحو الأحسن نحو خير أمة أخرجت للناس - مهمة بشرية ووسيلة هذا التغيير الفعالة هي منهاج تربوى شامل يربي وينمي كافة الطاقات البشرية : العقلية والروحية والأخلاقية والجسدية ، ويستمد أسسه ومبادئه من مصادر الدين الاسلامي الثابتة - القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة - ويسعى الى تحقيق

---

(١) سورة الرعد : الآية " ١١ " .
(٢) سورة الأنفال : الآية " ٥٣ "
(٣) عماد الدين خليل : التفسير الاسلامي للتاريخ ، ص ٢٦١ .

أهداف وغايات الاسلام ، ذلك أن خالق الانسان هو أدرى بما يصلحه وينفعه ، ان تربية هذا شأنها تستطيع أن تعيد للأمة الاسلامية وحدتها الفكرية والثقافية كما فعلت في المجتمع الاسلامي الأول حيث حولته من قبائل متناحرة الى أمة واحدة ، عندئذ سيصدق فينا وعد الله عز وجل :

* وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم ، وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا . . . * (١)

وقبل البحث عن دور التربية الاسلامية في احداث التغيير اللازم في الانسان لتسود ثقافة الاسلام ، لابد من ايجاز أهم الأسس التي تقوم عليها التربية الاسلامية ، والأهداف التي تسعى اليها . . ذلك أنه قبل التعرف على الوسائل التي تساعدنا على ضبط سلوك الانسان وفق مقتضيات وأخلاق ومبادىء معينة وهو الأمر الذى يجيب على السؤال التالي : " كيف يجب أن يكون عليه سلوك الانسان المسلم في الدنيا بصفته الفردية والجماعية ؟ " لابد من الاجابة على سؤال " لماذا يجب أن يكون " أو بعبارة أخرى ماهي الأسس الفكرية والخلقية التي اخترناها لنظام الحياة ولتربيتنا المبتغاة . (٢)

---

(١) سورة النور : الآية " ٥٥ " .
(٢) انظر : ابو الأعلى المودودى : نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

أسس التربية الاسلامية :

أولا : الايمان بوجود الله ووحدانيته وحاكميته ، وبأن القرآن الكريم هو كلام الله الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه أنزله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، الذى لاينطق عن الهوى ان هو الا وحي يوحى . كما في قوله تعالى : ﴿ انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ﴾ (١) والايمان هو الحجر الأساس لنظام الاسلام كله

" وبالتالي فان التربية الاسلامية التي تعني بتنشئة الانسان المسلم المنطبع بطابع الاسلام العامل بكل تعاليمه ، يجب أن تبنى على أساس الايمان بكل أركان الدين ايمانا واضحا متميزا " (٢)

ذلك انه لاقيمة لدعوة الناس الى اختيار منهج معين في السلوك أو نظام متميز للحياة الا أن تكون آتية من وراء دعوتهم الى الاصطباغ التام بالعبودية المطلقة لفاطر السموات والأرض وايقاظهم الى الحقائق الكبرى الكامنة في قوله تعالى :

﴿ قل ان صلاتي ونسكي ومحياى ومماتي لله رب العالمين ﴾ لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴿ (٣) .

---

(١) سورة الحجرات : الآية " ١٥ ".
(٢) عبد الرحمن النحلاوى : اصول التربية الاسلامية ، ص ١٨ .
(٣) سورة الأنعام : الآيتان " ١٦٢ - ١٦٣ " .

ثانيا : تنمية فكر المسلم حيث تقدم له تصورات واضحة عن حقيقة الانسان والحياة والكون .

فالانسان هو محور العمارة الكونية وهو الهدف من ورائها ، والقرآن الكريم في مواضع كثيرة يبصّر الانسان بأصله : * قتل الانسان ما أكفره * من أى شيء خلقه * من نطفة خلقه فقدره * (١) ، وحقيقة تكريمه : * ولقد كرمنا بني آدم ، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات * (٢) ، وبمزاياه وخصائصه : * علم الانسان مالم يعلم * (٣) ، ومهمته في الدنيا : * واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الأرض خليفة * (٤) .

أما الحياة فهي " الوسيلة الزمنية التي ينهض عليها جمع الأسباب والشروط التي لابد منها لاستخدام الأرض وعمارتها " (٥) وهي معبر للحياة الآخرة وجسر الى غاية وفرصة لأداء مهمة .

والكون هو من صنع الخالق المدبر : * الله خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل * (٦) ، خلقه لغاية وهدف : * وماخلقنا السموات والأرض ومابينهما الا بالحق وأجل مسمى * (٧) ، وهو

---

(١) سورة عبس : الآيات " ١٧ - ١٩ " .
(٢) سورة الاسراء : الآية " ٧٠ ".
(٣) سورة العلق : الآية " ٤ "
(٤) سورة البقرة : الآية " ٢٩ ".
(٥) محمد سعيد رمضان البوطي : منهج الحضارة الانسانية في القرآن ، ص ٦٤ .
(٦) سورة الزمر : الآية " ٦١ ".
(٧) سورة الأحقاف : الآية " ٣ " .

مسخر للانسان أى أن آيات الكون ليست مستغلقة على النظر والفهم : * ألم تروا أن الله سخر لكم مافي السموات ومافي الأرض *(١) ، ان رسوخ هذه التصورات في عقل المسلم يؤدى الى وحدة فكرية منطلقهـــا واحد .

ثالثا ـ الدعوة الى التسامي باستمرار والى ارتفاع الانســـان الى المثل الأعلى والى تزكية النفس كما في قوله تعالى : * قد أفلح من تزكـــى *(٢) ، وذلك عن طريق عبادات مفروضة

" وأطر سلوكية وأخلاقية محددة ، ومـن خـــلال محاسبة النفس ، واحياء الضمير الديني فـــي الانسان . . . وهذه المحاسبة في الاسلام تســـير بالانسان دائما نحو الأفضل والأكمل وتجعل مـــن نفسه على نفسه رقيبا ، وتحفظه من التردى في مزالق الهوى والشيطان وتعمل على السمو به سمـــوا روحيا وأخلاقيا واجتماعيا وبدنيا وفكريا " (٣)

والرسول صلى الله عليه وسلم يربي فينا هذا الاتجاه حين يوصينا بأن نسمـو دائما بأنظارنا الى من هم أسمى منا في نطاق الأخلاق وأن نحـــاول الاقتداء بهم ، على حين يأمرنا أن نقنع بما قسم الله لنا ناظريـــن

---

(١) سورة لقمان : الآية " ٢٠ ".
(٢) سورة الأعلى : الآية " ١٤ "
(٣) زغلول راغب النجار : أزمة التعليم المعاصر ، ص ٩٩-١٠٠ .

الى من هم أدنى منا من اخواننا في نطاق الماديات اذ يقـــــول عليه الصلاة والسلام :

" خصلتان ، من كانتا فيه كتبه الله شاكرا صابرا ، ومن لم تكونا فيه لم يكتبه الله شاكرا ولا صابـــرا من نظر في دينه الى من هو من فوقه فاقتدى بـــه ونظر في دنياه الى من هو دونه فحمد الله علـــى مافضله به عليه ، كتبه الله شاكرا صابرا ، ومـــن نظر في دينه الى من هو دونه ، ونظر في دنيـــاه الى من هو فوقه فأسف على مافاته منه ، لم يكتبه الله شاكرا ولا صابرا " (١)

رابعا - العلم النافع الذى هو أساس الحياة الرشيدة الفاضلة ، والعمل بهذا العلم هو الذى يقيم هذه الحياة ويضمن لها الاستمـــرار ، والعلم النافع مقصود بشموله اذ هو :

" كل معرفة تزيد الانسان صلة بالله وتمكنا من القيام بواجبات خلافته في الأرض ، وعمران الحياة فيهـــا ، واقامة العدل الالهي بين الناس ، فالعلم فـــي الاسلام مرتبط ارتباطا وثيقا بالأخلاق " (٢)

ولقد ميزت أول آية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم التربيـــة الاسلامية والتربيات الأخرى في قوله تعالى * اقرأ باسم ربك الـــذى خلق ، خلق الانسان من علق * (٣) ، فكل علومنا ومعارفنا يجـــب

---

(١) سنن الترمذى : حـ ٤ ، كتاب صفة القيام ، باب ٥٨ ، ص ٦٦٥ .
(٢) زغلول راغب النجار ، مرجع سابق ، ص ١١٩ .
(٣) سورة العلق : الآيتان " ١ - ٢ "

ان تنطلق من التصور الاسلامي الصحيح عن الانسان والكون والحيـــاة وعن معنى الألوهية ، وهذا المقصود بقوله تعالى : ﴿ اقـــــرأ باسم ربك ... ﴾ ولقد أعلى الاسلام من قيمة العلم والعلماء ، وحث على النظر والتدبر وعدم اتباع الهوى والظن والبعد عن التقليد (١)

أهداف التربية الاسلامية :

تتطابق أهداف التربية الاسلامية مع أهداف الدين الاسلامي ، ذلك أن الاسلام من حيث هو دين ، يعتبر في مجموعه منهاجا تربويـــا للذات الانسانية ، ليصل بها الى مرحلة العبودية لله والخضوع لـــه ، والقيام بمهمة الاستخلاف في الأرض ليعمرها بتحقيق شريعة اللـــه وطاعته . ويتضح هذا الهدف في قوله تعالى : ﴿ وما خلقت الجـــن والانس الا ليعبدون ﴾ (٢)

" واذا كانت هذه مهمة الانسان في الحياة ، فـان تربيته يجب أن تكون لها نفس الهدف ، لأن التربية الاسلامية هي تنمية فكر الانسان وتنظيم سلوكـــه وعواطفه ، على أساس الدين الاسلامي . وبذلك تكون الغاية النهائية للتربية الاسلامية هي تحقيق العبودية لله في حياة الانسان الفردية والاجتماعية " (٣)

---

(١) سبق الحديث عن البيئة العلمية التي يوفرها الاسلام في الفصـل الثاني من هذا المبحث.

(٢) سورة الذاريات : الآية " ٥٦ ".

(٣) عبد الرحمن النحلاوي : مرجع سابق ، ص ٩٨ .

أى تربية الانسان المسلم وتربية المجتمع المسلم ويمكن ايجاز هذين الهدفين فيما يلي :

١ - تربية الانسان المسلم :

تبدأ التربية الاسلامية من الفرد ، فهو المادة التي يتكون منها المجتمع ، ولابد أن تكون قوية سليمة ونظيفة . . حتى يكون المجتمع كذلك ، وتركز التربية الاسلامية على تحديد عناصر شخصية الانسان المسلم الصالح ، وبناء ذاته وفق قيم ومبادىء ثابتة وواضحة في مصدريها : القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كما في قوله تعالى : ﴿ والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ (١) ففي هذه السورة الكريمة تتلخص سمات الانسان الصالح (٢) ، وبهذا البناء والتحديد يستطيع المسلم أن يقوم بعملية تنحية للأفكار والتصرفات المخالفة للاسلام ، ويصبح أكثر توافقا مع مبادىء الاسلام ، فالفرد يولد وهو مزود بالقدرة على التكيف والتشكيل طبقا لأهداف معينة كما في قول الرسول صلى الله عليه وسلم : " كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه" (٣) فالفرد لكي يمثل الثقافة الاسلامية ينبغي أن يجسد في ذاته واقعا نفسيا معينا تتحقق فيه جميع أسس التربية الاسلامية التي سبق ذكرها .

---

(١) سورة العصر : الآيات " ١ - ٣ " .
(٢) انظر ، يوسف القرضاوى : الحل الاسلامي فريضة وضرورة ص ٥٧ و : زغلول راغب النجار : مرجع سابق ، ص ٩٧ .
(٣) صحيح البخارى : حـ ٨ . باب في القدر ، ص ١٥٣ .

وتربية الانسان على العبودية لله تنقل المؤمن من حدود ذاته الضيقة الى مجال الغايات الكبرى في الحياة ، بحيث يشعر انه انما يعيش بكل طاقاته لغاية عليا ، فيها خيره وخير البشرية جمعاء : وهي عبادة الله ، واقامة منهجه في الحياة ، والقيام بتبعات الخلافة في الأرض . (١) كما تؤدى تربية الانسان على العبودية لله الى تنظيم غرائزه وطاقته الحيوية بحيث تتحول الى نشاط اجتماعي منظم ، فالاسلام لا يكبت الغرائز ولكنه ينظمها ويعليها حتى لا تضر غيره فهو

" يعلى غرائز حب الامتلاك ؛ حتى لا تصل الى السطوة والسيطرة ، ويعلى الغرائز الجنسية بالزواج حتى يكون المجتمع نظيفا شريفا ، يعلى الغرائز في طلب القوت ، لكيلا يكون نهما ولا يكون شرها ، يعلى الغرائز في حب الاستطلاع ، كيلا يجعله تجسسا وتتبعا لعورات الناس " (٢)

وتنظيم الغرائز وتحديد صفات المسلم ورسالته في الحياة من شأنه أن يحقق الهدف الثاني وهو :

٢ - تربية المجتمع المسلم :

يحمل الاسلام الناس جميعا مسئولة تكوين المجتمع وبناء حضارته ، لذلك كانت الدعوة الى تزكية النفس البشرية وتطهيرها من الأخلاق

---

(١) انظر عمر عودة الخطيب : المسألة الاجتماعية بين الاسلام والنظم البشرية ، ص ٢٠١ - ٢٠٢ .

(٢) محمد متولي الشعراوى ، الاسلام وحركة الحياة ، ص ١٨ .

الفاسدة من الشروط الأساسية للمسلم ﴿ قد أفلح من زكاها ﴾ (١) ، وهو يهدف من وراء ذلك الى اقامة مجتمع انساني سليم تتكون شبكة علاقاته الاجتماعية على الصورة التي حددها القرآن الكريم والسنة الشريفة ، ويكون مظهرا لعدالة الله تعالى وحكمه في الأرض . ومما يؤكد اهتمام الاسلام بتربية المجتمع المسلم مايلي :

أولا :

" أن جميع الأحكام الاسلامية ، على اختلافها ، تؤول الى قسمين : قسم يراعى فيه النهوض بحقوق الله عز وجل ، وقسم آخر يراعى فيه النهوض بحقوق العباد ، واذا قارنت بينهما ، رأيت أن القسم الأول ضئيل جدا في كميته ، بالنسبة لمحتويات القسم الثاني . فجل الأحكام الشرعية يتناول رسم حقوق العباد ، وبيان كيفية رعايتها ، وسبل ضمانها " (٢)

ثانيا :

" أن انتهاك الحق العام ، يقتضي من الناحية الاخلاقية جزاءات أخرى ، أكثر من مجرد الندم ، والتوبة ، والصلاح الشخصي ، جزاءات تصل في مداها الى ما هو أبعد من الرضا الالهي " (٣)

---

(١) سورة الشمس : الآية " ٩ "
(٢) محمد سعيد رمضان البوطي : مرجع سابق ، ص ٢٧ - ٢٨ .
(٣) محمد عبد الله دراز : مرجع سابق ، ص ٤٠٨ .

وهذا معنى القاعدة الفقهية المتفق عليها : " حقوق الله مبنية على المسامحة وحقوق العباد مبنية على المشاحة . فاهمال حق من حقوق الله تعالى يكفره مجرد التوبة الصادقة ، أما تضييع حقوق العباد فلا يكفره الا اعادة الحق المضيع الى صاحبه (١) في الدنيا ، أو الجزاء في الآخرة . وفي ذلك يقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

" أتدرون ما المفلس ؟ قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع ، فقال : ان المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتي قد شتم هذا ، وقذف هذا ، وأكل مال هذا ، وسفك دم هذا ، وضرب هذا ، فيعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فان فنيت حسناته قبل أن يقضى ماعليه أخذ من خطاياهم ، فطرحت عليه ، ثم طرح في النار " (٢)

ولقد عنى الاسلام بتحديد مكونات الأمة الاسلامية ، وهي وحدة المبادىء والقيم ، وجعل أساس الترابط بين المسلمين رباط العقيدة والاخوة الاسلامية ، وحدد للأمة الاسلامية شخصيتها الخاصة حين أمر بمخالفة الأمم الأخرى فيما يعتبر شعارا لها .

---

(١) انظر . محمد سعيد رمضان البوطي : مرجع سابق ، ص ٢٨ .
(٢) صحيح مسلم بشرح النووى : حـ ١٦ . كتاب البر والصلة . باب تحريم الظلم ، ص ١٣٥ .

والتربية الاسلامية في تحقيقها لهدف تربية الفرد والمجتمع لا تعلو جانبا على الآخر ، بل تربط بينهما في اتساق كامل فلا تضيع شخصية الفرد في سبيل الجماعة ، ولا يتعدى الفرد حدوده بحيث يكون ضارا للجماعة ذلك أن

" غاية حياة الفرد في الاسلام انما هي غاية الجماعة بعينها ، أى تنفيذ القانون الالهي في الدنيا وابتغاء وجهه تعالى في الآخرة ، وزد على ذلك أن الاسلام قد منح الفرد ماكان يتعلق بذاته من الحقوق ، وكذلك عرض عليه واجبات مخصوصة للجماعة ، وبهذه الصورة ظهر بين الفردية والاجتماعية في الاسلام توافق غريب بحيث يتيسر للفرد نماء قوته وارتقاء شخصيته ، ثم يصبح عونا بقوته الراقية فيما فيه خير وسعادة للمجتمع " (١)

الحل التربوى لأزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر :

ان في تحقيق أهداف التربية الاسلامية في العالم الاسلامي المعاصر مايؤدى الى احداث التغيير الذى يريده ، وهو تغيير مافي نفوس افراده أولا حتى يتحقق له تغيير محيطه ، والالتزام بثقافته الاسلامية بشكل شامل ، عندئذ تصبح التربية الاسلامية هي الأصل في المجتمع كما كانت في العصر الاسلامي الاول ، أى ان يمارس الاسلام بالفعل فتصبح شريعة الله المطبقة لونا من ألوان التربية يتربى به المجتمع كله ،

---

(١) ابو الأعلى المودودى : نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور ، [illegible] ، ص ٥٦ .

وتصبح أخلاق الاسلام وأنماط سلوكه في تصرفات الأفراد لونا من التربية ينطبع عليه الفرد وتتشربه نفسه فيتخلق به ، ويصبح نظام الاسلام المتحكم في حياة الناس فالمرأة الملتزمة بأمر ربها ، والرجل الجاد في سيره وفي كلامه وفي عمله وعبادته ، كلها الوان من التربية يتربى عليها أفراد المجتمع الاسلامي ، وحتى نصل الى كل ذلك لابد من وضع خطة شاملة للثقافة تستهدف الاجابة على سؤالين هما :

١ - أى انسان مسلم نريده في المستقبل وبالتالي أى مجتمع نريده ؟

٢ - ماهي الوسائل والسبل الكفيلة بتحقيق ذلك المجتمع ؟

ذلك أن

" العمل الاسلامي لابد أن يسبقه عمل اسلامي على مستواه والعمل الاسلامي المطلوب لابد من أن يكون عملا جماعيا ، قائما على أساس من التنظيم والتخطيط حتى يؤتى أكله ، ويحقق أهدافه "(١)

وهذا يتطلب من المخططين والقائمين على أمور التربية والعمل الاسلامي مايأتي :

أ - وضوح الرؤية الاسلامية وادراكهم لحركة التغيير الاجتماعي في الاسلام ، والوعي الكامل بسنن الله الكونية الثابتة .

---

(١) يوسف القرضاوى : المرجع السابق ، ص ٢٢٤ .

ب - دراسة أوضاع الحياة الاجتماعية ، وطبيعة العصر وثقافته وتجدد الفكر والحياة فيه وتحديد الموقف الملائم من قضايا العصر .

حـ - دراسة واقع الأمة الاسلامية وواقع العمل الاسلامي فيه وخطواته، والوعي بالتكوين النفسي والتاريخي والفكرى للامة ،أو مايسمى بمكان الأمة والمركز الحضارى الذى يضعها تاريخها وواقعها فيه .. ثم دراسة واقع القوى المعادية للاسلام. وجمع البيانات والمعلومات اللازمة عنها جميعا ، وتحليلها من منظور علمي موضوعي ، والخروج بالنتائج اللازمة . (١)

د - أن تخطط لكيفية البدء وترتيب الأولويات بصرامة ومن خلال حسابات دقيقة جدا .

ومن خلال ماتم استعراضه من أسباب الأزمة وطبيعتها أرى أن نقاط البدء لحل أزمة الثقافة يقع على عاتق مجموعتين من المؤسسات والتي تعتبر ميدانا للمواجهة بين المربين المسلمين وغيرهم .

المجموعة الأولى : ميدانها مراكز التربية والتعليم في المدارس والمعاهد والجامعات وغيرها من الجهات والمؤسسات المعنية بالتربية والتعليم على المستويين الرسمي والشعبي .

---

(١) انظر : عبد الحليم عويس : المسلمون في معركة البقاء ، ص ١٤٥-١٤٦ و : يوسف القرضاوى " وقفة مع الحركة الاسلامية " . مجلة الأمة . العدد ٥٦ - السنة الخامسة - شعبان ١٤٠٥ هـ ، ص ٨٠

المجموعة الثانية : ميدانها وسائل الاعلام بأنواعها كافة وخاصة المرئية .

ذلك أن تربية الأجيال المسلمة الواعية لرسالتها في المدارس والجامعات والمعاهد ، وتوجيهها التوجيه الاسلامي الصحيح عن طريق وسائل الأعلام ، يؤدى الى ايجاد قاعدة اسلامية واعية يمكن الاعتماد عليها في تعديل الاعوجاج وتقويم الانحراف ، وتكون قوة دافعة وأمينة للمطالبة والتعجيل بتطبيق الاسلام وثقافته التطبيق الكامل وعلى الوجه الذى نص عليه القرآن الكريم والسنة المطهرة . ولا يعني ذلك طبعا اغفال المرافق الأخرى ذات التأثير القوى على صياغة اتجاهات الناس سياسية كانت أو تربوية أو ثقافية أو اجتماعية والتي يجب أن تتفاعل كلها من أجل تحقيق الهدف الأسمى المشترك ألا وهو ايجاد الحلول الاسلامية الناجعة للأزمة الثقافية التي يعيشها ويعاني منها العالم الاسلامي .

ولكن واقع هذه المؤسسات (التربوية والاعلامية) في المجتمعات الاسلامية يوضح أنها لاتقوم باعداد واخراج أجيال مسلمة واعية لرسالتها . لذا فاني أرى ضرورة الالتزام بعدة خطوط رئيسية يكون في تحقيقها ان شاء الله الخطوة الأولى نحو تحقيق دورها المرغوب فيه .

وهذه الخطوط تعتبر في الوقت الحاضر من أهم متطلبات التربية الاسلامية ومن أهم واجباتها التي تسعى الى تنفيذها . . وأهم هذه الخطوط هي :

أولا : اعادة النظر في مناهج العلوم الاسلامية ، واقامتها على أساس آخر غير ما هو قائم في معظم الدول الاسلامية :

ان من أهم الأمور التي يجب أن تسعى اليها التربية الاسلامية هو أن تعيد للدين الاسلامي تأثيره في نفوس الأفراد ، ذلك التأثير الذى أحدثه في جيل المجتمع الاسلامي الأول حتى يتقبل ضمير الفرد آيات القرآن وكأنها نازلة من فورها من السماء على هذا الضمير ، وهذا يتطلب اعادة النظر في مناهج المواد الدينية من حيث المحتوى والكتاب المدرسي وطريقة التدريس ، واعداد واختيار معلم المواد الدينية ، بحيث لا يكون المحتوى مجرد معلومات تحفظ بدون فهم ولا قناعة ، ليؤدى فيها اختبارا في نهاية العام ، ولا يكون المدرس مجرد ملقن للمعلومات بل قدوة حسنة يمثل الاسلام في قوله وعمله . ذلك أن استعادة الأمة الاسلامية لذاتيتها وثقافتها رهن باقامة قاعدة صلبة من العقيدة الحقة والتصور لحقيقة الألوهية . وحقيقة الانسان ورسالته وحقيقة حياته والكون الذى يعيش فيه ، والقرآن الكريم يوضح لنا المحور الجامع الذى تلتقى عليه الأمة الاسلامية في قوله تعالى : * واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا * (١) فالمحور هو حبل الله المتمثل في بنيان العقيدة المتكاملة والتصور الموّحد بين المسلمين ، وهو مايجب أن تغرسه المواد الدينية في نفوس الطلاب مستخدمة في ذلك منهج القرآن ذاته في ترسيخ مبادئه ، والذى يقوم على اثارة العقل والوجدان بشكل متوازن وبأسلوب صالح لجميع الناس على

---

(١) سورة آل عمران : الآية " ١٠٢ ".

اختلاف مداركهم ، وينادى محمد قطب باستخدام المنهج القرآني في تدريس العلوم الدينية اذ يقول :

" لماذا نصر على أن نجعل تدريس المواد الدينية بعيدا عن بشاشة هذا الدين واشراقة روحه ؟ . . . لماذا نجعل درس الدين نصوصا جامدة ، وقضايا ذهنية لاتخدم العقيدة في شيء ولاتقرب القلب شبرا واحدا من الله ؟ لماذا لانتبع منهج القرآن والقرآن هو كتاب هذا الدين ، والذى نزل لتعليم الناس عقيدتهم وشريعتهم وعباداتهم ومعاملاتهم ؟ "(١)

وهنا يقع على عواتق علماء التربية مسئولية الاقبال على كتاب الله ليستخرجوا منه أصولا ومناهج جديدة في فن التربية ، تخدم الأمة الاسلامية ، ويتم لهم عليها الأجر العظيم عند ربهم .

كما يجب أن تسعى التربية الاسلامية من خلال المواد الدينية خاصة وكل المواد عامة الى تنمية مايلي :

أولا : الحس الرسالي لدى الطالب فهو صاحب رسالة عالمية يجب ابلاغها والحرص على نشرها سواء في مجتمعه أو المجتمعات الأخرى كما في قوله تعالى :

---

(١) التعليم الاسلامي أهدافه ومقاصده ، ص ٨٧.

* وجاهدوا في الله حق جهاده ، هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ، ملة أبيكم ابراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكونَ الرسولُ شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس * (١)

ان تنمية هذا الاحساس لدى المسلم كل حسب مرحلته يؤدى الى أن يحتفظ المسلم باستقلاله الفكرى والأخلاقي حتى ولو عاش في مجتمع لا يتفق مع مثله الأعلى ومبادئه ،كما يؤدى الى أن يتمتع المسلم بحصانة نفسية أمام كل أنواع الاستبداد الذى قد يتعرض له ، كما يمكن اضافة أن

" الاحساس بالرسالة التي يتضمنها النظام تؤدى الى نمو روح الجماعة بين أعضاء النظام ،وروح الجماعة هي في ذاتها الفهم والاحساس الذى يكون لدى الناس عن انتمائهم لبعض وعن كونهم متوحدين كل مع الآخر في تناغم تام قد ركب أساسه وشكله حالة من الوفاق ، مثل هذه الظروف من الاحساس بالمشاركة المتبادلة والاستجابات الواضحة العلنية تؤدى الى السلوك المتماسك " (٢)

---

(١) سورة الحج : الآية " ٧٨ ".
(٢) محمد فؤاد حجازى : مرجع سابق ، ص ١٩٧.

ثانيا - الشعور بالكرامة التي حباه الله بها وهي كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز كرامة مثلثة

" كرامة هي عصمة وحماية ، وكرامة هي عز وسيادة ، وكرامة هي استحقاق وجدارة . " كرامة يستفيدها الانسان من طبيعته " * ولقد كرمنا بني آدم .. * وكرامة تتغذى من عقيدته * ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين * وكرامة يستوجبها بعمله وسيرته * ولكل درجات مما عملوا * (١)

ان تنمية الحس الرسالي والشعور بالكرامة بأنواعها الثلاثة لدى الطالب المسلم يؤدى الى مايسمى بالشعور بالأناة وهي الشعور بالتميز والتفوق الحضارى والذى يأخذ عند المسلم صورة القيام بدور حمل رسالة انقاذ البشر ، واخراجهم من عبودية بعضهم البعض الى عبودية الله وحده ، ويتجلى هذا بوضوح في موقف ربعي بن عامر رضي الله عنه (٢) الذى لخص رسالة المسلم في قوله : " اخراج العباد من عبادة العباد الى عبادة الله تعالى " (٣) ويقابل الشعور بالأناة الشعور بالمنبوذية وهوالشعور بالاستضعاف الذى هو " نفي الأنا " (٤)

---

(١) محمدعبد الله دراز : دراسات اسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية ، ص ٣٣ .
(٢) انظر جودت سعيد : فقدان التوازن الاجتماعي ، ص ١٤ - ١٨ .
(٣) ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى : مرجع سابق . حـ ٣ ، ص ٥١٨
(٤) جودت سعيد : المرجع السابق ، ص ١٦ .

" ان الشعور بالأناقة (الشعور بالتميز الحضارى) ، والشعور بالمنبوذية شعوران يمثلان بدء الحضارة وانهيار الحضارة ، فالحضارة تبدأ بالشعور بالأناقة أو (بالاهتداء الى الصراط السوى للخروج من الأزمات الملحة) ، بينما الشعور بالمنبوذية شعور باليأس ، وانسداد الطرق أمام المشكلات والأزمات " (١)

فمن أجل استعادة تمثل ثقافة الاسلام لبناء حضارة شامخة لابد أن تسعى المواد الدينية الى تنمية هذا الشعور لدى الطالب المسلم.

ثانيا - ضرورة اعادة صياغة العلوم من خلال التصور الاسلامي :

ان العلوم والمعارف الموجودة الآن انما هي تراث الانسانية كلها لذلك لايمكن رفضها ، فهي وسيلتها الى عمران الحياة على الأرض ، الا أنها في نفس الوقت من ثمرات البحوث والتجارب والدراسات التي قام بها علماء الغرب ، فمنطلق تفكيرهم يتعارض تعارضا واضحا مع أسس التربية الاسلامية ، لذلك لايمكن فرضها وتدريسها للمسلمين دون اعادة صياغتها حسب التصور الاسلامي الصحيح (٢) . لأن عدم اعادة الصياغة معناه علمنة العلوم وفصل الدين عن الحياة (٣) . وعند اعادة صياغة العلوم من وجهة نظر اسلامية لابد من مراعاة التالي :

---

(١) المرجع السابق ، ص ١٧.
(٢) انظر : توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية العالمية الأربع . " المؤتمر العالمي الأول . الحلقة الثانية . اللجنة الأولى . المناهج ومحتوياتها " ص ٥٩.
(٣) انظر : اثر الازدواجية في التعليم في الفصل الثالث من هذا البحث.

١ - الاستفادة من الدراسات الاجتماعية في ضوء من المعرفة الدقيقة بما قاله الاسلام في قضاياها المتشعبة ، لأن هذه العلوم تدرس سنن تغيير مافي نفوس الأفراد والمجتمعات وفق أسس علمية دقيقة يجب الالمام بها ، فدراسة هذه العلوم من العوامل التي تساعد على حل مشكلة المسلمين التي لن يتم حلها الا بالسيطرة على سنن تغيير ماباالأنفس وما بالمجتمع مهتدين في ذلك بقوله تعالى : ﴿ ان الله لا يغير مابقوم حتى يغيروا مابأنفسهم﴾ (١)

" فمن تمكن من معرفة الخواص التي يخلقها الله تعالى في المواد ، يمكنه أن يسيطر عليها ، كذلك من تمكن من معرفة الأفعال التي يخلقها الله تعالى مما بالأنفس ، يمكن له أن يسيطر على المجتمع وفي الحقيقة تعتبر هذه النقطة من أعظم ماجاء به الأنبياء ، ونزلت من أجله الكتب ، وأمر من أجله بالاعتبار بسير الماضين ، والنظر الى الأنفس. ومالم يرجع الى المسلمين هذا العلم ، وهذا الفهم فستظل أعمالهم تسيطر عليها الفوضى والتدابر مع القلق والحيرة " (٢)

لذلك كان من الضرورى الذى يقع على عاتق العلماء وأهل الخبرة في مجالات هذه العلوم أن يقوموا بعملية أسلمة هذه العلوم وازالة التعارض بينها وبين حقائق الاسلام حتى يمكن الاستفادة من الأساليب العلمية التي

---

(١) سورة الرعد : الآية " ١١ "

(٢) جودت سعيد : حتى يغيروا مابأنفسهم ، ص ٧٧ .

تقوم عليها . ولقد استخدم أعداء الاسلام هذه العلوم في خدمة أهدافهم وفي احداث التغيير المطلوب في تصورات وسلوك الأفراد ، فلقد شوه اليهود الحقائق التاريخية وعرفوا كيف يحشرونها في أذهان الغربيين ليخدموا أهدافهم ، وامتد تسخيرهم لهذه العلوم بما نشره علماؤهم من نظريات فاسدة في علم النفس والاجتماع والاقتصاد ، ولا يقتصر الأمر على اليهود فقط بل ان كل الأنظمة المعاصرة تعتمد على ماتوصلت اليه هذه العلوم . اذ تقوم بعض المراكز المتقدمة عالميا بدراسة تاريخ الشعوب وعقائدها وعاداتها وتقاليدها ومن ثم رسم المداخل الحقيقية لشخصيتها ، وتحديد الدليل الثقافي للتعامل معها . كما أن هناك في الدول المتقدمة مراكز متخصصة لصناعة الاهتمامات عند الشعوب يخضع لمعطياتها : السياسيون والاعلاميون والخبراء في جميع المجالات ، ولم تعد الأمور عفوية (١)

وهذا يؤكد لنا ما للدراسات الاجتماعية " الانسانية " من دور خطير :

> " في نشر أية دعوة ، وفي التثبيت لها وكسب الغلبة في المعترك البشرى . والذى يقنعنا بدورها الخطير في نشر الدعوات وانتصارها فهمنا لطبيعتها ومادتها وغايتها ، ومايمكن أن يبنى عليها من أمور عملية تطبيقية على درجة عالية من الأهمية . . ويؤكد قناعتنا هذه مايعرفه الكثير منا عن الأهمية التي توليها الدعوات المنتشرة في العالم لهذه الدراسات الانسانية . . لان من يمسك بها فكأنما هو ممسك بزمام المسيرة الحضارية والتاريخية للبشر " (٢)

---

(١) انظر : عمر عبيد حسنه : مرجع سابق ، ص ٦٣ .

(٢) محمد كمال الدين : " الشباب المسلم والدراسات الانسانية " . مجلة الامة . العدد ٤٩ ، السنة الخامسة - محرم ١٤٠٥هـ ، ص ٢٢-٢٣

٢ - لابد أن ترتبط كل معرفة جزئية بأى فرع من فروع العلوم الطبيعية والاجتماعية " بقاعدة كلية تشكل التصور الصحيح للخالق وللوجود الكوني بأركانه الثلاثة : " الانسان والحياة والكون " . والعلاقة بينها ، ان هذه النظرة المتكاملة من شأنها أن تعرف الفرد على قوانين الله في الكون وتساعده على القيام بواجبات الخلافة في الأرض

" والشأن في ذلك تماما كشأن من بسط أمامه خارطة ليطلع من خلالها على موقع بلد أو مجرى نهر ، أو سلسلة جبال ، فمن البداهة بمكان أن عليه قبل كل شيء أن يتصور الرسم الكلي للخارطة وموقعها من الاتجاهات الفلكية المحيطة بها ، ومايتقاسمها من خطوط الطول والعرض ، فان هو لم يبدأ بذلك ، لم يتحقق له أى قيمة لتصوراته الجزئية من خطوط تلك الخارطة وما انتشر فوقها من أسماء المدن والأنهار والجبال ، وان هو توهمها معرفة وطدا " (١)

ومن هنا كانت المعرفة الجزئية رغم تعمقها عند بعض العلماء لاتؤدى الى طمأنينة اليقين والعلم ، وهي الايمان بالله وخشيته على حسب ماجاء في القانون الالهي : ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾(٢) لأنهم ضلوا عن البصيرة الكلية ، فما أحوجنا عند اعادة صياغة علومنا من

---

(١) محمد سعيد رمضان البوطي : مرجع سابق ، ص ١٤١ .
(٢) سورة فاطر : الآية " ٢٨ " .

وجهة نظر اسلامية في أية مرحلة كانت الى توضيح هذه المعرفة الكلية المستمدة من كتاب الله والتي من شأنها أن تقضي على الازدواجية ، وأن تبعث الثقة بالمعارف الجزئية والفرعية ، وتؤدى الى مزيد من الايمان بالله وخشيته وبالتالي الى خلق جيل رباني تعود على يديه وحدة ثقافة الأمة الاسلامية .

٣ - الاهتمام بغرس القيم الخلقية ، أو خلق العلم وهدفه من أجل تهذيب النفس ، وتحليتها بالفضائل وتزكيتها ، وهو ميدان هام من ميادين التربية الاسلامية تجلى ذلك في قوله تعالى :

" ﴿ هو الذى بعث في الأميين رسولا منهم ، يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين ﴾ (١) "

والقرآن العظيم يجعل التزكية وهي تعديل السلوك احدى وظائف الرسول صلى الله عليه وسلم. فهي نتيجة الايمان بآيات الله سبحانه وتعالى وهي تسهل عملية التعليم وتعززه وتوجه سلوك المتعلم بما يحقق الأهداف المنشودة (٢) . وغرس القيم الخلقية لا يقتصر على المواد الدينية فقط ، بل لابد أن تنطلق كل العلوم والأنشطة المختلفة من خلال قيم خلقية ثابتة : كالمثابرة والصبر والتعاون والأمانة والانضباط والاتقان في العمل ، بل يجب أن تكون هذه الصفات والقيم مطلبا أساسيا في العملية التربوية ، حتى تصبح شيئا أساسيا في السلوك الاجتماعي للأفراد .

---

(١) سورة الجمعة : الآية " ٢ ".

(٢) انظر: ماجد عرسان الكيلاني : تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية ، ص ٣٩ - ٤٣ .

فلكي نجعل من الاتقان سجية وعادة للفرد يجب أن نعلمه منذ الصغر كيف يتقن واجبه وكيف يحرص على حسن وجمال كراسته . . . كيف يعتني بملبسه ونظافته . . . ان التأكيد على مثل هذه الأمور وغيرها يؤدي الى بناء روح الاخلاص والتفاني في العمل وهو ما نحتاجه كثيرا في المجتمع الاسلامي المعاصر .

ثالثا : تجديد التفكير وأساليب الفهم :

ان التخلف العلمي الذى يعيشه العالم الاسلامي والتحدى الذى يجابهه والمتمثل في الفكر العلمي وما يتصل به من تقنيات حديثة وتنظيم يتطلب ضرورة ايجاد الحلول لتضييق الفجوة الفكرية العلمية والتقنية والتي تزداد اتساعا دون انقطاع بين المجتمعات الاسلامية والمجتمعات المعاصرة (١) للانتقال بالمجتمع الاسلامي من مرحلة الاستهلاك لمنتجات الغرب وثقافته الى مرحلة المشاركة ثم أخذ زمام المبادرة في عملية الابداع العلمي والتقني .

وهذه الفجوة لا يمكن ردمها الا بتجديد التفكير وأساليب الفهم ، وهذا التجديد يجب أن يبدأ من فهمنا للاسلام بمصدريه العظيمين - الكتاب والسنة - حتى يمكن أن ينتفع بهما في تشكيل حياة اسلامية ذات اسلوب سلوكي وخلقي متميز وتكون المعين الأول في التقدم الذى نرجوه ذلك

" أن فهمنا للاسلام الذى نحن عليه ، والذى نرى صوره وآثاره السلوكية هنا وهناك - الا من رحم الله - يغاير فهم الصحابة " (٢)

---

(١) انظر: الخطة الشاملة للثقافة العربية" الواقع والمستقبل" المؤتمر العام الدورة الثامنة ، ١٩٨٥م تفاصيل التحديات العلمية والتقنية ص ١١٠ - ١١٦ .

(٢) عمر عبيد حسنه: مرجع سابق ، ص ١٢٠

ولعل في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم الذى يرويه زياد ابن لبيد مايدل دلالة واضحة على مانحن عليه قال :

" بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم فنظر في السماء ثم قال : " هذا أ أن العلم أن يرفع " فقال له رجل يقال له زياد ابن لبيد : أيرفع العلم يارسول الله وفينا كتاب الله وقد علمناه ابنائنا ونسائنا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ان كنت لأظنك من أفقه أهل المدينة " ثم ذكر ضلالة أهل الكتابين وعندهما ماعندهما من كتاب الله عز وجل " (١)

ويعطي الاستاذ بسطامي محمد سعيد تعريفا للتجديد الذى نريده عند فهمنا للاسلام بأنه :

" السعي للتقريب بين واقع المجتمع المسلم في كل عصر وبين المجتمع النموذجي الأول الذى أنشأ الرسول صلى الله عليه وسلم . وكما يكون ذلك باحياء مفاهيم ذلك المجتمع وتصوراته للدين ، واحياء مناهجه في فهم النصوص وبيان معانيها ، واحياء مناهجه في التشريع والاجتهاد ، واحياء مناهجه في تدوين العلوم وتكوين نظم الحياة واقتباس النافع الصالح من كل حضارة ، يكون ايضا بتصحيح الانحرافات النظرية والفكرية والعملية والسلوكية وتنقية المجتمع من شوائبها " (٢)

---

(١) مسند الامام احمد . حـ ٦ ، ص ٢٦ .
(٢) بسطامي محمد سعيد : مفهوم تجديد الدين ، ص ٢٨١ .

ان احداث هذا التجديد يؤدى الى تكوين بيئة علمية سليمة تنهى ظروف التخلف، ذلك أن شروط التقدم العلمي والتقني ثقافية على الدوام. فالمنهج الذى يتيح للانسان أن يتقدم في باب التعامل مع الطبيعة أو في باب الوسائل ثقافي بطبيعة الحال لأنه ينبع من نظرة الانسان الى الكون وعلاقته به ووظيفته عنده. وحتى تتكون هذه البيئة العلمية لابد من مراعاة الامور التالية وهي أمور تعد من أهم متطلبات التربية الاسلامية ومن أهم واجباتها :

١ - حل مشكلة الأمية والمنتشرة بشكل واسع في أجزاء كثيرة من العالم الاسلامي ، ولقد قسم الدكتور زغلول راغب النجار الأمية الى صنفين يجب القضاء عليهما وهما :

أ - أمية الجهل بالقراءة والكتابة والتي بلغت في العالم الاسلامي في عام ١٩٧٤ م حوالي ٧٥ ٪ .

ب - جهل الانسان برسالته في الحياة ومصيره بعدها ، وهذه أخطر قدرا من الأولى وهي اكثر انتشارا .

ومن واجب التربية الاسلامية محاربة كلتا الأميتين بأسلوب علمي متكامل يخطط له وتتضافر جهود المسلمين في تنفيذه على المستويين الرسمي والشعبي . (١)

٢ - بناء العقل المنهجي في الدراسات النظرية والعلمية ويقصد بالعقل المنهجي قيادة العقل وتوجيهه لطريقة التفكير الصحيحة

---

(١) زغلول راغب النجار : مرجع سابق ، ص ١٦٧ .

ورؤية الأشياء بشكل صحيح . والمنهج هو الأداة التي يمارس فيهـــا العقل وظيفة اكتشاف الخطأ وابعاده والقيام بعملية تنمية وتكامل للنفـــس الانسانية (١) ومن أجل بناء هذا العقل طرح القرآن الكريم مبدأ عظيمـــا وهو السير في الأرض والنظر في كيفية بدء المخلوقات * قل سيروا فـــــي الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق * (٢) ذلك ان معرفة البداءات الأولية في الأشياء تؤدى الى فهم أفضل ويقود الى السنة التي تحكمه أى ربـــط السبب بالنتيجة " ومعنى السنة حتما انها الظاهرة التي اذا توفـــرت شروطها الأولية تحققت حتما " (٣) كما في قوله تعالى : * فلن تجـــد لسنت الله تبديلا ولن تجد لسنت الله تحويلا * (٤) فالكون يقـــوم على سنن الله وهي كما يذكر خالص جلبي :

" تسود القطاع المخلوق بدءا من الذرة وانتهـــاءا بالمجرة في العالم المادى ، وبدءا من الخلية وانتهاءا بالجسد في العالم العضوى ، مرورا بالنفس الانسانية المجتمع ، الدولة ، الحضارة ، وانتهاءا بالبشريـــــة جمعاء كجسد واحد يضم الجنس البشرى كله " (٥)

---

(١) انظر : خالص جلبي : في النقد الذاتي ،ص ١٥٦ .
(٢) سورة العنكبوت : الآية " ٢٠ " .
(٣) خالص جلبي : مرجع سابق ، ص ٦٢ .
(٤) سورة فاطر : الآية " ٤٣ " .
(٥) مرجع سابق : ص ٦٣ .

ولكي يكون المسلم فعالا مؤثرا لابد أن يكتشف هذه السنن سواء منها الطبيعية أو الانسانية والاجتماعية ، ولابد من أن يتعرف على القوانين التي تحكمها لكي يستطيع التحكم فيها بما يخدم الانسانية وهذا مايقرره المفكر مالك بن نبني في تقديمه لكتاب " حتى يغيروا ما بأنفسهم " اذ يقول :

" ان كل قانون يفرض على العقل نوعا من الحتمية تقيد تصرفه في حدود القانون . فالجاذبية قانون طالما قيد العقل بحتمية التنقل برا أو بحرا ، ولم يتخلص من هذه الحتمية الانسان بالغاء القانون ، ولكن بالتصرف مع شروطه الأزلية بوسائل جديدة تجعله يعبر القارات والفضاء ،كما يفعل اليوم " (١)

ان بناء العقل المنهجي ينقل المسلم من مجرد ناقل لمنتجات الغرب الى منتج يتعرف على قوانين الاشياء ويسخرها بمشيئة الخالق سبحانه وتعالى بما يكمل مسيرة التقدم العلمي الانساني . وهذا الأمر يقود الى النقطة الثالثة وهي :

٣ - الانفتاح على خبرات الآخرين في ميادين العلم والاجتماع والثقافة ، ويرجع الدكتور ماجد عرسان الكيلاني ضرورة هذا الانفتاح الى أنه

" يوقفنا على منابع التأثيرات العالمية ومافيها من جوانب ايجابية وأخرى سلبية الأمر الذى يمكننا من تقدير مواقف الآخرين وكيفية التعامل معهم " (٢)

---

(١) جودت سعيد : مرجع سابق ، ص ١٠ .
(٢) ماجد عرسان الكيلاني : مرجع سابق ، ص ٢٥٩ .

فالاسلام لايدعو الى العزلة والجمود بل يطالب المسلم بالبحث عن الحكمة اني وجدت وبادراك الحقائق وتعلم العلوم من أى مكان كانت وهذا مايقرره ابو الأعلى المودودى اذ يقول :

" ان الحقائق العلمية من تلك العلوم والفنون يصادقها الاسلام وهي تصادقه . والعداء في الحقيقة ليس بين العلم والاسلام ، بل بين الطريقة الغربية والاسلام . وذلك أن لأهل الغرب في أكثر العلوم تصورات أساسية مخصوصة ومفروضات جذرية ونقاط انطلاق ليست بنفسها حقائق ثابتة ، بل هي مما يلهمهم وجدانهم . فهم يصوغون الحقائق العلمية في قالب مزاعمهم الوجدانية هذه ويرتبونها بحسب هذا القالب ، ويتخذون من ذلك نظاما مخصوصا . فالاسلام في الحقيقة يحارب هذه المفروضات الوجدانية . " (١)

فهنا من واجب علماء الاسلام ان يرتبوا هذه الحقائق العلمية ولكن في قالب اسلامي ومن وجهة النظر الاسلامية . فالاسلام " يزودنا بالروح ويريد منا أن نصب هذه الروح في كل مايتجدد من قالب للحياة تبعا لتغير الزمان والمكان الى يوم القيامة " (٢)

---

(١) ابو الأعلى المودودى : نحن والحضارة الغربية ، ص ٣٠٤ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ص ٣٣٦ .

رابعا - الاهتمام باعداد المعلم المسلم :

يجب أن يكون المعلم القدوة الأخلاقية من حيث السلوك والقيم والاتجاهات ، وعليه وعلى عوامل أخرى يقع عبء التعجيل بتغيير الوضع التربوى الحالي ، لذلك أصبح من الضرورى بمكان أن يقوم المدرسون الآن وفي المستقبل باستيعاب المفاهيم والأساليب التي تمكنهم من غرس المعتقدات والأفكار الاسلامية في أذهان التلاميذ ، ولكي يقوم المعلمون بهذه المهمة الهامة لابد من الاهتمام باعدادهم الاعداد الكافي للتعرف على أحدث الوسائل والأساليب التي تمكنهم من أداء واجبهم على أكمل وجه . ولابد من اجتذاب العناصر الممتازة للانخراط في التدريس حتى يمكنهم من اداء رسالتهم (١) ، ويكونوا قدوة حسنة لطلابهم ، وأن يهتم بغرس القيم الخلقية عند اعدادهم . أى يجب أن يتوفر لدى المعلم المسلم شروط الصلاح والعلم والفن .

" فالصلاح وحده لا يصنع معلما ، والعلم وحده لا يصنع مربيا ، ولكن لابد من هذه الشروط الثلاث مجتمعة لتكوين المربي الناجح .. فلا يكفي أن يكون المربي متمكنا من مادته ، ملما بأحدث النظريات التربوية ، محبا للعلم ، بل يجب أن يكون قبل كل شيء انسانا مؤمنا ورعا ، صالحا مدركا لجسامة مسئوليته ، متميزا بمحبته لطلابه وقدرته على اكتساب محبتهم وتقديرهم .

---

(١) انظر: توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية العالمية الاربع : " المؤتمر الاول . الحلقة الثانية . اللجنة السادسة . اعداد المعلمين " : ص ص ٨٧ - ٩١ .

فالجهد التربوى في الاسلام هو في أساسه جهد في مجال الدعوة الاسلامية والاعداد لاقامة المجتمع الاسلامي الأمثل والمحافظة عليه وتطويره . " (١)

ولقد عقدت الندوات وأقيمت المؤتمرات من أجل تحسين عملية اعداد المعلم في العالم الاسلامي ومانحتاجه اليوم هو تحويل قرارات هذه المؤتمرات والندوات الى وقائع ملموسة في جميع أنحاء العالم الاسلامي وهذا يحتاج الى أن تتضافر جهود العلماء والمفكرين والمسئولين في الدول والمؤسسات التربوية الاسلامية من أجل توفير كل التسهيلات والوسائل وازالة العقبات التي قد تقف أمام تنفيذ المناهج التي تسعى وتهدف الى بناء المعلم المسلم القدوة .

خامسا : الاهتمام والتوسع في التعليم الفني :

ان من الواجبات الهامة الملقاة على عاتق التربية في الوقت الحاضر : ايجاد بيئة عمل يستغل فيها الانسان كل طاقاته التي وهبها الله له ، ويستغل الكون الذى سخره الله له بما فيه من ثروات وطاقات. . . والتعليم القائم على أسس نظرية بحتة لا يؤدى الى هذه النتيجة ، بل ان الاعتماد عليه فقط يؤدى الى تنشئة جيل اتكالي يجعل الحصول على الشهادة هدفه الرئيسي للحصول على وظيفة ذات راتب عال كما يؤدى الى عدم مطابقة التعليم لاحتياجات المجتمع الاقتصادية والاجتماعية ، ومايترتب عليه من نشأة البطالة بين المتعلمين وهو ماتعاني منه بعض الدول الاسلامية .

---

(١) زغلول راغب النجار : مرجع سابق ، ص ١٤٤ - ١٤٥ .

ان اللحاق بالأمم الأخرى في مضمار الحضارة والتقدم المادى ، وتضييق فجوة التخلف التي تفصل الدول الاسلامية عن الدول المتقدمة يتطلب الاهتمام بالاعداد الفني والمهني ذى الاختصاص الدقيق لذلك كان على الدول الاسلامية التوسع والاهتمام بفتح مثل هذه المعاهد وجذب الطلاب اليها وتغيير نظرة المجتمع الى مثل هذا النوع من الدراسات . واجتذاب الطلاب الى هذه المعاهد يقوم على توفر عدة أشياء يذكر الدكتور بهاء حسين عزّى بعض منها وهي :

١ - عمل يعتز به .
٢ - مستقبل واضح وزاهر .
٣ - دخل مجز . (١)

ان اعتزاز المسلم بأى عمل يقوم به ، انما يرجع الى احساسه بأنه يؤدى رسالة هامة تخدم مجتمعه وتؤدى الى بنائه . فلا بد من تنمية الحس الرسالي لدى الطالب منذ المراحل الأولى ، وأن يدرك معنى العبادة الشامل ، فالاهتمام بالناحية العلمية والعملية قضية تعبدية بالدرجة الأولى وهي ليست مجرد الحصول على شيء من القوة او الغلبة أو التسلط في هذه الدنيا .

ولابد من أن يدرك الطالب أن الحصول على هذه المعارف والقيام بها وان كانت من فروض الكفاية الا أنها من الواجبات التي يأثم المجتمع بعدم توفرها ، ذلك أن معنى فرض الكفاية أن يتوفر العدد الذى يغطي حاجة المجتمع لهذا النوع من العلوم ، فاذا قام به بعض الأفراد دون أن

---

(١) بهاء حسين عزى : مرجع سابق ، ص ٣٠ .

يصلوا الى الحجم الذى يغطي حاجة المجتمع أصبحت فرض عين كما ذكر ذلك ابن تيمية حيث يقول :

" والمقصود هنا أن هذه الأعمال التي هي فرض على الكفاية متى لم يقم بها غير الانسان صارت فرض عين عليه لا سيما ان كان غيره عاجزا عنها .. فاذا كان الناس محتاجين الى فلاحة قوم او نساجتهم أو بنائهم صار هذا العمل واجبا يجبرهم ولي الأمر عليه ... " (١)

ان ترسيخ هذه المفاهيم لدى الطلاب ولدى المجتمع بواسطة وسائل اعلامه من شأنه أن يوجد الاعتزاز الذى يحتاجه للالتحاق بمثل هذه المعاهد ،أما ماينتظر العمل المهني في المستقبل من ازدهار ومايترتب عليه من دخول عالية فهذا مايجب أن تهتم به كل دولة حسب امكاناتها .

سادسا - الاستفادة من وسائل الاعلام وتحويلها الى أجهزة بناءة للمجتمع الاسلامي

ان الاعلام بجميع وسائله وأساليبه سلاح فعال للتأثير في الرأى العام وتوجيهه الوجهة المطلوبة ، بل لقد تجاوز الاعلام ذلك الى مرحلة زرع الاهتمامات واعادة صياغة أفكار الانسان ، لذلك فان وضعت أجهزته في الخير كانت وسيلة لاتضاهى في البناء وان وضعت في غير ذلك كانت شرا مستطيرا :

---

(١) ابن تيمية : الحسبة في الاسلام ، ص ٢١ .

" ولانبالغ اذا قلنا ان الاعلام غدا قوة لها شأنها في الصراعات الفكرية والسياسية والاقتصادية ، وسلاحا فعالا في الحروب النفسية ، وبخاصة اذا كان وراءه ، وعلى نحو ما هو قائم اليوم خبراء واخصائيون في التوجيه الاعلامي والدعائي واشخاص بارعون في استخدام الوسائل المقروءة والمسموعة والمرئية . . . ومن هنا تبدو أهمية الاعلام في السيطرة على جمهور الناس وتوجيه مشاعرهم الوجه التي يريدها الموجه "(١)

لقد أصبح الاعلام فنا خطيرا ، وظف الكثير من العلوم لخدمته ، سواء من ذلك العلوم والدراسات الانسانية ، كعلم النفس وعلم الاجتماع أو العلوم والدراسات التجريبية حيث أصبحت التقنية كلها في خدمته تقريبا ، لذلك كان لابد من توجيه الاعلام بحيث يحقق أهداف التربية الاسلامية ، خاصة اذا ماتم اعادة صياغة العلوم من وجهة نظر اسلامية . فهنا تتكامل العلوم ووسائل الاعلام في تربية الفرد والمجتمع والمسلم وتكوين ثقافة اسلامية تجابه قوى الغزو الفكري . .

" فالاسلام عقيدة وفكر واسلوب حياة ، تقوم على اساس من التوحيد الخالص وان الانسان هو خليفة الله في ارضه ليحقق كلمته وشرعه في اخاء وعدل ، وهذا هو الأساس الذى يجب ان يقوم عليه الاعلام في عالمنا العربي والاسلامي كما ان التعليم والاعلام كلاهما يؤثران في فكر وسلوك البشر ، لذلك ، يجب أن يعملا في انسجام لتحقيق الحق والصلاح والخير للبشرية عامة" (٢)

---

(١) منى حداد يكن : ابناؤنا بين وسائل الاعلام وأخلاق الاسلام ، ص ١٥

(٢) عبد الرزاق الجزار : " الاعلام الاسلامي وكيف ينبغي أن يكون " . دراسات عربية واسلامية . العدد الثاني . السنة الثانية ١٤٠٢ هـ ، ١٩٨٢م ، ص ٢٢٢ .

ولكي يتم ذلك لابد من اقامة مؤسسات اعلامية على اسس اسلامية تدعم العقيدة والخلق وتوفر الثقافة الرفيعة والتسلية والترويح البريئين وذلك عن طريق مراعاة الأمور التالية :

١ - وضع خطة للتنسيق الشامل بين الاعلام وبين كل الانشطة الفكرية والفنية والتربوية لذلك يرى عبد الرزاق الجزار أن

" لايؤلف كتاب مدرسي الا في ضوء الخطة الشاملة . كما أن توجيه الدراسات الجامعية ينبغي ان يتم في ضوء القيم والتراث العربي والاسلامي فالمعركة التي يخوضها الاعلام الاسلامي تنطلق من رؤية فكرية عامة . لأن الاسلام طريقة في التفكير واسلوب في العيش وخطة التعامل . فهو فلسفة متكاملة يتضمن امورا عقائدية وشريعية وسلوكية ، فالحفاظ على الحضارة الاسلامية وديمومتها وتقويتها وتجريدها من الشوائب التي شابتها يرجع الى النجاح والفوز في تحقيق التعبئة الاعلامية للأمة "(١)

٢ - الاهتمام بأقسام الاعلام في الجامعات الاسلامية لاعداد كوادر اعلامية مثقفة اسلاميا واعلاميا . وهذا يقتضي أن تكون الدراسات الاعلامية متشعبة في الدراسات الاسلامية وتعمل في خدمتها ولكن مايؤخذ على مناهج الدراسات الاعلامية في بعض الجامعات الاسلامية الازدواجية : اى تجاور العلوم الاسلامية والعلوم الاعلامية تجاورا لانرى فيه التفاعل الذى يحقق الهدف منها (٢)

---

(١) نفس المرجع السابق ، ص ٢١٨ .

(٢) انظر: ابراهيم امام: " الاعلام الاسلامي " مجلة الامة . العدد ٤٧ السنة الرابعة - ذو القعدة ١٤٠٤ هـ ، ص ٥٣ .

٣ - ان تتحول المواد الاعلامية الى وسائل معينة لغرس أسس التربية الاسلامية ولتحقيق أهدافها ان من الضروري أن تقوم وسائل الاعلام بعملية تصفية وغربلة لما رسخ في المجتمع من عادات وتقاليد بالية لاتمت الى الاسلام بصلة ، وتكشفها وتوضح بعدها عن الثقافة الاسلامية الحقة ، وفي المقابل تغرس وترسخ اخلاق الاسلام وسلوكه . وهذا مايؤكده الدكتور بشير التوم اذ يقول :

" ان من واجب وسائل الاعلام وبخاصة التلفاز ، لأنه يجذب السمع والبصر والفؤاد ، تصفية اطارنا الخلقي والاجتماعي مما فيه من عوامل التأخر حتى يصفو الجو للعوامل الحية الكامنة في تربيتنا الاجتماعية الاسلامية . ونحن لانحتاج الى وضع منهج جديد في تربيتنا الاجتماعية بقدر مانحتاج الى ترجمة ماعندنا من منهج في عالم الواقع. فيمكن لوسائل أعلامنا أن تقرب الاسلام الينا وتجعله متحركا في عقولنا وسلوكنا الفردي والاجتماعي " (١)

ان من واجب اعلامنا الاسلامي ادراك رسالته التي كلفه الله بها وهي توضيح تعاليم الاسلام ونشرها كما في قوله تعالى :

* قل انما يوحى اليّ انما الهكم اله واحد فهل انتم مسلمون * فان تولوا فقل اٰذنتكم على سوآء * (٢)

---

(١) بشير حاج التوم : التربية والمجتمع ، ص ٣٦ .
(٢) سورة الأنبياء : الآيتان " ١٠٨ - ١٠٩ " .

ففي هاتين الآيتين الكريمتين :

" يقول تعالى آمرا رسوله صلوات الله وسلامه عليه أن يقول للمشركين : * انما يوحى الي انما الهكم اله واحد فهل أنتم مسلمون * اى : متبعون على ذلك مستسلمون منقادون له . * فان تولوا * اى تركوا مادعوتهم اليه * فقل آذنتكم على سواء * اى : أعلمتكم اني حرب لكم كما انكم حرب لي ، برىء منكم كما أنتم برءاء مني " (١)

وفي ايضاح معنى هذه الآيات يذكر محمد الغزالي مايلي :

" أى أعلمتكم بما عندى فأصبحنا جميعا أنا وأنتم سواء في معرفة العقيدة التي أنادى بها ، فان انصرفتم بعد ذلك فعن تجاهل لاعن جهل اذ اني أفرغت جهدى في البلاغ المبين ، ان ما أدعو اليه معروف لكم كما هومعروف لي

وهذا الكلام يفرض على الاعلام الاسلامي الشمول التام فكما أن رسالة الاسلام عامة الى الخلائق فكذلك تعاليم الاسلام يجب أن تقدم كلها عن طريق أجهزته العاملة فلا يخفى منها شيء بحيث يكون الداعي والمدعو سواء في الاحاطة بمحتويات هذا الدين دقيقها وجليلها " (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير : المجلد ٣ ، ص ٢٠٢ .
(٢) محمد الغزالي ، الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر ص ١٧٩ .

وفي ختام هذا الفصل نجد أن أزمة الثقافة التي يعاني منها العالم الاسلامي ، لا يمكن علاجها بالاصلاحات الجزئية بل لابد من علاج كلي شامل يسعى الى تغيير الفرد نحو الأفضل سعيا الى تغيير المجتمع ، وذلك باتباع منهاج تربوى شامل وهذا المنهاج لا يمكن أن يكون من وضع البشر ، لأن البشر محكومون بحدود قدراتهم، وبقصور امكانياتهم ، ومن ثم فالمنهاج لابد أن يكون ممن هو أدرى بطبيعة خلائقه وبأفضل الوسائل لتربيتهم وهو خالقهم سبحانه وتعالى . فالتربية الاسلامية تتوفر فيها الأسس والمبادىء التي حققت واقعا حيا بين الناس في مجتمع صدر الاسلام . وهي النموذج الذى يجب أن يقتدى به لخير الانسانية جمعاء . ولما كان ذلك غير محقق في وقتنا الحالي باستثناء بعض البادرات الطيبة التي بدأت تنشط في أماكن متناثرة من العالم الاسلامي ، فقد خلص البحث الى اقتراح خطوط عريضة يكون في اتباعها ان شاء الله البداية لتحقيق التربية الاسلامية المرجوة . ولكي يتحقق للأمة الاسلامية اتباع هذه الخطوط وتحقيق التربية الاسلامية بأهدافها وأسسها في جميع مجالات الحياة يجب التأكيد على شرطين هما :

الأول :

ان يكون المجتمع بمؤسساته المختلفة راغبا ومؤيدا وداعما لحركة التغيير والاصلاح المرغوب فيها ، اذ لا قيمة لرغبة تجيش في صدور آحاد من الناس مالم تشكل تيارا اجتماعيا على المستوى الشعبي والرسمي ، وبدون هذه الرغبة والتأييد لا يمكن أن يعطى العمل

شيئا من ثماره المتوقعة . بل تبقى آمالا غير محققة . . وتتعلق الرغبة الموجودة في العالم الاسلامي نحو التغيير والاصلاح الى الغايات والنتائج الأخيرة ؛ ولاتتجه ، الا نادرا ، الى ممارسة أسبابها وعواملها التي لابد منها - فالمجتمعات الاسلامية تنادى بالوحدة الاسلامية ولكنها لاتمارس أسبابها والعوامل المؤدية اليها . كما أن المؤتمرات تصدر الكثير من التوصيات والارشادات من أجل تربية وتعليم اسلامي ولكنها لاتنفذ بل تقوم في وجهها العقبات ، فوزارات التربية والتعليم اعتبرتها مسألة صعبة جدا وتحتاج الى جهد كبير ، والجامعات قاومتها مقاومة واضحة لاعتقادهم أن التعليم الاسلامي مجرد حلم ليس له في واقع الحياة مجال للتطبيق . (١)

ومن هنا كان لابد من التأكيد على ضرورة وجود الرغبة الكاملة والتأييد والدعم لحركة التغيير التي تسعى الى التوجه الى حياة وثقافة اسلامية ، والا حكمنا على مبادىء الاسلام بأنها

---

(١) انظر . عبد الله عمر نصيف : " مؤسسات المسلمين بين معطيات الواقع . . والدور المطلوب " . مجلة الأمة ، العدد ٥٣ ، السنة الخامسة - جمادى الأول ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٤١ - ٤٢ .

مثاليـة بعيدة عن متناول البشر ، لاترشد السلوك ولا تنظـم الحياة . فلا ينهض اسلام بدون مسلمين ، ولا يكون الناس مسلميـن بمجرد التمني أو التحلي أو التسمية ، وانما يكونون مسلميـن باصطباغهم بالاسلام في أعماقهم وسائر مظاهرهم وأحوالهم . ولا يكـون ذلك الا برغبـة جماعية متضافرة وهي رغبة في العمل ، لا رغبـة أن تكون الأهـداف هي المتحركة نحونا والساعية الينا .

الثانـي :

أن تسعى التربية الى تحسين عملياتها وتحسين مايربـط عناصرها بعضها ببعض لأنها اذا لم تفعل ذلك تبقى أهدافهـا وأفكارهـا شعارات تردد ولا تستطيع المساهمة في حل أزمة الثقافة ويكون الباب مفتوحا لتيارات دخيلة تزيد أزمتنا الثقافية تعقيدا .

فاذا كانت التربية هي سبيل تجاوز التخلف والقضاء علـى أزمـة الثقافة في المجتمعات الاسلامية فانها لن تكون كذلـك الا اذا حققت في ذاتها وداخلها جميع أسباب التقدم ، وذلك بتحديـد هدف التقدم الشامل الذى يعمل على تحريك الارادة المشتركـة نحو العمل الحضارى ، وايضا بامتلاك جميع الأساليب والتقنيـات والمناهج وطرق التنظيم التي تقود الى التقدم . وبالاستخـدام الأمثـل للموارد المتاحة بحيث يؤدى تحقيقها لأسباب التقدم فـي داخلها الى تقديم تعليم أفضل لعدد أكبر من الطلاب بنفس الامكانات البشرية والمالية المتوفرة .

وهنا من واجب المربين والمشرفين على توجيه الحركة التربوية في العالم الاسلامي معالجة نظم التربية والتعليم الموجودة اليوم على ضوء مشكلاته وصورته في الغد ، وبذلك تستطيع هذه النظم أن ترسخ المسلمات الفكرية الأساسية في تربية المجتمع الاسلامي .

.....

الخاتمة

قصدت بهذه الدراسة توضيح أن المشاكل التي يعاني منها العالم الاسلامي انما تعود الى ثقافته المعاصرة ذلك أن كل واقع اجتماعي في جذوره انما هو قيمة ثقافية معينة ومحققة في واقع الانسان ، والثقافة المعاصرة في كثير من المجتمعات الاسلامية كما تدل عليها أوضاع دوله المختلفة تبتعد بدرجات متفاوتة عن الالتزام بثقافة الاسلام كما تمثلها والتزم بها المجتمع الاسلامي الأول .

وأهم النتائج التي انتهى اليها الفصل الثاني من الدراسة الآتي :

أولا :

ان مفهوم الثقافة شأنه شأن اى مفهوم اجتماعي انما يعكس اتجاهات واضعيه الفكرية والعقيدية ، ويعكس طبيعة المجتمع الذى يعيشون فيه والطور الحضارى الذى يمرون فيه ، فالمفهوم الغربي والماركسي للثقافة مفهوم ذاتي يعكس نظرتهم الى الانسان والمجتمع ونظرتهم الى الحياة والدين ، ونظرتهم الى القيم والى الثبات والتغير فيها . . كما أنه يصور واقعا اجتماعيا يعيشون فيه ، وهو لكل ذلك يخالف الفكر الاسلامي .

ثانيا :

أن بعض المربين المسلمين لم يدرك حقيقة ذاتية المصطلحات الاجتماعية . . . مما أدى بهم الى استيراد هذه المفاهيم وعرضها على أنها أمر مفروغ منه دون أى نقد أو تمحيص مما يؤدى الى ايجاد هوة فكرية بين قراء هذه الكتب والمتأثرين بأفكارها وبين المفاهيم الاسلامية التي

يجب أن تحدد فكر المسلم وبالتالي تحقق الشخصية الاسلامية المميزة ، ذلك أن كل أمر يقوم به الفرد انما يعكس اتجاهه الفكرى ، فالسلوك والافكار ذات علاقة وظيفية بعضها ببعض ، لذلك كان لابد من تحديد المصطلحات والمفاهيم ومنها مفهوم الثقافة بحيث تعكس الفكر الاسلامي الصحيح ولا يكون بينهما اى تعارض وتكون اداة جيدة لتوجيه السلوك نحو الشخصية الاسلامية المميزة والثقافة الاسلامية الاصيلة .

ثالثا :

عند وضع مفهوم للثقافة يجب مراعاة أمرين هما : أن يكون نابعا من التصور الاسلامي وأن يقود هذا المفهوم الى التغيير الاجتماعي الذى نريده ،أى يؤدى الى ايجاد بيئة اجتماعية اسلامية تتحقق فيها المبادى والقيم الاسلامية ويتخلق أفرادها بالأخلاق الاسلامية التي تعمل على ايجاد شبكة من العلاقات الاجتماعية السليمة وهي اساس أى نهضة وحضارة .

فمفهوم الثقافة يجب ان لايكون مقتصرا على جانب الأفكار فقط وان كانت هذه جزءا هاما في تكوينه وانما يجب ان يشمل طريقة السلوك التي يجب أن تتم بانسجام الفرد والجماعة معا أى ان تصدر أفعال الأفراد بطريقة منسجمة ومتفقة مع اسلوب الحياة .

رابعا :

تبنت الباحثة مفهوما للثقافة وضعه المفكر (مالك بن نبي) ويتفق مع وجهة النظر المطروحة في هذه الدراسة ، فهو مفهوم لايقتصر على الناحية النظرية - اى على وصف الواقع فقط - بل يشمل الناحية العملية اى

يقود الى التغيير الاجتماعي . فهو يعرف الثقافة بأنها : " مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي يلقاها الفرد منذ ولادته وتؤثر فيه وتصبح لا شعوريا العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذى ولد فيه .

الا انه لابد من اضافة بعض النقاط الهامة اليه أولها : لابد من تحديد مصدر الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية وهي العقيدة الاسلامية .
وثانيها : لابد من " اعتبار العلوم الشرعية والاجتماعية والنفسية ركنا اساسيا في تحديد اطار الثقافة فهي علوم تصور شخصية الأمة وملامحها الفكرية والنفسية وتشرح عقائدها وأهدافها التي تسعى الى تحقيقها . .
وانطلقت الباحثة في رأيها هذا من مكانة العلم العظيمة في مصدرى الاسلام - القرآن الكريم والسنة الشريفة - وان حدث تناقض بين سلوك الفرد وعلمه فمرجع ذلك ليس لعدم تأثير العلم فيه وانما يرجع الى نقص في ترسيخ العلم ، ونقص في صاحبه ينبغي أن يكمل بالزيادة من العلم .

خامسا :

ان المجتمع الاسلامي الاول في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وعهد خلفائه الراشدين يعتبر صورة حقيقية للثقافة الاسلامية ، حيث صار السلوك الفردى والجماعي موازيا لخط العقيدة والتزاماتها ، وظهر التطبيق الصحيح للمبادىء والاخلاق والقيم الاسلامية في عالم الواقع وقادت شبكة علاقاته الاجتماعية التي تكونت بين أفراد المجتمع الى حضارة متميزة ويرجع هذا التطبيق لثقافة الاسلام لعدة عوامل اساسية يمكن أن تهدى أى منهج يريد اصلاح المجتمع الاسلامي المعاصر وهي تشمل : أولا :
وحدة العقيدة التي نظمت الغرائز والقوى في داخل الانسان في علاقة

وظيفية مع مقتضيات العقيدة وحددت تصورات الأفراد وقيمهم وسلوكهم . . وحررت الانسان من عبودية غير الله بجميع مظاهرها . . وحققت الشعور بالترابط والالفة . وثاني هذه الأسس : هو القيم الخلقية الاسلامية التي وحدت مشاعر المسلمين نحو الحق والباطل والخير والشر ووحدت انماط سولكهم . وثالثها : هو توفر البيئة العلمية الملائمة لتكوين قيم ثقافية من عالم الافكار وعالم الاشياء وذلك بما تحتويه رسالة الاسلام من قيم ايجابية تؤدى الى الدفع المستمر في طلب العلم وادراك السنن الكونية والنفسية والاجتماعية .

أهم النتائج التي انتهى اليها الفصل الثالث

أولا :

ان المحافظة على اطار الثقافة الاسلامية يتطلب ضرورة قيام الأمة الاسلامية بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في صورة التزام مزدوج بين الفرد والجماعة فلا يشذ احدهما عن الحياة الاسلامية . وفي المقابل فان زوال هذا الالتزام بين الفرد والجماعة وعدم الاهتمام بتطبيق المبدأ في عالم الواقع معناه الوقوع في (أزمة الثقافة) لأن ذلك معناه تكريس الاخطاء والبعد تدريجيا عن اسلوب الحياة والسلوك الاسلامي وذلك لانقطاع المؤشر الحيوى اللازم لكشف التيارات البعيدة عن هذا الدين في واقع الأمة الاجتماعي ومسلكها الخلقي .

ثانيـا :

ان زوال الالتزام بين الفرد والجماعة وحدوث أزمة الثقافة لـــم يكن أمرا فجائيا ، انما كانت له بدايات تعود الى قرون متقدمة فـــي حياة المجتمع الاسلامي ، بدأت ببعد الحكم ثم تلته عوامل متعـــددة أدت الى الوصول الى مرحلة الضعف أو مرحلة القابلية للاستعمار . فقـد احتفظ المسلم بمظاهر تدينه الفردى ، ولكنه أضاع اطار ثقافته السليم مـن قيم وصفات خلقية تؤدى الى اقامة شبكة العلاقات الاجتماعية اللازمـــة لأداء أى عمل حضارى ، وهي المرحلة الغثائية التي وصفها الرسول صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف : " ولكنك غثاء كغثاء السيل " مما أفســح المجال لتداعي الأمم الأخرى عليه .

ثالثا :

أن اسباب أزمة الثقافة المعاصرة تعود الى مجموعتين مـــن العوامل الأولى هي عوامل داخلية ويندرج تحتها بعد المسلمين عـــن المنهج القرآني وركونهم الى الدنيا وشهواتها ، وتحريف المفاهيم الاسلامية كمفهوم العبادة الشامل والقضاء والقدر ومفهوم التوكل والزهد . واخيـرا الركود العلمي وتوقف الاجتهاد واهمال الجانب الاجتماعي في الاسلام .

اما مجموعة العوامل الثانية فهي عوامل خارجية تشمل استعمـــار الأرض الذى أدى الى سلب كرامة الشعوب وعزتها وثرواتها .. ورافـــق هذا الاستعمار غزو فكرى تعددت وسائله واساليبه ومبادينه واتحـــدت أهدافه في القضاء على الاسلام وثقافته .

رابعا :

ان من أهم صور أزمة الثقافة في المجتمع الاسلامي المعاصر : عدم انضباط اسلوب الحياة وفق المنهج الاسلامي في مجالات شتى . وقد ادى ذلك الى عدم وجود وحدة ثقافية بين الدول الاسلامية فهي تستقي مناهجها من مصادر شتى .

ومن صورها أيضا عدم سلامة الممارسة الفردية وفق منهج الاخلاق الاسلامي وذلك اما لقصور في فهم الاسلام وأخلاقه الشاملة واما لانبهار بالغرب وسلوكياته . . ومن مظاهر الأزمة ايضا التخلف العلمي والتقني لعدم توفر البيئة العلمية التي سعى الاسلام الى تكوينها ولقصور في دراسة اسباب التخلف الحقيقية ومعالجتها .

ورغم مظاهر أزمة الثقافة الا أن هناك بوادر صحوة اسلامية تحاول تطبيق الاسلام وثقافته الا أنها لم تأخذ شكل التيار الاجتماعي الشامل . .

اهم النتائج التي انتهى اليها الفصل الرابع :

أولا :

ان حل أزمة الثقافة يتطلب احداث تغيير في الانسان المسلم والاطار الذى يحيطه ،اى حامل الثقافة والبيئة التي يعيش فيها ، وذلك باتباع منهاج تربوى شامل يربى وينمي كافة الطاقات البشرية ويستمد أسسه ومبادئه من مصادر الدين الاسلامي الثابتة ويسعى الى تحقيق اهداف وغايات الاسلام ، وذلك ان خالق الانسان هو أدرى بما يصلحه

وينفعه والتربية الاسلامية تتوفر فيها الأسس والمبادئ التي أن حققت واقعا حيا بين الناس ، ونموذجا يقتدى به لكان الخير الوفير للانسانية جمعاء .

ثانيا :

انه لكي تصبح التربية الاسلامية هي الأصل في المجتمع ، اى أن يمارس الاسلام بالفعل فتنطلق مؤسسات المجتمع جميعها من قيم الاسلام وشريعته وتمثل تصرفات الافراد اخلاق الاسلام وقيمه يجب التركيز على مجموعتين من المؤسسات هما مراكز التعليم والتربية ووسائل الاعلام ، ذلك أن تربية الاجيال المسلمة الواعية لرسالتها في المدارس والجامعات وتوجيهها التوجيه الصحيح عن طريق وسائل الاعلام يؤدى الى ايجاد قاعدة اسلامية تعمل في تطبيق الاسلام وثقافته وتقوم الانحراف والاعوجاج . .

ثالثا :

ان مراكز التربية والتعليم ووسائل الاعلام في كثير من المجتمعات الاسلامية لاتقوم بالدور المطلوب منها في اخراج اجيال مسلمة واعية لذلك اقترحت الباحثة ضرورة التأكيد على عدة خطوط هامة في اتباعها ان شاء الله البداية لتحقيق دورها المرغوب والتي منها : اعادة النظر في مناهج العلوم الدينية ، وضرورة اعادة صياغة العلوم من خلال التصور الاسلامي والتوسع في التعليم الفني ، وتحويل وسائل الاعلام الى أجهزة لبناء المجتمع . وأخيرا لابد من أن يكون المجتمع بمؤسساته المختلفة راغبا وداعما لحركة التغيير والاصلاح والا ظلت قيم الاسلام وثقافته آمالا غير محققة . كما لابد ان تسعى التربية الىتحسين وسائلها وعملياتها حتى تكون في حجم الدور الذى يراد منها أن تقوم به .

اللهم اجعل عملي كله صالحا ولوجهك خالصا ولاتجعل فيه لأحد شيئا والحمد لله رب العالمين .

المصادر والمراجع

١ - القرآن الكريم .

كتب التفسير :

٢ - الصابوني : محمد علي
صفوة التفاسير . ط ٥ منقحة . بيروت : دار القرآن الكريم ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨١ م.

٣ - قطب : سيد
في ظلال القرآن . ط ٢ مزيدة ومنقحة. القاهرة : دار احياء الكتب العربية ، د ت .

٤ - ابن كثير : ابو الفداء اسماعيل
تفسير القرآن العظيم . بيروت : دار المعرفة للطباعة والنشر ، ١٣٨٨ هـ ، ١٩٦٩ م .

كتب الأحاديث :

٥ - الألباني : محمد ناصر
سلسلة الأحاديث الصحيحة . ط ٣ . بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م.

٦ - البخارى : ابو عبد الله محمد بن ابي الحسن
صحيح البخارى . بيروت : دار احياء التراث العربي ، د ت .

٧ - الترمذى : ابو عيسى محمد بن عيسى بن سوره
الجامع الصحيح وهو سنن الترمذى . بيروت : دار احياء التراث العربي ، د . ت .

٨ - ابن حجر العسقلاني : شهاب الدين ابو الفضل احمد بن علي
فتح الباري بشرح صحيح البخاري . تصحيح وتحقيـــق :
عبد العزيز بن باز . بيروت : دار الفكر ، د ت .

٩ - ابن حنبل : احمد
مسند الامام احمد . ط ٢ ، بيروت : دار الفكر ،
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .

١٠ - الدارمي : ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
سنن الدارمي .

١١ - ابو داود : سليمان بن الاشعث السجستاني
سنن أبي داود . راجعه محمد محيى الدين عبد الحميد .
القاهرة : المكتبة التجارية الكبرى ، د . ت .

١٢ - مسلم : أبو الحسين مسلم بن الحجاج
صحيح مسلم بشرح النووي . ط ٣ . بيروت ، دار الفكر ،
١٣٨٩ هـ / ١٩٧٨ م

المعاجـــم :

١٣ - أنيس : ابراهيم (وآخرون)
المعجم الوسيط . ط ٢ . الرياض : الرئاسة العامة لتعليم
البنات الادارة العامة للمناهج والكتب ، د ت .

١٤ - عبد الباقي : محمد فؤاد
المعجم المفهرس لالفاظ القرآن الكريم . بيروت : دار الفكر ، د ت

١٥ - مجموعة من المستشرقين
المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى . لندن : مكتبة بريل ، ١٩٣٦ م
١٦ - ابن منظور : جمال الدين محمد بن مكرم .
لسان العرب . بيروت : دار صادر للطباعة والنشر ، ١٩٥٦ / ١٣٧٥ هـ

المراجع :

١٧ - ابن الاثير : عز الدين ابو الحسن علي بن أبي الكريم
الكامل في التاريخ . بيروت . دار صادر للطباعة والنشر ، ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
١٨ - أسد: محمد
الاسلام على مفترق الطرق . ترجمة عمر فروخ . ط ٧ . دار العلم للملايين ، ١٩٧٤ م .
١٩- الأشقر : عمر سليمان
المرأة بين دعاة الاسلام وأدعياء التقدم : . ط ٣ ، الكويت : مكتبة الفلاح ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
٢٠ - البلاذرى : احمد بن يحيى بن جابر
فتوح البلدان . باشراف لجنة تحقيق التراث . بيروت : مكتبة الهلال ، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣ م
٢١ - البنا : حسن
نظرات في اصلاح النفس والمجتمع. القاهرة : مكتبة الاعتصام ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

٢٢ - البهي : محمد .
- الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي .
ط ٦ ، مزيدة ومنقحة . بيروت : دار الفكر ، ١٩٧٣م.
٢٣ - - الفكر الاسلامي والمجتمع المعاصر مشكلات الحكم والتوجيه
ط ٢ . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٥م .
٢٤ - البوطي : محمد سعيد رمضان
- منهج الحضارة الانسانية في القرآن . دمشق : دار
الفكر ، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
٢٥ - - نقض أوهام المادية الجدلية . دمشق : دار الفكر ،
١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
٢٦ - البيلي : احمد
التصور الاسلامي لمناهج التربية والتعليم. من سلسلة بحوث
المؤتمر العالمي الاول للتعليم الاسلامي . مكة المكرمة : المركز
العالمي للتعليم الاسلامي ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
٢٧ - التل : عبد الله .
جذور البلاء . ط ٢ . بيروت : المكتب الاسلامي ،
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
٢٨ - الثوم : بشير حاج .
- تدريس القيم الخلقية . مكة المكرمة : جامعة ام القرى ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م
٢٩ - - التربية والمجتمع . من سلسلة بحوث المؤتمر العالمي الاول
للتعليم الاسلامي . مكة المكرمة ،المركز العالمي للتعليم الاسلامي
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .

٣٠ - ابن تيمية : احمد بن عبد الحليم
- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة اصحاب الجحيم . قرأه وقدم له احمد حمدى امام - جدة : مكتبة المدني ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
٣١ - - الحسبة في الاسلام . د . م : دار الكاتب العربي ، د ت
٣٢ - - العبودية . الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م
٣٣ - جابر : عبد الحميد (وآخرون)
مناهج البحث في التربية وعلم النفس . ط ٢ ، القاهرة : دار النهضة العربية ، ١٩٧٨ م
٣٤ - جريشه : علي محمد (وآخرون)
اساليب الغزو الفكرى للعالم الاسلامي . القاهرة ، القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٨م
٣٥ - جلبي : خالص .
في النقد الذاتي ضرورة النقد الذاتي للحركة الاسلامية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
٣٦ - الجمال : غريب .
التضامن الاسلامي في المجال الاقتصادى . جدة : دار الشروق ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م
٣٧ - الجمالي : محمد فاضل .
نحو توحيد الفكر التربوى في العالم الاسلامي . ط ٢ تونس: الدار التونسية للنشر ، ١٩٧٨ م

٣٨ - الجندى : انور .

- التربية وبناء الأجيال في ضوء الاسلام . بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٥ م .

٣٩ - - تصحيح المفاهيم في ضوء الكتاب والسنة . القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٧ م

٤٠ - - الشبهات والأخطاء الشائعة في الفكر الاسلامي . القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٨١ م

٤١ - - من التبعية الى الأصالة في مجال التعليم والقانون واللغة : القاهرة : دار الاعتصام ، ١٩٧٧ م

٤٢ - ابن الجوزى : جمال الدين ابي الفرج عبد الرحمن .

تلبيس ابليس . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٣٦٨ هـ .

٤٣ - حجازى : محمد فؤاد .

البناء الاجتماعي . ط ٢ . القاهرة : مكتبة وهبة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م .

٤٤ - حسنه : عمر عبيد .

نظرات في مسيرة العمل الاسلامي . الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، ١٤٠٥ هـ .

٤٥ - حسين : طه .

مستقبل الثقافة . بيروت . دار الكتاب اللبناني ، ١٩٧٣م

٤٦ - حسين : سيد سجاد (وآخرون)
أزمة التعليم الاسلامي . ترجمة : امين حسين الرباط .
جدة : عكاظ للنشر والتوزيع ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

٤٧ - حسين : محمد محمد .
الاسلام والحضارة الغربية . ط ٥ - بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

٤٨ - الخطيب : عمر عودة .
- المسألة الاجتماعية بين الاسلام والنظم البشرية . ط ٢ .
بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

٤٩ - - لمحات في الثقافة الاسلامية . ط ٧ . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

٥٠ - ابن خلدون .
المقدمة . بيروت : مؤسسة جمال للطباعة والنشر ، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م

٥١ - خليل : عماد الدين .
- التفسير الاسلامي للتاريخ . ط ٣ . بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٨١ م.

٥٢ - - حول اعادة تشكيل العقل المسلم . الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، ١٤٠٣ هـ .

٥٣ - - مدخل الى موقف القرآن الكريم من العلم . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

٥٤ - دراز : محمد عبد الله .
- دراسات اسلامية في العلاقات الاجتماعية والدولية .
الكويت : دار القلم ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م
٥٥ - - دستور الاخلاق في القرآن . تعريب وتحقيق عبد الصبور شاهين . ط ٦ ، بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م .
٥٦ - ديرانيه : اكرم .
الحكم والادارة في الاسلام . دراسة تحليلية مقارنة .
جدة : دار الشروق ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م .
٥٧ - ابو زهرة : محمد .
المجتمع الانساني في ظل الاسلام . ط ٢ ، جدة : الدار السعودية للنشر ، ١٤٠١هـ / ١٩٨١ م .
٥٨ - الزين : سميح عاطف .
الاسلام وثقافة الانسان . ط ٢ ، مزيدة ومنقحة- بيروت : دار الكتاب اللبناني ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م .
٥٩ - سابق : السيد .
العقائد الاسلامية . بيروت : دار الكتاب العربي ، د ت
٦٠ - سرحان : منير مسرسي .
في اجتماعيات التربية . ط ٢ . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ م .

٦١ - سعيد : بسطامي محمد .
مفهوم تجديد الدين : الكويت . دار الدعوة ،
١٤٠٥ هـ / ١٩٨٤ م
٦٢ - سعيد : جودت .
- حتى يغيروا ما بأنفسهم . ط ٤ . دمشق : دار الثقافة للجميع ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨م
٦٣ - - فقدان التوازن الاجتماعي . دمشق : دار الثقافة للجميع ، ١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م
٦٤ - السمالوطي : نبيل .
بناء المجتمع الاسلامي ونظمه دراسة في علم الاجتماع الاسلامي
جدة : دار الشروق ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
٦٥ - شديد : محمد .
منهج القرآن في التربية . بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م
٦٦ - الشعراوى : محمد متولي .
الاسلام و حركة الحياة . القاهرة : دار المختار الاسلامي ، ١٩٨٠ م .
٦٧ - الطبرى : ابو جعفر محمد بن جرير .
تاريخ الرسل والملوك . تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم .
ط ٢ . القاهرة : دار المعارف ، ١٣٨٤ هـ .

٦٨ - طعيمة : صابر .
الاسلام وعالمنا المعاصر دراسة في الدعوة والدعاة .
الرياض : مكتبة المعارف ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م
٦٩ - عباس : حامد .
قضية الثقافة في بلادنا . مكة المكرمة : مؤسسة هديـــل للاعلام ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م.
٧٠ - عبد الحميد : محسن .
المذهبية الاسلامية والتغيير الحضارى . الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، ١٤٠٤ هـ .
٧١ - عبد الدائم : عبد الله .
الثورة التكنولوجية في التربية العربية . ط ٢ ، بيروت : دار العلم للملايين ، ١٩٧٨ م .
٧٢ - عبد الواحد ، مصطفى .
الاسلام والمشكلة الجنسية نظرات الى الواقع تستهدى روح الاسلام
ط ٢ ، معدلة. القاهرة : مكتبة المتنبي ، ١٣٩٢ هـ/ ١٩٧٢م
٧٣ - عثمان : محمد فتحي .
القيم الحضارية في رسالة الاسلام . الرياض : الدار السعودية للنشر والتوزيع ، ١٤٠٢ هـ .
٧٤ - العـــربي : محمد عبد الله .
نظام الحكم في الاسلام . بيروت : دار الفكر ، ١٩٦٨م .

٧٥ - عزى : بهاء بن حسين .
التقنية وكيفية نقلها الى الدول النامية . مكة المكرمة : مطابع الصفا ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

٧٦ * عطار : احمد عبد الغفور .
انحسار تطبيق الشريعة في أقطار العروبة والاسلام .
د . م : دار الاندلس ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

٧٧ - عفيفي : محمد الهادى .
في أصول التربية الأصول الثقافية للتربية . القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٦ م

٧٨ - العقاد : عباس محمود .
التفكير فريضة اسلامية . ط ٦ ، د م : دار الرشاد الحديثة د ت

٧٩ - علوان : محمد .
مفهوم اسلامي جديد لعلم الاجتماع . ج ١ ، جدة : دار الشروق ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٣ م .

٨٠ - علي : سعيد اسماعيل .
اصول التربية الاسلامية . القاهرة : دار الثقافة ، ١٩٧٦م

٨١ - عمارة : محمد .
الاعمال الكاملة لقاسم أمين . ج ٢ ، المرأة الجديدة . بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٧٦ م .

٨٢ - ابوعشة : عادل محمد محمود .
قضايا المرأة في الشعر العربي الحديث في مصر .
رسالة دكتوراة غير منشورة . كلية الشريعة والدراسات الاسلامية ، جامعة الملك عبد العزيز ، ١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م

٨٣ - عويس : عبد الحليم .
المسلمون في معركة البقاء . القاهرة : دار الاعتصام ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

٨٤ - الغرابي : علي مصطفى .
تاريخ الفرق الاسلامية ونشأة علم الكلام عند المسلمين . ط ٢ ، القاهرة : مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، ١٣٧٨ هـ / ١٩٥٨ م

٨٥ - الغزالي : محمد .
- خلق المسلم . ط ٣ ، منقحة ومنقحة . دمشق : دار العلم ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م

٨٦ - - دستور الوحدة الثقافية بين المسلمين . القاهرة : دار الانصار ، ١٩٨١ م

٨٧ - - الدعوة الاسلامية تستقبل قرنها الخامس عشر . الكويت : ذات السلاسل ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

٨٨ - - مشكلات في طريق الحياة الاسلامية . ط ٣ . الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية ، ١٤٠٢ هـ .

٨٩ - فرحان : اسحاق احمد .
مشكلات الشباب في ضوء الاسلام . ط ٤ ، عمان ، دار الفرقان ، ١٤٠٣ هـ

٩٠ - الفقي : حسن .
الثقافة والتربية . الاسكندرية : منشأة المعارف ، ١٩٧٠ م

٩١ - القرضاوى : يوسف .
- الحل الاسلامي فريضة وضرورة - بيروت : مؤسسة الرسالة ،
١٤٠١ هـ / ١٩٨١م
٩٢ - - الحلول المستوردة وكيف جنت على أمتنا . ط ٢ . القاهرة :
مكتبة وهبه ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م.
٩٣ - قطب : سيد .
- خصائص التصور الاسلامي ومقوماته . ط ٢ ، بيروت :
دار احياء الكتب العربية ، ١٩٦٥ م
٩٤ - - العدالة الاجتماعية في الاسلام . ط ٩ ، بيروت : دار
الشروق ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م
٩٥ - - في التاريخ فكرة ومنهاج . ط ٢ ، بيروت : دار الشروق ،
١٣٩٨ هـ / ١٩٧٨ م
٩٦ - - نحو مجتمع اسلامي . ط ٦ ، بيروت : دار الشروق
١٤٠٣ هـ ، ١٩٨٣ م
٩٧ - قطب : محمد
- سلسلة التعليم الاسلامي اهدافه ومقاصده" دور الدين في التربية"
ترجمة عبد الحميد محيى الخريبي . جدة : عكاظ للنشر
والتوزيع ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م
٩٨ - - معركة التقاليد . بيروت : دار الشروق ، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م
٩٩ - - هل نحن مسلمون . بيروت : دار الشروق ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

١٠٠ - ابن قيم الجوزية : شمس الدين محمد بن أبي بكر .
الفوائد . بيروت : دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م

١٠١ - الكيلاني : ماجد عرسان .
تطور مفهوم النظرية التربوية الاسلامية . ط ٢ ، عمان :
جمعية عمال المطابع التعاونية ، ١٩٨٣ م

١٠٢ - لنتون : رالف .
دراسة الانسان . ترجمة عبد الملك ناشف . بيروت :
المكتبة العصرية ، ١٩٦٤ م

١٠٣ - المبارك : محمد .
- بين الثقافتين الغربية والاسلامية . دمشق : دار الفكر ،
١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

١٠٤ - المجتمع الاسلامي المعاصر . ط ٣ . بيروت : دار الفكر
للطباعة والنشر ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م

١٠٥ - المصري : محمد أمين .
المجتمع الاسلامي . ط ٣ ، الكويت : دار الارقم ،
١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م

١٠٦ - المودودي : ابو الاعلى :
- منهج جديد للتربية والتعليم . بغداد : دار النذير ،
١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م

١٠٧ - موجز تاريخ تجديد الدين واحيائه وواقع المسلمين وسبيل
النهوض بهم . ط٣ - دمشق : دار الفكر ، ١٣٨٧هـ/١٩٦٨م

١٠٨ - - نحن والحضارة الغربية . د م : دار الفكر ، د ت .

١٠٩ - - نظرية الاسلام وهديه في السياسة والقانون والدستور .

بيروت : مؤسسة الرسالة ، ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م

١١٠ - الميداني : عبد الرحمن حسن حبنكة .

أسس الحضارة الاسلامية ووسائلها . ط ٢ ، منقحة ومزيدة .

دمشق : دار القلم ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

١١١ - بن نبي : مالك .

- بين الرشاد والتية . دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨م

١١٢ - - الظاهرة القرآنية . ترجمة عبد الصبور شاهين . طبعة منقحة ومكملة ومرتبة ترتيبا جديدا . دمشق : دار الفكر ، د ت .

١١٣ - - في مهب المعركة . دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م

١١٤ - - مشكلة الثقافة . دمشق : دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

١١٥ - - ميلاد مجتمع . ترجمة عبد الصبور شاهين . ط ٢ ، طرابلس: دار الانشاء للطباعة والنشر ، ١٩٧٤ م

١١٦ - - وجهة العالم الاسلامي . ترجمة عبد الصبور شاهين .

دمشق : دار الفكر ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

١١٧ - النحلاوى : عبد الرحمن .

- اصول التربية الاسلامية وأساليبها . دمشق . دار الفكر ، ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

١١٨ - - التربية الاسلامية والمشكلات المعاصرة . بيروت : المكتب الاسلامي ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

١١٩ - النجار : زغلول راغب محمد .
أزمة التعليم المعاصر . الكويت : و مكتبة الفلاح ، ١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠ م

١٢٠ - النجيحي : محمد لبيب .
- الاسس الاجتماعيةللتربية . ط ٧ ، القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٨ م .

١٢١ - الندوى ، السيد ابو الحسن :
- الصراع بين الفكرة الاسلامية والفكرة الغربية . ط ٣ ، مزيدة ومنقحة . القاهرة : دار الانصار ، ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧م

١٢٢ - - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين . ط ١٠ ، الدوحة : مطابع علي بن علي ، ١٣٩٤ هـ / ١٩٧٤ م

١٢٣ - الوزير : ابراهيم بن علي .
على مشارف القرن الخامس عشر الهجرى دراسة للسنة الالهية والمسلم المعاصر . بيروت : دار الشروق ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م

١٢٤ - يكن : منى حداد .
ابناؤنا بين وسائل الاعلام واخلاق الاسلام - بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م

١٢٥ - يونس: انتصار .
السلوك الانساني . القاهرة: دار المعارف ، ١٩٧٢م

الدوريات والمجلات :

١٢٦ - الخطة الشاملة للثقافة العربية (الواقع والمستقبل) .
المؤتمر العام . الدورة العادية الثامنة تونس. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . الامانة العامة للمجلس التنفيذى والمؤتمر العام ، ١٩٨٥ م .

١٢٧ - توصيات المؤتمرات التعليمية الاسلامية العالمية الاربع .
مكة المكرمة : المركز العالمي للتعليم الاسلامي ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

١٢٨ - مجلة الأمة : قطر : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية.

١٢٩ - مجلة العلوم الاجتماعية : الرياض ، جامعة الامام محمد بن سعود

١٣٠ - مجلة دراسات عربية واسلامية . بغداد : اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجرى ، ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢ م.

١٣١ - جريدة الرياض . الرياض : مؤسسة اليمامة الصحفية .